رواية

ثُلَّةٌ مِنْ أَسْمَاءِ الإِجْرَام

فِي البَدْءِ كَانَ الذِّئْبُ

حسام السعيد عامر

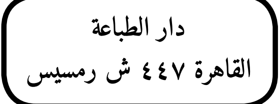
إصدارة الكترونية ديسمبر ٢٠١٦ Smashwords, Inc
الطبعة الأولى ورقية يناير ٢٠١٨ ، طبعها ونشرها المؤلف

عنوان : ثلة من أسماء الاجرام - في البدء كان الذئب
مؤلف : حسام السعيد عامر / كاتب وروائي مصري
عدد الصفحات : ٢٢٨ صفحة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٢٤٨٤ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي ISBN : 978-977-90-4998-4
تصنيف الكتاب : أدب / رواية
تصميم الغلاف: حسام السعيد عامر


www.facebook.com/HossamElSaidAamerAuthor


www.goodreads.com/book/show/32702285


+2 01002209535


دار الطباعة
القاهرة ٤٤٧ ش رمسيس

إِهْدَاءٌ

إلى سبب وجودي في الفانية وأحب مخلوق لقلبي، إلى أبي رحمة الله عليه، الذي أسبغ علي أبوة فياضة بالحنان والحزم والعطاء دون مقابل، وأفادني بخلاصة تجاربه في الحياة

حسام السعيد عامر

إِهْدَاءٌ ثَانٍ

إلى مصابي، وأرواح شهداء، وثوار، ثورة يناير الجليلة، إلى كل المستضعفين الغافلين في أرجاء المعمورة، إلى الأغلبية الغارقة في بحور الإستبداد المتلاطمة، أحلم باليوم الذي تطئون فيه بنعالكم هامات المجرمين، وتنتزعون حقوقكم المغتصبة

حسام

إِخْطَارٌ

رواية خيالية بها نزر يسير من الواقع

بين أيديكم نص أدبي لحمته الخيال وسدته الاختلاق، وينبغي قراءته بمعزل عن الأديان والأيدلوجيات الفكرية، والرواية أغلبها مستوحى من وقائع وأحداث حقيقية تناولتها وسائل الإعلام بالنشر والتحليل، وأسماء مؤسسات ومدن وقرى ومحافظات الدولة المصرية، وأسماء مشاهير القادة والسياسيين والإعلاميين، والنخب والدول ومواقع الانترنت والعلامات التجارية المسجلة والمنظمات الدولية ذكروا دون تغيير، فليس لهم أي دور في الرواية سوى إسباغ الواقعية

بينما أحداث الرواية، والأماكن التي تدور بها الاحداث، وكذلك أسماء الشخصيات الرئيسية والثانوية والأجهزة والهيئات الحكومية والغير حكومية التي تدور فيها احداث الرواية، فكلها من وحي الخيال، وأي تشابه مع شخصيات أو أماكن أو أسماء أو أحداث، هو مصادفة غير مقصودة

حسام السعيد عامر

القاهرة ١٧ ديسمبر ٢٠١٥

تَمْهِيد

الرواية يسردها أبطالها، وجلّ ما قمت به هو إعادة كتابة ما يحكونه بصياغتي، التي بذلت جهدًا صادقا كي تعبر بوضوح عن آرائهم المتهافتة، وأفكارهم المتضاربة، وتكشف عن مكنون نفوسهم الإجرامية الآثمة، بحق نفسها ومن حولها، وأثناء كتابتي للرواية عانيت أشد المعاناة خلال رسمي للابعاد النفسية للشخصيات وكذلك اثناء صياغتي وسردي لممارساتهم وأفكارهم البغيضة التي تثير الإشمئزاز والغثيان، خاصة موقف بعضهم الكاره أو المنكر لله، وكذلك غمرني السخط والحنق من آراء بعضهم في الشعب المصري الذي أهانوه واستخفوا به أيما استخفاف، فضلاً عن وحشية بعضهم، وعمالة بعضهم، وباقي موبقاتهم وآثامهم ورذائلهم ومثالبهم، وقد اضطررت مجبرا للتعليق في حواشي الصفحات على بعض افتراءاتهم وأراجيفهم على الله، رغبةً في تخفيف حدة وقسوة النص الروائي على عقول وعيون وقلوب القراء الأفاضل، ولكم مني كل الود والتقدير

حسام السعيد عامر

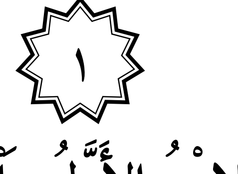
تَلْقيح

لـن تتخيلـوا كم وخطـورة البيـانات، الممكـن استخراجها مـن الأقـراص الصلبـة التالفـة، حـتى بعـد إعـادة فرمتتهـا وتهيئتهـا، ولـن تتخيلـوا مـدى فهلـوة وسـطحية وجهـل فنيـين ومهنـدسي المعلوماتيـة، المسـؤولين عـن صيانـة واصـلاح الحواسـيب الخاصـة، بالعاملـين في الأجهـزة الأمنيـة، فجلهـم إن لم يكـن جميعهـم، قـد حصلـوا عـلى وظائفهـم بالوسـاطة أو بالثقـة، دون أدنى اعتبـار للكفـاءة والمهنيـة

عـلى سـبيل المثـال، «هارد-ديسـك» معطـوب حجمـه واحـد تـيرا بايـت، مـن الممكـن أن يسـتخرج منـه مجلـد يحتـوي عـلى ملفـات تنصت عـلى مكالمـات هاتفيـة واجتماعـات سريـة تتجـاوز التسـعمائة سـاعة، بهمـا قرابـة عـشرون ألـف مكالمـة، وثلثمائـة مـن النقاشـات والاجتماعـات داخـل المنـازل والأماكـن العامـة، تكـون الملفـات غالبـاً بصيغـة إم بي ثري

ومـن نفـس القـرص أيضـا، بالإضافـة لمـا سـبق مـن الممكـن أن يسـتخرج مجلـد مسـتندات تحتـوي عـلى تقـارير وبيـانات، قـد يتجـاوز عددهـا قرابـة الأربعـة ملايـين مسـتند بصيغـة «ميكروسـوفت وورد»، ويـتراوح حجـم المسـتند مـا بـين خمسـة كيلـو بايـت إلى ثلثمائـة كيلـو بايـت، بمعـدل حجـم متوسـط خمسـين كيلـو بايـت، فضـلًا عـن الصـور وملفـات مراسـلات البريـد الاكـتروني

حسام



الاِسْمُ الأَوَّلُ: بَلْطَجِيٌّ

بَعْدَ أَنْ تَبْتَهِلَ لِنُزُولِ المَطَرِ، اِسْتَعَدَّ لِلخَوْضِ فِي الأَوْحَالِ

كونوا صرحاء معي، عندما تشاهدون جائحة ما، فهل تحدثون أنفسكم عن إمكانية ان تكون تلك الواقعة التي شوفتوها بأبصاركم، قد خطط لها من قبل؟، أم تُراكم ممن يعيشون الحياة ببراءة، ويشاهدونها بسذاجة، دون إرتكاب التفكير، معتقدين ان كل صُروف وقَوَارِع وبَلايا ومَصَائِب وكَوَارِث الحياة، هو قضاء وقدر، لا دخل فيه للبشر؟

محسوبكم «شوقي يعقوب»، رجل أعمال حالياً، أما سابقاً فاصبر على رزقك ولا تتعجل فكل شيء بأوان، أنا شخصية من شخصيات عديدة، اقتنصها «مؤلف هذه الرواية» من دروب الحياة، أفشينا له خبيئة وجداننا، بائحين بما لم نجهر به من قبل، لكي نتطهر قليلًا من وزر وعبء كتمان مشاعرنا ونوازعنا، وقد وعدنا المؤلف أن يسرد ما حكيناه في رواية، مبتغياً ومتمنياً أن يعتبر البشر من أخطائنا وخطايانا، وأتعشم من «مؤلف هذه الرواية» ان يصوغ ما نرويه بحيادية

دعوني أحكي لكم ما أفعله الآن لحظة بلحظة، أجلس حالياً مع ثلاثة أصدقاء، داخل كافيه هو فرع لسلسلة كافيهات عالمية، إنتشرت منذ سنوات في القاهرة والاسكندرية، وموقع الكافيه في شارع عباس العقاد، بمدينة نصر القاهرة، نتابع أنا وأصدقائي بفتور شاشة تلفاز ضخمة، معلقة على الحائط القريب من منضدتنا، يعرض عليها صور من موقع الهجوم الإرهابي على «كمين البرابرة»، بمحافظة «الوادي الجديد»، ونحن نشاهد الآن نفس الصور المكررة، التي شاهدناها وكل المصريين، لثلاثة أيام متواصلة على أغلب القنوات التلفزيونية، اما مصحوبة بموسيقى تصويرية جنائزية كئيبة، أو بدموع وبكاء أهالي الضحايا، لم ينجوا مصري واحد من رؤية صور آثار التدمير على منشآت الكمين،

وسياراته، وصور جثث جنود وضباط الجيش وأشلائهم الملطخة بالدماء، والتي تثير الشفقة والحزن، حتى في أقسى النفوس ذات القلوب الحجرية

الكافيه هادئ إلى حد ما، وصوت التلفاز منخفض، وبرغم ذلك تنتشر في أجواءه ضجة باهتة، مصدرها ضحكات ومحادثات وهمسات، زبائنه من صفوة المجتمع المتناثرين حولنا، أرتشف من كوب قهوة الريستريتو الكثيفة، الرابض أمام نظري منذ ثواني، بعد ان استنشقت العبير المتصاعد من الكوب عدة مرات، ثملت وانتشيت من عبق الرائحة الذكية، الفواحة من سحابات بخار القهوة، التي تتراقص أمامي كغانية، تتلوى شبقاً بين يدي مراهق فتزيده رهقا، أشعل الآن ليتل سيجار، ماركة كابتن بلاك التي اعشقها ولا استبدلها بسواها، وأعرض علبتها مفتوحة على أصدقائي بمنتصف طاولتنا، فيأخذ أحدهم سيجاراً، بينما إمتنع الآخران وفضلا تدخين سجائرهم الباهتة، النحيفة التي لا تشبع نهم أي مدخن أصيل، نثرثر بملل متكهنين بهوية منفذي المجزرة التي حدثت منذ ثلاثة أيام، كما أذاعوا في وسائل الإعلام

فجأة يتمزق الضجيج الخافت للكافيه بصرخة هستيرية لفتاة، فوراً تتجه أعين أربعتنا ومعنا كل زبائن الكافيه نحو مصدر الصرخة، حول منضدة بالقرب منا نرى رجل سمين قصير، يجلس مع أسرته المكونة من زوجة متأنقة بأرستقراطية نادرة في هذا الزمان، وعلى وجهها علامات التأفف والذهول، وبينهما شابان وسيمان، وفتاة في العشرين، أناقتها وجمالها يتصارعان منذ الأبد دون ان ينتصر أحدهما على الآخر، كانت الفتاة هي صاحبة الصرخة الهستيرية، والآن تجهش بالبكاء مخفية وجهها بيديها، وقف الأب ليدهس بحذائه صرصوراً يمرق هارباً بالقرب من ساق المنضدة، ينفعل الشابان الجالسان حتى هذه اللحظة فينهضان، ويسبان إدارة الكافيه، ويتهماها بالقذارة بسبب خروج عدة صراصير من فازة تحتوى على مناديل ورقية، جمد النادل الشاب القائم على خدمتهم، وتوقف عن نقل الأكواب لمنضدتهم، وتحجر مشلولاً من الذهول، فاغراً فمه كتمثال نائلة [1] التي يقال أنها مسخت صنماً داخل كعبة المسلمين

من أحاديث الأسرة المنكوبة بالصراصير، ومن تمثال الجرسون المتجمد دهشةً، يحمل

---

[1] نائلة بنت سهل زنى بها اساف بن عمرو في الكعبة، فمسخا حجرين، فعبدتهما قريش

صينية عليها اكواب متنوعة، علمنا أن الجرسون، هو الذي وضع بمنتصف منضدتهم منذ ثواني، فازة بها مناديل ورقية، منسقة بشكل جمالي كأهرامات وطيور، كي تكون بمتناول أيدى الجالسين، ثم أتبع ذلك بوضع كأس آيس كريم، أمام الفتاة التي سحبت منديلاً من فازة المناديل، وتلى ذلك قيام الجرسون بوضع كوب عصير فواكه، أمام الأم، حينها صرخت الفتاة، وهي تشير بيديها لصراصير، تطل بشواربها أولا ثم برؤسها من الفازة، ثم بدأت في الخروج بتردد، وفرت على المنضدة بدايةً، ثم أكملت فرارها نحو باركيه أرضية الكافيه، الفخمة ككل محتوياته، الآن نرى ثلاثة صراصير مفزوعين، غالباً بسبب غربتهم في المكان، ينكمشون تائهين، بجوار أقدام تمثال رخامي أبيض، بالقرب من منضدة الأسرة المنكوبة بالحشرات، نجح الأب الهمام في سحق صرصور آخر، الأسرة بأكملها تقف الآن خلف الكراسي المحيطة بالمنضدة، الابنة متوترة، والشابان متحفزان، والأب يقف متوثباً على أهبة الاستعداد، كقائد فيلق من جيوش العصور الوسطى، مكلف بالدفاع عن حصون وطنه وعائلته، والأم تدعمه وتسانده، بنظراتها الشامخة المتعالية الضجرة، مشهد لم تسبق أن رأته أعين مرتادي هذا الكافيه، أو الكافيهات المشابهه له في المستوى قبل اليوم، بحسب رأي الشخصي

سحب الأب أسرته مغادرين الكافيه، ناثرين احتقارهم أثناء خروجهم بألفاظ أرستقراطية منتقاة، بعناية خبير في صياغة حوارات الدراما السينمائية، وطبعا خرجوا دون أن يهتموا بسماع سيمفونية الاعتذارات، التي عزفها لهم مدير الكافيه، الذي حضر منذ ثواني لموقع الحادثة، المشئومة التي حتما ستضرب سمعة المكان، وتخسف به لأسفل سافلين، نتابع خروج العائلة بأعيننا مع أغلب رواد الكافيه الموجودين الآن

وبرغم ما أعلمه، تنتابني مشاعر شفقة، على العاملين بالكافيه، الغارقين في بحور الدهشة والذهول، وكما لو كانت المصائب لا تأتي فرادي، لحظة خروج آخر أفراد الأسرة من باب الكافيه، يتقيأ رجل كان يجلس برفقة صديقه وامرأتان على منضدة قريبة من باب الخروج، نهض الرجل المتقيأ من مقعده وصرخ

- إنتو كافيه زبالة ومعفنين... برص جوه الجاتوه يا انتن خلق الله، ... وديني لأرفع عليكو قضية وأفضحكم

يخرج الرجل هاتفه، ويصور طبق صغير أمامه به قطعة جاتوه، ثم تقيأ مجدداً، كبركان يلفظ حممه فيغرق ما حوله في بحر لانهائي من الدمار العبثي، وكان صديق المتقيئ والمرأتان قد نهضوا عن مقاعدهم، وعاينوا طبق الجاتوه متأففين، وأخرجوا ومعهم أغلب رواد الكافيه هواتفهم وآيفوناتهم وتابلتاتهم، وبدأوا في تصوير الصحن الموبوء، ثم انحرفوا بهواتفهم نحو منضدة الأسرة المنكوبة بالصراصير، وصوروا صرصوران مدهوسان، نسي العامل المسؤول عن النظافة رفعهما من أسفل المائدة، لإنشغاله بمعاينة الفازة والأكواب مع الجارسونات وأغلب عمال الكافيه، وكان يتوسطهم مدير الفرع ويوبخهم بصوت خفيض، وإن كانت ترتسم على وجهه نذر عاصفة غضب عارم، سيطأ بها أعناق كل أعوانه والعاملين المحيطين به، حين ينفرد بهم بعيداً عن أعين الزبائن

توجه المدير مع الجارسونات نحو مائدة الرجل المتقيأ، وعلى وجوههم ملامح فزع طاغي، كما لو كانوا يعيشون كابوساً مرعباً ،تفحصوا بأعين زائغة قطعة الجاتوه، المقبور بداخلها جثمان «برص [2] »، يبدو كنسخة مصغرة لحفريات ديناصور من الأزمنة الغابرة، وقد جف غشاؤه الذي صار كفنه

رفع مدير الكافيه طبق الجاتوه من على المنضدة، وناوله مسرعاً لأحد الجارسونات، وأمره بإحضار طلب آخر، ثم انهال بسيل اعتذارات للزبائن الأربعة، مبدياً دهشته من هذه الكارثة، التي لم يسبق له أن رأها منذ تولى عمله في هذا الكافيه الراقي، ذو السمعة العالمية، وبشرهم بأن طلباتهم التي تناولوها على حساب الكافيه، كهدية اعتذار عن الأضرار النفسية التي أصابتهم، تجاهل الرجلان والمرأتان إعتذار المدير، وركل أحدهم المنضدة بعنف، فانقلبت الأكواب والصحون عليها، وانصرفوا من حول المنضدة، ليغادروا الكافية كما فعلت منذ دقيقتان الأسرة المنكوبة بالصراصير، تاركين خلفهم المدير والعاملين بالكافية متحلقين حول المائدة، كتماثيل شمعية انسلت منها الأرواح، بتأثير قوى شريرة احتلت المكان، وسيطرت عليه، لم يوقظ التماثيل الشمعية للعاملين سوى هرج ومرج، أحدثه ثلة من الشباب والفتيات، كانوا يحتفلون بعيد ميلاد أحدهم

أتجه ببصري الآن نحو مصدر الصخب، وتقع عيناي على شباب متحلقين حول

---

٢ أبو بريص أو البرص، فصيلة من الحيوانات الزاحفة الصغيرة من رتبة الحرشفيات

منضدتان، يقذفون الأكواب والصحون الفارغة على أرضية الكافية، وبدأوا في عزف سيمفونية تذمر من الخدمة السيئة، ورداءه طعم المشروبات والوجبات، يقترب منهم مدير الكافية، ويحاول تهدئتهم والاستفسار عن شكواهم بالتحديد، فيدفعه أحد الشباب بعنف، يسقط المدير أرضاً وتسقط معه آخر ذرة كرامة داخله، وانهار تماماً بعد أن فقد اعتداده بنفسه، يشهد بذلك كل رواد الكافيه الموجودين الآن، تدافع عمال الكافيه، وأحاطوا بالشباب الأهوج كعاصفة رعدية، بدأ بعض الجارسونات بمحاولة تهدئة الصاخبين، فما كان من أحد الشباب سوى أن أخرج طبنجة، وصوبها نحو تمثال منزوي، بركن من أركان الكافيه القريبة، وأطلق رصاصة واحدة استقرت في بدن التمثال، تتناثر بضع شظايا أثر دخول الطلقة بالتمثال الرخامي، و بعنجهية يصيح الشاب المسلح في الجارسونات المتحلقين حوله هو وأصدقائه

- إنتو فعلا كافيه زبالة واللي هيقرب مننا هخليه يحصل الصراصير والابراص اللي بتأكلوها للناس هنا، ... حد ليه شوق في حاجة

صمت كصمت القبور خيم على كل الموجودين فأكمل الشاب المسلح كلامه بنفس نبرة الغطرسة

- يالا يا شباب نطلع من المكان الزبالة ده

ثلة الشباب تغادر الآن الكافيه، وأشير بيدي لأحد الجارسونات طالباً فاتورة الحساب، يذهب الجارسون للمدير الذي يساعده عمال الكافيه على النهوض، ويقف الآن تائها كما لو كان أفاق للتو من كابوس مريع، يتكلم الجارسون مع المدير ويشير لمنضدتنا، يتجه الاثنان نحونا، ويستفسر المدير عن أي شكاوى، فنجيب دون حماس بالنفي، فيأمر المدير الجارسون بإحضار الفاتورة التي سأدفعها دون أن أترك إكرامية، نغادر الكافيه مسرعين

أتجه مع أصدقائي الثلاثة إلى سيارتي، كنت قد أوقفتها على بعد أمتار قليلة من مدخل الكافية، أفتح أبواب السيارة لنتسلل داخلها، أدير محركها وتقع عيناي الآن على سيارة ماركة «هامر» لونها أزرق ميتالك، نتوقف أمام مدخل الكافيه مباشرة، يهبط منها ثلاثة أشخاص، بينهم رجل الأعمال الشهير «وديع برسوم»، مدير وصاحب عدة

شركات استثمارية تتداول أسهمها في البورصة، وإحداها شركة متخصصة في إدارة المطاعم والكافيهات العالمية في مصر، وتمتلك سلسلة الكافيهات التي كنا نجلس في أحد فروعها منذ ثواني، أغادر بسيارتي متجهًا لمكتبي الشخصي في فيلا أرض الجولف بمصر الجديدة

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

دخلت مكتبي بفيلتي في أرض الجولف بصحبة أحمد وياسر وجوزيف أعواني الثلاثة، وهم من كنت معهم في الكافيه منذ ساعة تقريباً، وبالطبع أول شيء فعلته هو خلع الباروكة ذات الشعر الكثيف، ثم أزلت اللحية المستعارة عن وجهي، نعم يا أعزائي كنت متنكراً لسبب ستعرفونه بعد قليل، فلن أخفى عليكم أي شيء، بعد أن دخلت مكتبي اتصلت بـ «كريم» باشا وأبلغته بتفاصيل ما نفذناه اليوم في كافيه «نجوم أمريكا»، دعاني كريم باشا للاجتماع معه مساء الغد في منزله، وبشرني بأن «وديع برسوم» سوف يهاتفني ربما اليوم أو غداً على أقصى تقدير، بعد أن أوشك على القفز من فوق شفا اليأس لفشله، في إدراك خفايا الأحداث المريبة التي إنهالت على فروع كافيهاته، خلال الأيام الماضية

بالطبع يتملككم الفضول بشأن تنكري، الحكاية باختصار هي حكاية توازن القوى، بين من يملك المال، وبين من يملك القدرة والسطوة، بالطبع ليس لديكم أدنى معرفة بكواليس صراعات، وتحالفات السلطة والثروة في مصر، دوري في تلك الكواليس بسيط وهام في نفس الوقت، فأنا لست مجرد وسيط بين السلطة والثروة، بل أنا في أغلب الأحيان مخلب القط، الذي يقوم بالأعمال الدنيئة، وينهش لحم الفريسة المستهدفه

أعمل حالياً لحساب اللواء «كريم سليمان»، أحد كبار قادة جهاز أمن الوطن، وكنت اليوم أنفذ لحسابه عملية تشويه لسمعة كافيه «نجوم أمريكا»، لمضايقه رجل الأعمال البخيل «وديع برسوم»، ودفعه للجوء لحمايتي، ودفع المعلوم، البعض يطلق على ما نفعله «ابتزاز»، والبعض يقول عليها «إتاوة»، لكن ما نفعله حقيقة هو فرض ضريبة حماية، لكي نعيد توزيع الثروة، بشكل عادل بين من يملك القدرة على توليد المال، ومن يملك القدرة على إبادة المال وصاحبه من الوجود، وبدون مواجهه مباشرة نتلاعب

بأي رجل أعمال، وعن طريق عملاء يزرعهم أو يجندهم «كريم» باشا أو أشباهه من كبار سادة مصر، ثم يوجهون الضحية بنصائح من معارفه وأقاربه، لكي يستعين بخدماتي أنا وغيري، بإعتبارنا وسطاء لهم ثقل ومصداقية ونفوذ لا نهائي

تعالوا أحكي لكم بعض التفاصيل الخفية لما حدث منذ قليل، مدير الموارد البشرية بشركات «وديع برسوم»، هو لعبة بيد «كريم» باشا، وقد وظف ذاك المدير عمال يأتمرون بأمر «كريم» باشا، منهم العامل المسؤول عن تجهيز فازات المناديل الورقية بالكافيه، الذي تسلم قبل دخوله للعمل اليوم سبعة صراصير، متفاوتة الحجم محجوزة داخل منديل ورقي محكم بصمغ، محفوظ في عبوة بلاستيكية بحجم علبة سجائر، حتى لا تتأذي الصراصير أثناء نقلها، وضع العامل العلبة في جيبه، قام العامل بتنفيذ المطلوب منه، وأخرج المنديل الحاوي للصراصير، ودسه في قاع فازة، وزين أعلاها بمناديل على شكل أهرامات ثلاثة، تحيطها مناديل على شكل طيور، وبالطبع هذا التزيين مخالف لطريقة تزيين باقي فازات المناديل، ثم أخفى الفازة بعيدا جداً عن متناول الجارسونات والعمال، حتى لا يأخذها أحدهم بالخطأ

عندما وصلت الأسرة المنكوبة عرفها جارسون المنطقة الوسطى بصالة الكافيه، بحسب وقت دخولهم، وبحسب الأوصاف، التي كنت قد أعلمته بها من قبل في الهاتف صباح اليوم، وأَيضًا عرفهم من الطلبات التي طلبوها، وتعد بمنزلة كلمة سر، لتعريفه بأنهم هم المقصودون، أحضر لهم الجارسون طلباتهم، ومعها فازة المناديل المميزة بالثلاث أهرامات، والمختفية بعيداً عن الأيدي، ووضعها لهم على طاولتهم، بالطبع كان الجارسون يعلم مكان وشكل الفازة المميزة التي تحتوي على الصراصير، وطلبها تحديدا من العامل المسؤول عن الفازات، فناولها له دون ان يتكلما في أي شيء آخر، بحسب المتفق عليه

ما حدث للأسرة بعد وضع الفازة على المنضدة تعرفون أغلبه، الفتاة قامت بفتح المنديل الورقي، المغلق على الصراصير في قاع الفازة بأظافرها خلسة، وأخرجت منديل آخر من أعلاها، فرت الصراصير من الفازة بعد تحررها من سجنها الورقي وحدث ما تعرفونه، لكن مالا تعرفونه هو أفراد الأسرة، الأب والأم كومبارسان يعملان

نادراً في مسلسلات التلفزيون التاريخية، وهذا هو مجال تخصصهم الذي حصرتهم فيه الأجهزة الأمنية، المسيطرة على كل شيء، حتى على الإنتاج الفني الحكومي والخاص، ولا تتعجبون من هذه المعلومة، فكل أصحاب شركات الإنتاج السينمائي، والتلفزيوني، وحتى المسرحي في مصر و«الريجيسيرات [3] »، لا يتنفسون بدون إذن من الأجهزة السيادية، غالبًا تتسائلون لماذا قاموا بحصر بعض الكومبارسات في الأدوار التاريخية، والإجابة ببساطة هي أن تلك الأجهزة السيادية، ترغب في الاستعانة بهم وقت الحاجة في البرامج التلفزيونية، كمواطنين للتعليق على حدث ما، دون ان يكتشف المشاهدين حقيقتهم، ويتعرفوا عليهم، فهم دوما يمثلون أدوارهم بملابس وإكسسوارات تخفي أغلب ملامحهم

ليست الدولة فقط هي التي تستخدم أمثال هذان الكومبارسان التاريخيان، أَيضًا قادة الأجهزة السيادية يسيطرون عليهم، ويتحكمون فيهم بالمال وبالنفوذ المطلق لمناصبهم، ويكلفونهم بمهام خاصة، كتلك التي مثلوها اليوم في الكافيه، أما الشابان فقد تخرجا من معهد الفنون المسرحية منذ عدة أعوام، وعاطلان عن العمل، وقام « كريم» باشا بتجنيدهم بواسطة أحد ضباطه الصغار من مكتب ريجيسير، وكلفهم بالعمل معي على وعد منه بمساعدتهم في مستقبلهم الفني، والتوسط لدى المنتجين لإعطائهم أدوار في الأعمال الفنية، وبالنسبة للفتاة هي «موززة [4] » من بنات الهوى، طالبة في احدى الجامعات وتسكن في عين شمس، وتمارس الدعارة منذ كانت طالبة في الإعدادية، ولديها قدرة غير طبيعية على الكذب، وتقمص الأدوار، وخداع الآخرين، ببراعة شديدة، وأنا شخصياً كلفتها بهذه المهمة لثقتي في قدراتها بتمثيل دورها كفتاة مفزوعة مصدومة، وقد نجحت نجاح باهر كما توقعت، وأَيضًا باقي الأشخاص الذين شاركو في الحدث الثاني هم من أعواني، أما مشكلة الأحد عشر شابا المحتفلين على المنضدتين، فقد كان أغلب هؤلاء الشباب ضباط شرطة صغار السن، حديثي التخرج، كلفهم « كريم» باشا بإفتعال صخب، وهرج بعد أن يكتمل تنفيذ المشكلتان السابقتان

ويبقى السؤال الأهم وهو لماذا سيتصل «وديع برسوم» بي أنا تحديدا، من بين

٣ الريجيسيرات هم اصحاب مكاتب يقوموا بتوريد الممثلين الثانويين في الأعمال الدرامية
٤ موززاه لفظة عامية مصرية تطلق على الفتاة الفاتنة الأنيقة ذات الجاذبية الجنسية

التسعين مليون مصري؟، لسببان : أولهما لأن أحد أصدقائه المقربين، حكى له بالأمس عن تمكنه أخيراً من حل مشكلة غريبة، مشابهه لنفس ما فعلناه بكافيهات «وديع»، وأخبره صديقه بأني شخصية تملك عصا سحرية عبر معارفي العاملين بالأجهزة السيادية، وأن بإمكاني حل أي مشكلة في مصر، والسبب الثاني مدير الأمن بشركات «وديع برسوم»، وهو نسيبه العقيد «رامز قطامش»، الذي أحيل للمعاش برتبة عقيد وكان يعمل بالمباحث العامة وبالبحث الجنائي، وبصفته مدير أمن شركات «وديع برسوم»، فهو المسؤول عن التحقيق داخلياً في الأحداث التي افتعلناها في فروع الكافيه السبعة، لمضايقة «وديع برسوم»

العقيد السابق «رامز» طلب العون أولا من شقيقه «ماهر قطامش»، ورتبته حاليا لواء بالمخابرات العسكرية وخدم قبل عام ٢٠١١ في الحرس الجمهوري للرئيس السابق حسني مبارك، «فشل ماهر» في مساعدة أخيه لضعف وانعدام كفاءة العسكريين في مجال التحري داخل المجتمع، ولم يجد «رامز» أمامه سوى اللجوء الى أحد زملاء دفعته ويعمل حالياً في مباحث أمن الوطن، واستحلفه بالزمالة أن يتقصى له عن خلفية عمال يشك في تسببهم بتلك الكوارث، ظناً منه انهم مسلمين متعصبين يكيدون لنسيبه المسيحي، فأرسله زميله إلى «كريم» باشا الذي أنبأه، كما لو كان يخصه بسر خطير بأن نسيبه «وديع برسوم»، يتعرض لمضايقات من قيادات سيادية، تريد تحطيمه لسبب مجهول، كما أخبره أيضًا «كريم» باشا بأن الحل الوحيد لنسيبه هو اللجوء إلى «شوقي يعقوب» ذو الصلات المتينة بسادة مصر (وهذا هو أنا كما تعلمون)، لكي أحل له مشاكله، وأعطاه «كريم» باشا أرقام هواتفي، ومؤكد أن العقيد «رامز» أطلع نسيبه «وديع برسوم» على ما توصل إليه من معلومات، ومنها أرقام هواتفي بإعتباري الحل الوحيد لأزمته

أعتقد أن البخيل «وديع برسوم» سيهاتفني الليلة، فقد أوشك على الجنون بحسب تقارير «كريم» باشا، وفشل تماماً في التوصل لخفايا الأحداث الغريبة، التي حدثت على مدار الأسابيع الماضية في فروع الكافيهات السبعة، الأكثر أهمية في سلسلة الكافيهات المكونة من إثنان وأربعين فرعاً داخل مصر، والتي تحمل علامة «نجوم أمريكا»، الماركة

المسجلة لواحدة من أشهر المقاهي الأمريكية، التي غزت بفروعها العالم أجمع، التي يملك حق إدارتها في مصر وديع برسوم

قبل أن أقوم بتنفيذ تلك الأحداث، حاول سيادة اللواء «كريم» من خلف ستار، أن يجبر «وديع برسوم» على التخلى طواعية عن جزء من أرباحه السنوية، لكن سيادته فشل في تحقيق ذلك، بسبب بخل وحرص وغرور «وديع برسوم»، المدعوم من بعض كبار رجال الدولة، ومن بابا الارثوزكس شخصياً، قريباً جداً سيدفع وديع الجزية لسادته عن يد وهو صاغر، وسينالني من الحب ربع الجزية، نظير خدماتي الثمينة لهؤلاء السادة

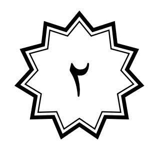
كان يجدر بأبوي «وديع برسوم» ان ينصحاه في طفولته ويقولا له «بَعْدَ أَنْ تَبْتَهِلَ لِنُزُولِ المَطَرِ، اِسْتَعَدَّ لِلخَوْضِ فِي الأَوْحَالِ» لأنه حتما مع الخير يأتي الضرر وكلما زاد الخير زاد الضرر، فكلما زادت ثرواتك وأرباحك كلما زادت شراسة المتربصين بك

بالطبع تتملككم الحيرة والفضول، لمعرفة كيفية وظروف تبوأي لهذه المكانة من السيطرة، ذات يوم سأخبركم بكافة تفاصيل علاقتي الوطيدة باللواء «كريم سليمان»، أحد أهم سادة مصر، لن أخفى عليكم سري، لكن الآن سأحكي لكم ملخص بسيط لمشواري، من القاع إلى القمة، إسمي «شوقي إبراهيم يعقوب»، عمري ستة وأربعون عاماً، وأنا إبن وحيد مدلل لأسرة مسيحية صغيرة، لسنا مسيحين مخلصين وربما لسنا مسيحيين على الإطلاق، ونادراً ما رأيت أبي وأمي يذهبون لكنيستهم إلا في المناسبات الاجتماعية، زواج وفاة الخ ... لا نرتاد الكنائس للصلاة، وإنما ندخلها لتأدية واجب اجتماعي، تجاه المعارف والأصدقاء، حصلت على بكالوريوس تجارة شعبة إدارة أعمال، وكما هو معتاد في مصر، لم أتمكن من الحصول على عمل يناسب مؤهلي، عملت لبعض الوقت في أعمال متنوعة، ثم جائتني فرصة عمري على طبق من ذهب، أحد أقاربي كان ولازال منذ عشرون عاماً يدير صالة ملهى ليلي، بفندق سياحي شهير يطل على الأهرامات، راقصة الملهى المثيرة توفى سكرتيرها في حادث سيارة، وكانت بحاجة ماسة لسكرتير أمين، لكي يساعدها في الرد على عملائها من كبار القوم، في مصر والدول العربية، والتعاقد معهم على الحفلات الخاصة، توسط لي قريبي للعمل معها، تسلمت عملي، وبعد فترة قصيرة كنت على وشك فقد عملي و حياتي، فإرتكبت

جريمة قتل للدفاع عن نفسي ومستقبلي، تغيرت حياتي كثيراً بعد أن قتلت «حمدي ستالين»، البلطجي الشهير والقواد الأعظم، المسيطر على كباريهات وكافيهات منطقة الهرم، ونجوت من حبل المشنقة، بفضل معارف أبي من كبار رجال الشرطة والقضاء، وبفضل المحامي الشهير «مجتبى تيمور»، حكم علي بالحبس سنة واحدة، بحسب مواد قانون العقوبات المصري من رقم ٢٤٥ إلى رقم ٢٥١، خرجت بعد تسعة شهور فقط

بعد تلك الإنعطافة الحادة في مسيرة حياتي، بإرتكاب القتل الأول تغيرت دنياي بشكل لم أكن أتوقعه، حتى إني شاركت في الثورة كثائر أحياناً، وكذراع للأمن أحياناً، وكمناصر للاخوان أحياناً، وكمناوئ للاخوان وربما أحكي لكم تلك التفاصيل ذات يوم، لأني أرى الآن على شاشة التلفزيون، تنويه بعرض حلقة جديدة، من برنامج صديقتي وإحدى عشيقاتي، المذيعة المتصابية الشبقة على الدوام «تهاني القماش»، سوف أشاهد هذه الحلقة الآن، ثم سأضاجعها الليلة في موعدنا المعتاد، بعد منتصف الليل، «تهاني» تبيت عندي يومياً في إحدى غرف مكتبي بأرض الجولف، وهي تأتي لمكتبي بعد أن تنتهي من كافة مشاغلها ومواعيدها، وهي تداوم على زيارتي يوميا منذ أن باعت شقتها القديمة لتستفيد من ثمنها بتشطيب وتجهيز وفرش فيلتها الجديدة على أحدث وأرقى مستوى، وبالطبع لن تستمر «تهاني» بالنوم في مكتبي بعد استلام تلك الفيلا





الاِسْمُ الثَّانِي: مُذِيعَةٌ

حَيَاةٌ بِلَا مَالٍ وَبِلَا مُتْعَةٌ وَصِحَّةٌ وَشُهْرَةٌ، المَوْتُ خَيرٌ مِنْهَا

- جاهزة يا استاذة تهاني، هنطلع هواء بعد دقيقتين

ها قد تعكرت نشوتي، وتبخرت شهوتي الخفية بين يدي «حسن»، بسبب نبرات صوت مساعد المخرج النحاسية، التي تجشأها من ثغرة يطلق عليها مجازاً فم، هو بالأحرى ثقب مقزز، محفور ببشاعة في رأس تشبه ثمرة قلقاس، لصقت مباشرة من دون عنق، فوق برميل كريه المظهر والجوهر، يزعم البعض انه جسد بشري، على سبيل الرأفة بصاحبه الذي أجزم بأنه لا يستحق أي شفقة، ودون أن يهتم بسماع ردي إبتعد «ابراهيم»، مساعد المخرج متدحرجاً بجسده القمئ، السمين على أرضية الاستوديو، التي ابتلعت كتلته القصيرة في غياهبها، بصوت أنثوي مغناج يحمل معاني جنسية أجلجل بحنجرتي ليسمعني هو والمخرج

- أنا مستعدة من بدري

وكعهدي به يفر مني «ابراهيم» كجرذ، لا يجروء على التواجد في حضرة قطة برية، رائعة الجمال مثلي

أجلس على مقعد فوتية جلدي، نخم بسخاء، داخل بلاتوه برنامجي بالاستوديو، وتحيط بي أربعة كاميرات ضخمة، وخمسة كشافات إضاءة، بعضها مطفأ، والماكيير [5] الشاب يضع لمسات خفيفة على وجهي، قبل ظهوري على الشاشة، برغم انه منذ دقائق قليلة قام بعمله على أكمل وجه في غرفتي الخاصة، بالاستوديو ولكنه يحكها [6] كعادته،

٥ الماكيير لفظة مستحدثة تطلق على المختص بتزيين وجوه الفنانين والمذيعين والمشاهير

٦ يحكها هنا بمعنى يلتمس الأعذار للتواجد بقربها، والحك في العامية المصرية بمعاني كثيرة أشهرها الاحتكاك الجسدي

وكـمـا تعلمون الحك لا دين له، هذا «الماكيير» مكار كأغلب «الماكييرات» الرجال الماكرين جداً، ولكن هذا الشاب أشدهم خبثاً ولؤماً

جسد «حسن الماكيير» نحيفاً بإعتدال، ويثيرني حد الجنون، خاصة عندما ينزاح أسفل قميصه المنسدل خارج سرواله، ليغطي أعضاؤه الحميـمية، وإليته العضلية، الخالية تقريبا من اللحم، وها قد إنزاح ذيل قميص «حسن» أثناء تحركه بالقرب من جسدي، و للمرة الخامسة اليوم أرى إنتصابه، الذي يوشك أن يمزق سرواله ويخترقني من كل ثغراتي، كثيرا ما تسنح لي هذه الفرصة الرائعة من الشبق الخفي العارم، عندما تسقط عيناي المتلصصة بإستمرار على انتصاب «حسن» الدائم، كلما جلست بين يديه ليمارس إبداعه برسم، وتجميل وجهي الفتان، ليجهزني للظهور على الشاشة

من ذا الذي يجروء على مقاومة سحر «حسن»، ذو الوجه الرجولي الملامح، والحاد التقاطيع بجاذبية لا تقاوم، يشبه كثيرا تماثيل النحات الإيطالي مايكل أنجلو، ويداه معروقتان وإلى حد ما تتشرخ عضلات ساعده القوية، التي أراها دوماً بارزة من أكمام قميصه الذي يقوم بطيه أثناء عمله ليصل إلى مفصل كوعه

- خلاص يا استاذة تؤمريني بحاجة تانية؟

إبتسم لي «حسن» فشكرته، وعيناي تعصفان على وجهه بأعاصير من الألغاز الأنثوية، وثغرى مستتر بإبتسامة محايدة، كي لا ألفت أنظار العاملين بالاستوديو، ينصرف «حسن» عني، وينزوي الآن في أحد جوانب البلاتوه كعادته، ليرمقني عن بعد بعيناه النهمتان طوال وقت الحلقة، ويمتع ناظريه بأنوثتي الطاغية، التي لا قبل لرجل على مقاومتها

هل أخبرتكم ان «حسن» ذو القامة الممشوقة لم يتخطى الثلاثين بعد وانني تجاوزت الأربعين بأعوام قليلة، سأكون ككتـاب مفتوح بين أيديكـم، ولن أُخفي عليكم أي أسرار، إلا ما يترتب علىَ افشاؤه ضرر على حكام مصر، أو عليَّ، أو حتى عليكم، واعترف لكم، بأني قد إعتدت من هذا «الحسن» ان يقوم بين الفينة والاخرى بملامسة تضاريس جسدي، بظهر يده بحركات تبدو عفوية، أثناء وضعه الماكياج على وجهي، في قرارة نفسي أعلم بأنه يشتهيني، وإن كان يخفي رغبته في اعتلائي بمهارة شديدة،

عبر ملامح وجهه الجادة، التي كثيرا ما تشرق بإبتسامة تغمر وجهي بدفئه، ورجولته الفواحة، حينما يمتعني كعادته بحكي نكات تبدو بريئة في ظاهرها، لكنها ليست كذلك أبداً

لست متوهمة في تيقني بإشتهاء «حسن» لجسدي الأنثوي الجذاب، الشهي كثمرة كمثرى تامة النضج، تذوب في فم من يتناولها كقطعة كريمة مغطاة بشيكولاته، فلدي ترموتر في غاية الحساسية والدقة تجاه الرجال على الأخص، وأعترف لكم بأن «إبراهيم» مساعد المخرج، الذي نبهني منذ لحظات بإقتراب موعد بدء البرنامج، يحتقرني أشد الإحتقار، وإن كان يخفي ذلك تحت ستار كثيف من الإحترام الزائف، هذا «الإبراهيم» غالباً يحتقرني ويكرهني، بسبب مشاهدته لإفتراءات المذيع «باسم يوسف»، وسخريته السمجة مما يعده ويعتقده، تناقض في مواقفي الشخصية، التي يجتزأها بخبث، كي يضحك الجماهير كأي أراجوز تافه

أضيئت جميع كشافات الإضاءة، فأغرقتني في بحر مبهج من النور، عبر السماعة الصغيرة المثبتة في أذني يصلني صوت صديقي «مدحت»، مخرج برنامجي وأحد عشاقي المتيمين بجسدي اللبني البض، يخبرني المخرج في «الإيربيس [٧]» المدفون داخل فتحة أذني اليمنى بالإستعداد، لأنه بعد عشرون ثانية سيبدأ ظهوري على الهواء، عبر شاشة القناة الفضائية التي أعمل بها، أعتدلت من فوري في جلستي، على مقعد الفوتية الجلدي، الذي أجلس عليه أثناء تقديمي لبرنامجي الشهير، وأوجه نظري تجاه الكاميرا المقابلة لي، وبجوارها شاشة المونيتور الضخمة، التي يظهر عليها بأحرف كبيرة رؤس المواضيع، والنقاط الهامة التي سأتناولها في حلقة اليوم، والتي سبق لفريق الإعداد تجهيزها

أحي جماهير المشاهدين بتحيتي المعتادة، بتلك الديباجة التي حفظتها عن ظهر قلب، لطول ما رددتها كبغبغاء مجنون، و هأنذا أبدأ في تحليل، وإستعراض أهم المعلومات التي وصلتنا، عن الهجوم الإرهابي الذي نفذته خلية إجرامية، إرهابية على أحد أكمنة الجيش في «الوادي الجديد»، نتج عن هذا الحادث سقوط عشرات القتلى من جنود الجيش المصري، فلهذا أنا الآن أرسم على وجهي خليط من ملامح الغضب، والحزن

٧ جهاز «الإيربيس» هو سماعة صغيرة الحجم توضع داخل أذن المذيع وهي وسيلة التواصل الأساسية التي يستخدمها المخرج والمعد لتوجيه المذيع أثناء تقديمه للبرامج

والتعاطف، مع هؤلاء الضحايا، وأعزي أهاليهم عزاء حاراً، وأثني على بطولة أبنائهم، وبعد ثواني سأبدأ في تأبين الشهداء، وأتكلم عن مثواهم في الجنة كأبطال، دافعوا عن الوطن الغالي مصر، وماتوا فداؤه

يصلني صوت المخرج في «الإيربيس»، يخبرني بوصول ضيف الحلقة للاستديو، وأنه يتم تجهيزه حاليا بالمايك، وفي منتصف الحلقة، ينضم لي ضيفي اللواء «فؤاد سلام»، ضابط أمن الوطن السابق، وخبير الجماعات الإرهابية، وهو ضيف إجباري، تفرضه إدارة القناة على برامجها في كثير من الأحيان، خاصة في الأوقات التي نتناول فيها موضوعات عن الجماعات الارهابية، خصوصا جماعة الاخوان المسلمين، استضفت في برنامجي اللواء «فؤاد سلام» عدة مرات قبل اليوم، لكن حلقة الليلة تختلف بعض الشيء عن الحلقات السابقة، التي حاورته خلالها قبل «ثورة ٣٠ يونيو» المجيدة، والتي نجحنا فيها بعزل «مرسي»، وإسقاط «الاخوان المسلمين» من فوق كراسي الحكم، ووضعهم في مكانهم الصحيح، خلف القضبان وتحت الثرى، حتى لا تتحول مصر على ايديهم لدولة متخلفة ورجعية

خلال حواري الآن مع اللواء «فؤاد»، يشرح لي وللمشاهدين، جميع ملابسات الحادث، ببراعة رجل أمن متمرس، ويقدم عدة تحليلات، لكيفية ارتكاب الجناة للمذبحة البشعة، التي راح ضحيتها عشرات القتلى، دون ذنب أو جريرة، بأيدى فئة ضالة، خائنة لا تنتمي للإنسانية من قريب أو بعيد، وقبل نهاية الحلقة بقليل، يفاجأني اللواء «فؤاد» بطمأنتي وطمأنة الشعب المصري، ويزف لنا بشرى مفرحة، بأن لديه معلومات مؤكده، عن نجاح مباحث أمن الوطن في القبض على منفذي الهجوم الإرهابي، وسيتم تقديمهم للقضاء خلال أيام، لينالوا عقابهم

في نهاية الحلقة أشكر اللواء «فؤاد»، وأطمأن المواطنين بأن في مصر رجال، ساهرون على حمايتها، ويبذلون دمائهم لحفظ الأمن والأمان، فهم خير أجناد الأرض، وانهي حلقتي بديباجتي المعتادة، التي أتمنى فيها التوفيق للرئيس «السيسي»، وأسأل الله بشكل آلي أن يحفظ مصر وشعبها، ويتوالى ظهور تترات نهاية الحلقة على الشاشة

أنهض من مقعد الفوتية الضخم الفخم، وكان أغلب العاملين بالبلاتوه، بإستثناء

مساعد المخرج قد صفقوا بحرارة لحظة نزول التترات عقب انتهاء الحلقة مباشرة، وهاهم يلتفون حولي، ويحاصروني بعبارات التهنئة بالحلقة الرائعة، أشكرهم، وأشكر فريق الاعداد على ما بذلوه، من جهد مميز، وأتلفت حولي بعد ان انصرف عني أغلب زملائي، فيقع بصري على اللواء «فؤاد»، الذي يقف الآن في أحد أركان الإستوديو مع «مدحت»، مخرج الحلقة، أتوجه نحوهم وتدفعني رغبة محمومة، لإستنطاق اللواء «فؤاد» بخصوص حقيقة ما ذكره للمواطنين على الهواء منذ قليل، عن القبض على الإرهابيين، الرجل كما يتضح لي الآن متأكداً، ومتيقناً من صحة معلومات مصدره، وموثوقيته، وتنتابني مشاعر إرتياح شديد، ويغمرني سرور طاغي بالقبض على هؤلاء المجرمين، كلي أمل ان يتم اعدامهم علناً، حتى يرتدع أمثالهم من أعداء الدولة، ممن إنصاعوا للشيطان اللعين

أصافح اللواء والمخرج وأبتعد عنهما، واتجه بنظري نحو المكان الذي اعتاد «حسن» الوقوف فيه، وأودعه بإيماءة خفيفة من رأسي، نفسي تحدثني بالقفز عليه ومضاجعته، أمام جميع الحاضرين في الاستوديو، نعم أنا مجنونة لكن ليس لهذا الحد، أنجح في كبح جماح نفسي بسهولة، واعدة إياها بالنيل من حسن عن قريب، إذا ما أتيحت لنا ظروف مناسبة للاختلاء ببعض خارج العمل

أغادر مقر القناة الفضائية مسرعة، فلدي موعد هام على سرير مسؤول كبير، لن أذكر إسمه حتى لا تلوكوه بألسنتكم، كعادتكم في تشويه، ومحاكمة كل من يتولى منصباً حساساً، كما لو كان من المفترض ان يكون نبياً معصوماً

ليس لدي أصدقاء بالمعنى الحرفي لكلمة صديق، سواء من بنات حواء، أو من أبناء آدم، فكيف أئتمن من يتلونون ويميلون مع كل رياح، وأنا وأنت منهم، لا يوجد إنسان واحد على وجه الأرض، يستحق ان نثق به، لكن لدي عشاق يغنوني عن الصداقة، بدفء رغباتهم، وهيجان مشاعرهم، ونيران شهواتهم التي تستعر بجسدي، ولا تخبو بحضوري أبداً، أعترف لكم بأني أرض شرقانة، عطشانة ظمآنة على الدوام، ولا أرتوي أبدا من الحب، مهما أريقت وتدفقت داخل ثغور جسدي الثلاثة مياة الأصلاب

خلال الثلاثين عاما الماضية ضاجعت عشاقاً، لا حصر لهم، منهم من ضاجعته مرة،

ومنهم من ضاجعته مئات المرات، ومنهم من يضاجعني بين الحين والآخر، ومنهم من يضاجعني يومياً إلى ان تنقطع بيننا سبل التلاقي، ومنهم من يكن لي إحتقارا لا حد له، ومنهم من يعبدني من دون الله على فرض وجود إله، بل وساحقت أَيضًا عدد من النساء، منهم مساعدة الإعداد في برنامجي

أنا شهوة تمشي على قدمين، وتعشقني عيون كل البشر خاصة الذكور من عمر تسعة أعوام إلى تسعة وتسعين، وتعشقني أَيضًا عيون كثير من النساء، منهم «حنان» صديقتي، وحبيبتي التي تعمل ضمن فريق الإعداد، اعترف لكم بأني ماكينة جنس، لا تكل ولا تمل ولا تفتر، صدق من غازلني ذات مرة قائلاً « جامدة بالقوي يا مَكَنَاه [8] »، ورغم اني قد تجاوزت الأربعين، إلا ان جسدي لازال مشدوداً، ولم تترهل بشرتي بالسيلوليت المقيت، أنا من صنف النساء اللائي لا يغادرهن الشباب بسهولة، لن اسمح له أبداً بالهروب مني، جسدي صخري القوام بملمس ملبني لين غض بض، ككرة تنس مشدودة ولينة في الوقت ذاته، وتضاريسي تسيل شلالات من لعاب وماء أصلاب الإنس والجان، ووجهي لازال نقياً، وضاءً لم تقربه التجاعيد، وحتى لو ظهرت، سأمحوها بعملية تجميل كي أظل شابة مدى الحياة، كل من يراني يخال اني النسخة المصرية قلباً وقالباً من تلك المطربة اللبنانية الشهيرة، التي تطالب حبيبها بتقبيل الواوا

قبل «وكسة ٢٥ يناير» لم أكن من مشاهير المذيعات، كنت مجرد مذيعة ربط بالتلفزيون المصري، رغم اني وقتها كنت قد ضاجعت معظم قياداته، رغبة في الظهور للنور ببرنامج خاص بي، إلا ان ساعات الارسال أيامها كانت محجوزة للمحظوظات، الموثوق في ولائهن بعلاقاتهن الحميمية في مخادع القيادات السياسية التي تحكم مصر، بكل أسف أيامها لم يتسنى لي الوصول لمخادع سادة مصر، حتى أنال ثقتهم ويشملوني برعايتهم، وتأجلت أحلامي خمسة عشر عاماً

بعد «وكسة ٢٥ يناير» كلفتني «المخابرات العسكرية» بالذهاب إلى «ميدان التحرير»، والانضمام للثوار كإعلامية حرة مظلومة، وبدأت تحط علي الشهرة، بسبب مواقفي المعارضة لحكم العسكر وقتها، وبسبب آرائي التي لقنها لي سادة مصر المستترين، كان

---

٨ لفظة عامية مصرية بمعنى ماكينة وهي لفظة اجنبية ممصرة وهي في الفصحى الآلة

هؤلاء القادة الغير مرئيين، يريدون الاستعانة بوجوه جديدة لم تعرف بولائها لمبارك عبر الشاشات، والصحف، ولهذا اختاروني مع عدد من الاعلاميين المجهولين، كي نكون لهم عوناً، وسنداً لإستعادة السيطرة على مصر، واختاروني وفضلوني على الكثيرين، ووعدوني بتحقيق كل احلامي في الشهرة، والثروة مقابل ثمن بخس، وهو ان أطيعهم دون تردد، وأنفذ ما يطلبونه مني دون مناقشة، كنت ولازلت كالبئر السحيق أحتفظ بكل الأسرار داخلي، لكني سأستثنيكم وأطلعكم على بعض هذه الأسرار، طاعتي العمياء للسادة مجرد ثمن زهيد، أدفعه وأنال مقابله المجد والشهرة والثروة، وأخيراً تحققت أغلب أحلامي على أيديهم، صدقوني ووفوا بوعودهم، وفتحوا لي أبواب كانت موصدة من قبل، بما لهم من سطوة وسيطرة، ونفوذ لانهائي ككل الآلهه العظماء

لا تسلقوني بألسنة حداد، وتحاكموني بأمثالكم وآياتكم ومبادئكم وأفكاركم التافهة، العقيمة التي لا تغني ولا تسمن من جوع، فلستم خير مني وإذا ما أتيحت لكم نفس الفرصة كنتم ستفعلون مثلي وتقتنصوها، وترتشفوا السعادة والعلو في الأرض، وكلكم تعرفون أن حَيَاةٌ بِلَا مَالٍ وَبِلَا مُتْعَةٌ وَصِحَّةٌ وَشُهْرَةٌ، المَوْتُ خَيْرٌ مِنْهَا

لنعود لما كنت أحكيه لكم من قبل، هل تعرفون ان بعد «وكسة يناير» كان التململ والتذمر سائدا بين ضباط الجيش، ولهذا كلفت «المخابرات العسكرية» حفنة من صغار الضباط، الموثوق بولائهم للنظام بنشر دعاوي على الإنترنت، يطالبون فيها زملائهم بالانضمام للشعب الغاضب الذي يطالب بتغييرات جذرية، كان هدف الدعوة ليوم ثمانية ابريل هو جس نبض استجابة ضباط الجيش لتلك الدعوة، والسيطرة على أي معارضة داخله

لم يتشجع بالاستجابة للدعوة سوى شرزمة من صغار الضباط، كنت معهم في ميدان التحرير أؤيدهم، وأشجعهم وأحاورهم كي أسبر أغوارهم، وأكشف انتماءاتهم السياسية، وبعدها سطرت كل ما توصلت إليه في تقرير تفصيلي، سلمته «للمخابرات العسكرية»، وبهدوء ودون ان يشعر المعتصمين ليلتها بغيابي تسربت من التحرير، بعد منتصف الليل بساعتين، قبل ان تقتحم قوات الجيش ميدان التحرير فجر يوم تسعة ابريل، وتقبض على ضباط ثمانية ابريل وتحاكمهم

حينها كنت بضراوة نمرة شرسة، أعارض المجلس العسكري، بقيادة المشير «طنطاوي» والفريق «عنان»، وأرفض الحكم العسكري كما كان يرفضه أغلبية الشعب المصري وقتها، توغلت بين معارضي المجلس العسكري، وألقيت خطب ثورية نارية في كل الفعاليات المعارضة للحكم العسكري، ومن داخل تجمعاتهم وأنشطتهم نجحت في رصد كل أصحاب التوجهات المعارضة للنظام، الذين يريدون تحويل مصر لخرابة، وقدمت تقارير وافية عنهم للمخابرات العسكرية، التي نجحت في شراء بعضهم، واعتقال وقتل أغلبهم، وتنغيص حياة عدد كبير منهم بالتضييق عليهم في أرزاقهم، ومراقبتهم ليل نهار، وحسنا فعلت «المخابرات العسكرية»، فقد حمت مصر من الانهيار

قبل ذلك كانت «المخابرات العسكرية والعامة» قد نجحتا في استمالة، وتحييد «الاخوان المسلمين»، ووعدتهم بالتعاون واقتسام السلطة معهم بدلا من تخريب مصر، بالتنازع الذي قد لا يحمد عقباه، ان دهاء أسياد مصر لا حد له، كما ان جنون من يدعون أنهم ثوار لا حد له، كما ان طمع الاخوان وانتهازيتهم وسذاجتهم لا حد له، نعم ان سذاجة عقولهم الضحلة لا تصلح لأي شيء، بخلاف التكفير والارهاب والقتل، كما فعل أتباعهم أو مؤيديهم منذ أيام، حينما هاجموا كمين البرابرة بمحافظة «الوادي الجديد»، وقتلو عشرات الجنود بنذالة وخسة لا مثيل لها، وجهة نظري التي لازلت مقتنعة بها إلى الآن، ان الجيش كان يجب عليه حينما كان يقوم بفض اعتصامي رابعة والنهضة، أن لا يكتفي بقتل عدة مئات أو آلاف كما فعل، بل كان يتوجب على الجيش ان يبيدهم عن بكرة أبيهم، لو كان الجيش أبادهم، وخلص مصر منهم، واجتثهم من جذورهم برجالهم ونسائهم وأطفالهم، ما كانت لتحدث مذبحة كمين البرابرة، كنت سأنتشي حبوراً وسروراً لو كان قادة جيشنا أكثر قسوة مما هم عليه، ويفتكون دون رحمة بكل هؤلاء الجهلة، الارهابيين المتخلفين ويمحون مؤيديهم من الوجود، حتى لو أبادوا نصف الشعب أو حتى الشعب بأكمله، فإن مصر أهم من كل شيء، ومن الشعب أَيضًا

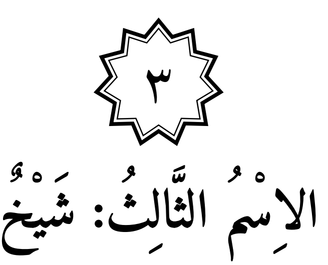
أنا مؤمنة بأن مصر لن تستقر كما كانت مستقرة أيام مبارك، إلا إذا تخلصنا من كل المخربين المجانين بالثورة، ونتخلص معهم أَيضًا من شيوخ الارهاب كالشيخ «عواض»، الذي إستضافته عدة قنوات بوجهه القبيح المغلول، وكلامه الغارق في الحقد والكره،

ولسانه الذي يقطر سماً زعافاً، للأسف استضفته مرة واحدة قبل ثورة ٣٠ يونيو

استضفت عدة شيوخ في برامجي في الفترة ما بين «وكسة ٢٥ يناير ٢٠١١» و«ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣»، كان أحدهم الشيخ «عواض»، بعد تداول فيديو شهير له على الانترنت، يحرض فيه المسلمين على محاصرة «كاتدرائية القديس مرقس القبطية الأرثوذكسية» بالعباسية، لإخراج مواطنة مسيحية أعلنت إسلامها، ثم عادت من جديد للمسيحية، وقتها كان الشيخ «عواض» وأشباهه من مثيري الفتنة، يزعمون ان المواطنة المختفية لازالت مسلمة، ويتهمون الكنيسة بإختطافها، وحبسها بالإكراه لتعيدها عنوة للمسيحية، كانت مظاهراتهم غوغائية، رفعوا خلالها شعار «عايز أختي»، وأظهروا ببشاعة مدى تخلف وهمجية المسلمين، وساعد فيديو الشيخ «عواض» على اشتعال الموقف، ثم دون اي سبب واضح انسحب هو وأتباعه من حول «الكاتدرائية» كما لو كانت معجزة سماوية ألهتهم بمشاغل غير أختهم المزعومة

في رأي الشخصي، الشيخ «عواض» وأمثاله هم من يشوهون عقول الشباب في المساجد، ويحرضونهم على التكفير وإراقة الدماء، ولو تخلصنا من الشيخ «عواض»، وأشباهه، لنعمت مصر بالأمن والإستقرار للأبد، والشيء العجيب انني قد إكتشفت خلال السنتين الماضيتين، تضارب وتعارض مواقف هؤلاء الشيوخ الإرهابيين، ومنهم هذا الدعي الملقب بالشيخ «عواض»، حتماً هو وأمثاله من أعوان إبليس اللعين





الاِسْمُ الثَّالِثُ: شَيْخٌ

إِبْلِيسُ هُوَ أَوَّلُ ثَائِرٍ رَفَضَ طَاعَةَ سَيِّدِهِ، وَهُوَ قُدْوَةُ كُلِّ ثَائِرٍ

انتهيت للتو من إلقاء درسي المعتاد، عقب صلاة العشاء في مسجد الرحمة، بمدينتي الحبيبة طنطا، كنت خلال الدرس قد حلقت بعقول وقلوب مستمعي الدرس، وأعدتهم لزمن الخلفاء الراشدين، والفتوحات الإسلامية، وحدثتهم عن فريضة الجهاد، ركيزة نشر دين الإسلام وإعلاء كلمة الله، التي كانت الدافع الأساسي لهذه الفتوحات العظيمة، حدثتهم عن فضل الجهاد الذي بدونه لا تقوم للإسلام قائمة، وأوضحت للمصلين، الذين صلوا صلاة العشاء خلفي منذ قليل، كيف كانت تخشانا ممالك الدنيا، يوم ان كنا على الدين الصحيح، ومن لحظة تركنا للجهاد اصبحنا مطية لكل عابر سبيل، و ملطشة لكل ناعق نفير

أنا بكل تواضع نار على علم، أنا داعية اسلامي مرموق مشهور، اسمي «محمد عواض»، واشتهرت بين الناس باسم الشيخ «عواض»، وخلال خطبي ودروسي لا أنفك عن العزف على أوتار قلوب المتابعين، المنصتين مستخدماً نبرات صوتي، التي ألونها تبعاً لموضوع الحديث، فتارة تكون نبرتي ناعمة، تتوغل في القلوب كالبلسم، وتارة أخرى تكون مشحونة بالحماس والقوة، فتبث العزيمة في النفوس، وتارة ثالثة تكون مهددة متوعدة، تنشر الرعب والفزع في أعتى الأفئدة وأصلد النفوس، ولكي اصدقكم القول، سأعترف لكم بأني ككل الدعاة والمشايخ في مصر، أتلقى تعليمات بالتحدث في مواضيع معينة، وان لا أتحدث عن أمور، محظور علي وعلى كل زملائي مشايخ السلفية أن يثيروها، وما الضير في طاعة أولى الأمر، كما أمرنا الله في كتابه الكريم، طالما كنا بطاعتهم نقدم خدمة جليلة للمسلمين، ونبصرهم بأمجاد الرسول وصحابته الغر الميامين

هدفي الوحيد في الحياة هو إستعادة مجد الإسلام، وإقامة دولة إسلامية، تطبق الشريعة، وتضرب بيد من حديد على وجوه المنافقين وأهل المعاصي، وتحي الفرائض المهجورة كنقاب وحجاب النساء، ولحي الرجال، وأمر الاطفال بالصلاة وضربهم كي يلتزموا بها، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف السامي، لا أخفي عليكم إني قد أكذب أو حتى أتعاون مع الشيطان

لا تحنقوا علي وتكرهوني لأني أتعاون مع مباحث أمن الوطن، فهم ليسوا شياطين كما يظن أغلبكم، وأنا أعتقد أن برغم وجود قلة مجرمة بينهم، إلا أن أكثرهم على خير، ويعاملوني بكل ود واحترام، أعرف الكثير من ضباط مباحث أمن الوطن، الذين يواظبون على الصلاة بجد وإجتهاد، برغم مشاغلهم الكثيرة، وخلال إحدى مرات استدعائي لجهاز أمن الوطن بطنطا، لمناقشة شأن من شئون الدعوة، رأيت بعيني ضابط يوقف التحقيق مع متهم، ويذهب مسرعاً لأداء صلاة العصر، بمسجد صغير في نفس المبني، ورغم انه كباقي زملائه، كان مضطرا لإستخدام القسوة مع المتهم، إلا ان رحمة الله وسعت كل شيء، فمن ذا الذي يتآلى على الله وينصب نفسه إلهاً، ليحكم بحرمان ضابط أو مخبر من رحمة الله، لمجرد قيامه بصفع أو ركل متهم ليستخرج منه الحقيقة، أليس هذا الضابط وزملائه يؤدون أعمالهم بإتقان؟!، وإن كانوا أحياناً يبالغون في الاتقان، فظني بهم هو سعيهم لنيل حب الله كما أبلغنا المصطفىَ ﷺ بأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه. أو كما قال

ربما يكرهني بعضكم بسبب موقفي، وموقف أغلب شيوخ ودعاة السلفيين، عندما عارضنا مرسي والاخوان، وانتقدناهم بقسوة، وكنا عوناً وسنداً لمنافسيهم، وساعدنا على عزلهم من الحكم، أعلم جيداً ان بعضكم ينقم علي بسبب تكاتفنا وتعاوننا مع قادة الجيش المصري، والذي قد يتهمهم البعض بالولاء لمبارك، لكن بالله عليكم ألم يسبقنا قيادات الاخوان لهذا الفعل، ألم يسبق لهم ان تعاونوا وتحالفوا مع المشير طنطاوي والفريق عنان، فلماذا هو حلال لهم حرام علينا، بأي منطق يكرهنا الكارهون وينقدنا المنتقدون وأغلبهم من الاخوان، أو قد نسوا قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم

ثم لنكون أكثر صراحة، فبوقوفنا مع الفريق السيسي آنئذ، كنا نفعل ما فعله أغلبية

الشعب المصري، الذي ضجر وإيانا من فشل مرسي وقادة الاخوان في إرضاء الشعب المصري، وتحقيق احلامه وآماله بتطبيق شرع الله العادل

لكن بما أني قررت ان أحدثكم بصدق ووضوح، لذا سأعترف لكم بأننا أَخْطَأْنَا بوقوفنا مع السيسي، كنا حينئذ نكرر نفس الخطأ الذي ارتكبه الاخوان قبلنا، مدفوعين بكراهيتنا لهم بسبب بعدهم عن دين الله، وموافقتهم على ممارسة الديمقراطية التي هي كفر بواح، نعم الديمقراطية كفر صريح فهي بدعة لا أصل لها في الإسلام، إنما هي في الحقيقة تعني حكم الشعب، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن الحكم إلا لله الواحد القهار، لعنة الله على من يرفض شرع الله والخلافة على منهاج النبوة والسلف الصالح، ويستبدلهما بالديمقراطية والإنتخابات والليبرالية والعالمانية والإشتراكية وكل البدع الغربية الكافرة، ولعنة الله على كل من يؤيد حكم الشعب، فإن الحكم لله ولو كره الكافرون، هذا ليس رأي الشخصي الذي قد يحتمل الصواب والخطأ، هذا هو الإسلام ومن خالفه فقد خرج من ملة الإسلام واتبع الشيطان وباء بالكفر، ومن يرى غير هذا فهو أعمى البصر والبصيرة، هل يستوي الأعمى والبصير

لست ممن يحيدون عن الإسلام قيد أنملة، فأنا مع الحق أينما دار، أفكاري وآرائي نابعة من كتاب الله وسنته وسيرة السلف والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، من يعترض على آرائي المتشربة لجوهر الإسلام الدين الحق فعليه ان ينتظر عقابه من الله

بعد أن انهيت الدرس خرجت من المسجد، وعدت لمنزلي وبدأت في متابعة البرامج السياسية على القنوات الفضائية كي أتقصى كل ما يستجد عن حادث كمين البرابرة، هل أخبرتكم بما حدث لي منذ أسبوعان، أثناء إلقائي لدرس من دروس الثلاثاء بعد صلاة العشاء، قاطعني أحد الشباب المتحمسين لنصرة الإسلام، واشتكى بقلة حيلة المسلمين، وقتها كنت أتحدث عن أهمية الجهاد لردع من يقتلون المسلمين في مصر، فقال الشاب

- لكن ليس لنا سبيل للجهاد يا شيخ «عواض» فنحن بلا قائد وبلا سلاح وهم معهم الجيش والشرطة والسلاح وخزائن مصر من تحتهم وأغلبية الشعب معهم بعد أن غسل الإعلام عقولهم

كنت منذ حوالي خمسة أشهر، قد تحولت تدريجياً لمهاجمة الانقلاب على الرئيس

الشرعي محمد مرسي، بعد ان أريقت أنهار من دماء المسلمين، واكتظت المعتقلات بشبابهم ونسائهم وأطفالهم، كان موقفي الجديد من الإنقلاب، هو تماشي مع الشعور السائد بين المسلمين، الذين اتضحت لهم حقيقة إجرام الانقلابيين، وفجورهم في التعامل مع المتدينين، تناسيت كل كراهيتي للإخوان وسرت مع تيار التعاطف الشعبي معهم، تم هذا بالطبع بعد أن تم تكليفي بمسايرة الشعور العام لدى المسلمين، حتى لا أفقد تأثيري عليهم

كنت قد أوضحت لكريم باشا انصراف الناس عني، وتحقيرهم لي، ان جهاز مباحث أمن الوطن وأجهزة الدولة الأمنية ليسوا مغفلين فهم يعرفون ماذا يقال وفي أي وقت يقال، فعندما بدأ الناس في النفور منا والانصراف عنا، وسبنا واتهامنا بالعمالة وأننا مشايخ سلطة و(عمم على رمم)، فلهذا تم تكليفنا بمسايرة الناس، والتنديد بجرائم الإنقلابيين، لكي نستعيد ثقة الناس واحترامهم مرة أخرى

سأطلعكم على أمر لم أقصه على أحد من قبل، منذ عدة أشهر كنت في زيارة لمكتب سيادة اللواء «كريم سليمان» بمبنى مباحث أمن الوطن، بمدينة نصر في القاهرة، اللواء «كريم» الذي هو أحد كبار قادة أمن الوطن، والمسؤول عن ملفي أنبأني سراً انه يكره السيسي والانقلابيين الذين يحاربون الإسلام علناً بغلق القنوات الإسلامية، وقتل المسلمين وإعتقالهم، وإغلاق المساجد وهدمها في سيناء على رؤس المصلين، كما فاجئني «كريم» باشا بأنه يريد ان يذيق قادة الإنقلابيين واتباعهم من نفس الكأس، ويقتل جنودهم حتى تنهار قوتهم ويسقط نظام حكمهم، قال لي يا شيخ «عواض» أريدك ان تجند من نتوسم فيه رغبة صادقة في الجهاد، كما أبلغني بأنه على صلة بعدد قليل من المجاهدين المنتشرين في الصعيد وسيناء، ومعهم السلاح والمال لكن ينقصهم الجنود، ودوري هو العثور على من يرغب بالجهاد ثم نرسله لهؤلاء المجاهدين، كي يساهموا بنصر دين الله والتمكين لشرعه، هذا القائد المسلم الخلوق الذي يحترمني، ويؤيد تطبيق الشريعة الإسلامية سراً، كان قد أنقذني منذ ثلاثين عاما، حينما كان ملازم صغير السن ووقف بجواري في محنتي، رغم انه لا توجد صلة تربطه بي، غالباً تريدون معرفة ظروف تعرفي بهذا القائد ولن أبخل عليكم بروي حكايتي معه

منذ قرابة ثلاثون عاما، كنت قد اعتقلت في شهر فبراير عام الف وتسعمائة وستة وثمانين، عقب أحداث انتفاضة الأمن المركزي الشهيرة في يناير من نفس العام، آنئذ كنت مؤمناً أشد الإيمان بأحكام وآراء فقهية ضعيفة، مماثلة لآراء أتباع الجهاد والجماعة الإسلامية الذين نفذوا إغتيال السادات قبل سنوات، وقتها كان قد مر عدة أعوام على تخرجي من كلية الدعوة وأصول الدين، وفشلت في الحصول على وظيفة بسبب تقارير مباحث أمن الوطن عني، والتي رصدت فيها آرائي التي كنت أتشدق بها ليل نهار بين زملائي بالكلية، ولهذا لم يتم تعييني وقتها كإمام وخطيب في المساجد، برغم حصولي على شهادة تؤهلني لتلك الوظيفة، كنت حينئذ اسكن في منطقة الطالبية بالهرم في شقة مشتركة مع أربعة عشر طالبا وخريجا، وأعمل بشكل مؤقت في محل عصير قصب وفواكه في الطالبية، بالقرب من سكني، بينما بعد ساعات عملي أبحث دون جدوى عن وظيفة تناسب مؤهلي

فجأة وقعت انتفاضة جنود الأمن المركزي، التي عزل على اثرها وزير الداخلية السابق احمد رشدي، وطاردت قوات الجيش جنود الأمن المركزي، وقتلوهم في الشوارع بكل سهولة، فأغلبهم لم يكن مسلحاً كما رأيتهم في شارع الهرم، الذي تتفرع منه منطقة الطالبية، أثناء تلك الأحداث كان الناس يفرون، خوفاً وهلعاً من الشوارع التي كان معظمها يخلو من المارة، وكنت ضمن آخر الفارين العائدين لمساكنهم، أثناء سيري مسرعاً متجها لسكني، شاهدت جندي أمن مركزي يرقد مستتراً، خلف كشك جرائد على مدخل الطالبية من شارع الهرم، كان الجندي ينزف بغزارة، وكان مصابا بطلقات نارية في صدره وبطنه، وتحت جسده رشاش آلي يرقد مختفيا، وعلى الأرض حول الجندي رأيت آثار دماء، نتجت عن زحفه للاختباء خلف الكشك، فإتجهت نحو الجندي وأزحته قليلا كما لو كنت أساعده على الجلوس، لكني كنت أبعد جسده عن السلاح

حصلت على سلاح الجندي، الذي كان تقريباً فاقدا للوعي، ويهذي بكلمات عن بلده وإسمه، وخلف الكشك أدخلت الرشاش في سروالي وداخل قميصي، كي أخبئه ثم غادرت مكاني بتوجس ورهبة، سرت متجها لمنزلي، بخطوات تبدو عجيبة لمن يراها من

الأفراد القلائل المتوجهين مثلي لمنازلهم، كانت خطواتي كمشي الأعرج، لأن ركبتي كانت تعجز عن الحركة، بسبب ديبشك قاعدة السلاح الآلي الخشبية، التي أعاقت حركة ركبتي، الرشاش كان أشبه بجبيرة من المعدن والخشب، نجحت في الذهاب لسكني بالسلاح، فقد كانت الشوارع شبة خالية، وصعدت إلى سطح البيت وخبأت الرشاش، محشورا خلف برميل قديم ملاصق لسور السطح

بعدها بيوم نجحت في إخفاء الرشاش في الشقة، دسسته أسفل مرتبتي أثناء خلو السكن من زملائي، بعد عدة أيام اقتحمت قوة مدججة بالسلاح الشقة قبل الفجر بساعة، وقبضت علي وكبلتني بقيود حديدية، وكدرت زملاء سكني بالوقوف ووجوهم للحائط رافعين أيديهم لأعلى، وفتشوا الشقة تفتيش دقيق، وعثروا على الرشاش، واخذوه معي في سيارة ميكروباص، كانت ضمن عدة سيارات تنتظر داخل الحارة وعلى مدخلها، مؤكد ان أحد شركائي في السكن شاهد السلاح في غيابي وأبلغ عني

تم إقتيادي معصوب العينان لمكان مجهول، وهناك تم تعذيبي بوحشية، داخل قبو روائحه العطنة تثير في النفس الرعب والفزع، ونظرا لأني لم أكن مشتركًا في أي أنشطة جهادية، فلم يكن لدي ما أعترف به حيث لم أكن عضوا في اي تنظيم جهادي، فقاموا في النهاية «بسخمطتي [٩] » وامتهاني لشهران متواصلان، صوروني أثناء فعل السخمطة مرات عديدة، بكاميرا فيديو ضخمة كتلك التي تستخدم في تصوير الافراح، وتدخل حينها الملازم « كريم» لحمايتي من زملائه، وهو شاب قصير القامة، قمحي اللون وفي أذنه وحمة بيضاء بحجم حبة أرز، ويمتلك وجه طفولي برئ لازال حتى اليوم يحتفظ بنقائه، برغم السنوات الطويلة التي حفرت بعض آثارها على وجهه، وقتها تصدى الملازم « كريم» للضابط المسؤول عن التحقيق معي، والذي كانت رتبته أعلى من الملازم كريم، ربما كان ذاك الضابط المؤذي على رتبة رائد وقتها، لا أعرف اسمه، فلم يكن أحد يناديه سوى بلقب «الباشا»، لازالت ملامحه القاسية الإجرامية محفورة في ذاكرتي حتى اليوم

طلب الملازم « كريم» من الرائد ان يتوقف عن امتهاني كالعبيد، ودارت بينهم

٩ السخمطة لفظة عامية ريفية قديمة تطلق على الرجل الذي يمارس فيه اللواط طوعاً أو كرها، وعلى الفتاة التي أفقدها شاب عذريتها بوعود الزواج او بالإغتصاب، وعامة تطلق على من يتلوث شرفه أو يرغم أنفه قهراً ويذل

مجادلات حامية الوطيس، ذهب على أثرها الملازم «كريم» بنفسه لأحد كبار قادة مباحث أمن الوطن، واستصدر منه أمرا بتنحية الرائد المجرم عن ملفي، تسلم الملازم «كريم» ملفي وأوقف كل اشكال الإذلال والامتهان التي كنت أتعرض لها، ووضعني في عيادة داخل المبنى ذاته حتى برأت جروحي، وكان يحضر لي بنفسه وجبات الطعام في العيادة ويطمئن على صحتي، وقتها كان ولازال «كريم» باشا يصغرني بعدة أعوام، ونشأت بيننا علاقة طيبة بسبب أدبه الجم، وأخلاقه الراقية، والتزامه بالصلاة، وتعامله معي بعطف ورحمة، ومن حينها لم يتم اعتقالي إلى اليوم

أسبغ علي «كريم» باشا حماية تامة من قادته في جهاز مباحث أمن الوطن، وبذل قصارى جهده لكي لا يستخدموا الفيديو الذي صوروه لي وأنا مسخمطاً، وينشرونه بين الناس ويفضحوني، كما وعدني بإقناعهم بتدمير هذا الفيديو، كان المقابل هو ان أتعاون معهم بإخلاص لكي أسهل مهمة كريم باشا باقناعهم بإتلاف الفيديو الشنيع، الذي بكل أسف لازال محفوظاً لديهم، برغم تعاوني معهم وإخلاصي لهم خلال الثلاثين عاماً المنصرمة

سأصارحكم بسر نادرًا ما أحدث به نفسي، بعض تكليفات «كريم» باشا قد تبدو لي أحيانا متعارضة، وغير منطقية، لكني أنفذها عن طيب خاطر، بعد أن يقنعني «كريم» باشا بأسباب مقنعة ومنطقية، تجعلني أغض الطرف عن تناقض تلك التكليفات

على سبيل المثال بعد وكسه خمسة وعشرين يناير بعدة شهور، طلب مني «كريم» باشا حشد المسلمين، لمحاصرة كنيسة النصارى الكبرى بالعباسية، دون أن نقتحمها ونطالب بإطلاق سراح أخت نصرانية أعلنت إسلامها فإختطفتها الكنيسة وأخفتها في أحد الاديرة التابعة لها، حينها كانت مصر تموج بدعوات تطالب بحصار وزارة الدفاع، وعزل طنطاوي وعنان، وباقي قادة المجلس العسكري ومحاكمتهم، فدعوت أنا وعدد من مشايخ السلفيين لحصار الكاتدرائية بالعباسية، وأذاعت القنوات الفضائية دعواتنا بكثافة، وتجاهلت بث دعوات محاصرة وزارة الدفاع، التي كان يدعو لها المخابيل الملاعين، الذين يطلقون على أنفسهم مسمى ثوار، بينما هم رؤس فتنة يبغونها عوجاً، ويريدون تحويل مصر لدولة منحلة بلا دين ولا أخلاق، تحت زعم المطالبة بالحرية والعدل والتحديث

والعلم، استجاب الكثيرين لدعواتنا التي حشد لها معي عدد من مشاهير شيوخ السلفيين، وحاصرنا كنيسة النصارى الكبرى بالعباسية لعدة أيام

أثناء اعتصامنا حول الكنيسة هاتفني «كريم» باشا على هاتفي المحمول، فتسربت خفية لشارع جانبي، بعيداً عن الاعتصام المحاصر للكنيسة، لكي أتحدث معه دون أن يسمع حديثنا المعتصمين، فوجئت بأن «كريم» باشا يطالبني بفض الاعتصام وصرف الناس، حتى لا تحدث فتنه، لأن لديه معلومات مؤكدة بوجود نية لإستغلال حصارنا للكاتديرائية من قبل أقباط المهجر، الذين يسعون لإقناع أمريكا والدول الغربية بتقسيم مصر لدولتين، إحداهما مسلمة وأخرى نصرانية، طبعا أطعت أوامره أنا وأقراني المشايخ، وبصعوبة نجحنا في إقناع الناس بالعودة للبيوت، وترك الدولة تتولى مسؤولية إطلاق سراح أختنا، لم ينجح الثوار في حشد الشعب لمحاصرة وزارة الدفاع، بينما نجحنا في حشد أغلبية المسلمين وحاصرنا الكنيسة وبثثنا الرعب في قلوب النصارى، وأشعرناهم بقوتنا، الحمد لله الذي أفشل الثوار في سعيهم، قبحهم الله فهم اتباع إبليس اللعين، ألا تعلمون ان إِبْلِيسُ هُوَ أَوَّلُ ثَائِرٍ رَفَضَ طَاعَةَ سَيِّدُهُ، وَهُوَ قُدْوَةُ كُلِّ ثَائِرٍ

علاقتي بـ «كريم» باشا أفادتني منذ سبعة اعوام، زمن حكم الرئيس «حسني مبارك»، بالحصول دون مقابل على قطعة أرض مميزة، مساحتها ألف وثمنمائة متر بالقاهرة الجديدة؛ قسمتها لجزئين، بعت جزء مساحته الف متر بمبلغ محترم، أقمت به علي الجزء الآخر فيلا رائعة، لا تقيم فيها أسرتي باستمرار، فهم يفضلون الإقامة بمنزلي بطنطا، والذي حصلت على أرضه منذ عشرين عاما بواسطة أَيضًا من «كريم» باشا، وبمساعدات من عدة أمراء خليجيين شيدت على الأرض عمارة من ثمانية طوابق، أرض منزلي بطنطا كانت جزء من شونة تخزين، تتبع مصنع خصخصته الحكومة، وطرحت مبانيه وآلاته للبيع، وقسمت فناء شونة المصنع الشاسعة كقطع سكنية، طرحتها للبيع في مزاد علني، لكن علاقات «كريم» باشا مكنته من تجنيب مائة وعشرون مترا من أرض المصنع، وملكها لي دون مقابل

لكن المكسب الأهم الذي حصلت عليه بتعاوني مع جهاز مباحث أمن الوطن، هو ان الفيديو الذي صوروه لي محفوظ بأمان، في خزانة لا يصل إليها إلا أفراد يعدون

على أصابع اليدان، هم طبعا رئيس جهاز أمن الوطن وكبار معاونيه ومنهم اللواء «كريم سليمان»، قبل ثلاثون عاماً ساعدني الملازم «كريم» وقتها وطالب بإطلاق سراحي محتجًا بأن اعتقالي لا طائل من وراءه، ثم قدم لي معروف لن أنساه ما حييت عندما تمكن من تعييني في أحد المساجد كخطيب مسجد، رغم أني كنت مرفوضاً بسبب تقارير جهاز مباحث أمن الوطن كما أخبرتكم من قبل

أصر اللواء «كريم سليمان» أن يستمر مسؤولاً عن ملفي طوال الفترة الماضية، وإستعان وقتها بأحد أعمامه وهو من المقربين جداً للرئيس «مبارك»، كي يظل محتفظاً بملفي وعدة ملفات اخرى تعاطف «كريم» باشا مع أصحابها، وبرغم نقله عدة مرات لمدن ومحافظات عديدة، وارتقائه ووصوله لرتبة لواء، إلا ان «كريم» باشا لم يسلم ملفي لأي ضابط أو مسؤول، وحتى اليوم لازال هو الوحيد الذي يكلفني بمواضيع خطبي، ويتحايل أحيانا كثيرة على قادته، لكي يعطيني المزيد من الحرية في خطبي ودروسي وأتحدث عن مواضيع الجهاد، التي لا يقربها غير قلة قليلة من دعاة السلفيين، «كريم» باشا مؤمن جداً بأهمية تطبيق الشريعة، وان كان يخفي ذلك عن زملائه ورؤسائه، وهو يريد أن ينصر الإسلام ويمكن للمسلمين، ولهذا عندما طلب مني تجنيد شباب لكي يجاهدوا، ويثخنوا في جبهة الإنقلابيين لم أتردد ولو للحظة، ونفذت تكليفه لي بحماس شديد

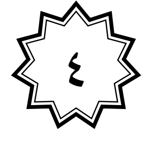
عندما كنت أتحدث عن الجهاد منذ أسبوعين قاطعني شاب غير ملتحي، قامته فارعة بشكل ملفت، وبنيته الجسدية تشبه الرياضيين، واشتكى هذا الشاب من عجز المسلمين عن الجهاد، بعد ان أنتهيت من إلقاء درسي في مسجدي بمدينة طنطا إقتنصت الفرصة واتجهت نحو باب المسجد، وتعرفت على الشاب ومشيت معه قليلاً أجاذبه اطراف الحديث، لسبر مكنون نفسه لكي أقرر مدى نفعه للجهاد من عدمه، «عثمان بكري» وهذا هو إسم الشاب، إكتشفت في داخله نية صادقة ونفس مشتاقة لقتال أعداء الإسلام وإبادتهم عن بكرة أبيهم، فدعوته لتناول العشاء في منزلي فقبل دعوتي، ذهبنا أنا و«عثمان» بسيارتي إلى منزلي، وطلبت منه ان ينتظر قليلا في السيارة، لأصعد لأسرتي وأعرفهم بحضور ضيف، دخلت الشقة وطلبت من ابني الاكبر «عبد الرحمن»

ان يختفي في حجرته، ولا يخرج منها إلا بعد مغادرة الضيف

رزقني الله خمسة ابناء، ثلاثة فتيان وفتاتان، وللأسف الشديد لا يوجد فيهم جميعا أي أمل أو رجاء، فعلى سبيل المثال ابني البكر عبد الرحمن اِبْتُلَى بإدمان المخدرات، وأودعته عدة مرات في مصحات كي أعالجه من إدمان الهيروين، ولكنه ما ان يخرج حتى يعود لسيرته القديمة من جديد، وغالبا هو الآن منتشي، ولهذا أخفيته عن ضيفي

خلال تناولنا للعشاء أنا و«عثمان»، تحدثنا عن أحوال المسلمين في كل مكان، وقلت له أن الحل الوحيد لحالة الهوان والضعف التي غرق فيها المسلمين هو العودة لفرض الجهاد المهجور، ثم أعطيت «عثمان» رقم هاتف الأمير «أبو إسلام» الذي زودني به «كريم» باشا، وطلبت من عثمان أن يتواصل معه ويتفقا على موعد اللقاء، كما نقدته مبلغ مائتا جنية لزوم مصاريف السفر، فرفضها بداية، ثم بعد إلحاحي الشديد تناولها ودسها في جيبه على استحياء وتردد، بعد أن انتهينا من عشائنا وحوارنا رافقت «عثمان» لباب الشقة وودعته وأنا أبتهل إلى الله جهره أن ينصره وينصر المجاهدين في كل مكان





الاِسْمُ الرَّابِـعُ: إِرْهَابِيٌّ

أَغْلَبُ مَنْ يَصْمُدُونَ طَوِيلًا يَكُونُ اِنْهِيَارُهُمْ مُرِيعًا وَقَدْ يَفْقِدُونَ الإِيمَانَ بِاللهِ

زأر هادراً في وجهي بصوته الرعدي مهدداً بعنف وغيظ وقسوة

- وحياة أمك يا عثمان الكلب ما هتشوف الشمس تاني ولا هتخرج من هنا لو مبطلتش ملاوعة وكذب واعترفت بكل حاجة

ثلاث رجال يحيطون بي، ولا يخفون وجهي سوى بعصابة سوداء عريضة، تنزاح عن عيني أغلب الوقت بسبب إنهيال سيول اللطمات، والركلات من رجلان غليظا القلب والجسد، ضرباتهم كقسوة وجوههم الإجرامية، التي تبث الرعب في محيطها كبركان ثائر بفظاظة وحشية، ويملأ الجو بالرعب والحمم والدخان الخانق، المدمع للعيون والقلوب، خلف الرجلان أو بمعنى أصح الشيطانان الرجيمان يقف ثالثهم، ذو الملابس الأكثر أناقة، والوسيم إلى حد ما، وترتسم على وجهه ملامح شيطانية قاسية، مغلفة بإبتسامة من يتلذذ بآلام الآخرين، أعتقد أن ثالثهم ضابط بسبب طاعة الشيطانان العمياء له، هذا الضابط طويل القامة، لكنه أقصر مني بقليل، قامتي فارهة كالنخيل، وطولي مائة واثنان وتسعون سنتميتر، الرجلان اللذان يضرباني بعنف وحشي هم غالباً من أمناء الشرطة، أو المخبرين، ملابسهم توضح مدى تدنى ذوقهم، رغم محاولتهم البائسة اليائسة بالتشبه بملابس قادتهم إلا إنها محاولات فاشلة، ربما بسبب البيئات التي ترعرعا فيها، أغلب الوقت الذي كان يتم فيه التحقيق معي يسبني ويشتمني الرجلان بألفاظ، ونعوت بذيئة فاجرة فاحشة، يقذفاني بها أثناء ضربهما لي، فينزف جسدي دمائه، وتنزف نفسي كرامتها التي لا أظنني سأستعيدها بعد اليوم، كانا يستمدان من السباب وقودا دافعاً لضربي بوحشية شديدة، تعلن صراحة عن لاإنسانية هؤلاء الملاعين،

كدأبهما منذ بدأوا التحقيق معي اليوم منذ الصباح إنهال الجلادان علي جسدي بلكمات، وصفعات وركلات جنونية، بأيديهم وأرجلهم أثناء وبعد كلام الضابط اللعين

أنا في حالة يرثى لها، معلقا في الهواء من يدي اليسرى منذ ساعات طويلة، وقد تغير الرجلان بأشباههم في القسوة وانعدام الرحمة ثلاثة مرات، بمعدل ساعتين تقريباً لكل وردية ضرب، لم يتغير الضابط طوال الوقت، لكنه كان يغادر لبعض الوقت ثم يعود ليشرف بنفسه على تعذيبي الذي تزداد قسوته، أثناء وجود الضابط بالغرفة

ملابسي ممزقة ومبتلة، إثر سكب الماء البارد على جسدي منذ قليل لإفاقتي من غيبوبة قصيرة، دمائي تسيل من أنفي، وفمي الذي انكسرت بداخله سنة من الأسنان العلوية، بمقدمة فكي فبصقتها مع دم كثير، لم أخدعهم أو أكذب عليهم منذ اقتادوني لهذا المجزر، أو المقر الذي أجهل مكانه، ومن شدة جزعي وخوفي، ورعبي منهم كنت قد اعترفت لهم تقريبا بكل شيء منذ الوهلة الأولى، أنا متيقن بأن أَغْلَبُ مَنْ يَصْمدُونَ طَوِيلًا يَكُونُ اِنْهِيَارُهُمْ مُرِيعًا وَقَدْ يَفْقِدُونَ الإِيمَانَ بِاللّهِ، لهذا قررت ان لا أقاومهم حتى أحافظ على نفسي

أثناء إنهيالهم علي بالضرب أترنح، كفرع شجرة كسرته رياح عاتية، لأن جسدي كان شبه معلق في الهواء، ولا يلامس الأرض سوى الاصبعان الكبيران بقدماي، لم تنفعني كثيرا يدي اليمني، وفشلت أن أحمي بها وجهي كنت أتقي اللكمات والصفعات بكف تلك اليد أحياناً، وبباطن منتصف ساعدها مقابل مفصل الكوع أحياناً أخرى عندما يزداد الألم في كف يدي اليمنى، التي تورمت من قسوة ضرباتهم التي نالتها بدلاً من وجهي، يدي اليسرى تورمت أَيضًا، وسرى بها خدر خفيف لأنها مقيدة بكلابش معدني، معلق بحلقة في منتصف سقف حجرة فسيحة، يبدو انها أعدت خصيصا لجلسات التعذيب أثناء انتزاع اعترافات الضحايا المعتقلين، عيناي الغارقتان في الدموع تنجذبان أغلب الوقت دون إرادة مني للتركيز على سرير إستانلس معدني، يشبه إلى حد ما سراير المستشفيات، يرقد كمصير محتمل لي في أحد جوانب الغرفة الفسيحة

حوائط تلك الغرفة مثل أرضيتها، مغطاة ببلاط سيراميك تلطخه بقع دماء متجمدة، لم يفلح التنظيف في إزالة تلك البقع الدموية الصغيرة التي تظهر بوضوح في حواف

البلاط، خصوصًا التي على الحوائط خلف السرير المعدني، بدا لي السرير المعدني غريباً بعض الشيء، فقد كان طوله حوالي متران ونصف وعرضه حوالي متر

هذا السرير حاله مماثل لحال الحوائط، تتجمد عليه بقايا دماء جافة، تظهر جلية في حوافه وخدوشات سطحه، يبدو السرير المعدني كما لو أنه تزجة [10] خراط معادن، أو ميكانيكي سيارات، لكنه ملوث بالدماء، بدلاً من الزيوت والشحوم التي تلوث تزجة الميكانيكي، السرير مصنوع من معدن صلد، وعلى سطحه في الأركان، توجد حلقات مثبتة في الأركان الأربعة بقوائم السرير العلوية، التي ترتفع عن سطحه بمقدار قبضة يد

شاهدت بعيني أول أمس ضحية على ذاك السرير، تم تكبيلها من أرجلها وأيديها بأربعة أصفاد معدنية أو كلابشات كما يطلقون عليها، تم شبك تلك الكلبشات في حلقات اركان السرير الأربعة بشكل محكم، كان وضع الضحية أشبه بتمثال شبيه المسيح عليه السلام وهو مصلوب، لكن الضحية كان مصلوباً نائماً، ويداه متجهتان لعكس إتجاه أقدامه، وتعطيان نفس شكل دلتا النيل على الخريطة، ورأس الضحية المسكين ترقد متألمة فوق الكتفان التعيسان في قعر الدلتا، في نفس مكان القاهرة عاصمة القهر، التي يتفرع عندها دلتا نيل مصر

أول أمس عندما أدخلوني لهذه الحجرة وربطوني على الكرسي المعدني، كان يرقد مقيدا كضحية على هذا السرير شاب ملتحي، رأيتهم يعذبون ذاك الشاب في عورته بسلك كهرباء غليظ، أشبه بكابلات كهرباء الضغط العالي المعزولة، وطرفه كالفرشاة الخشنة، لكن قبل تعذيب ذاك الشاب بالكهرباء كانوا قد سكبوا على جسده كيروسين سائل، تعرفت عليه من رائحته النفاذة

الجلادين المجرمين عذبوا الشاب بالكهرباء في عورتاه الأمامية والخلفية مرات لا تعد ولا تحصي، لقرابة العشرة ساعات، وخلال تعذيب الشاب المسكين تسربت لأنفي رائحة احتراق جلده المتقرح، بسبب الكهرباء والجاز وخشونة طرف السلك الذي خدش وأدمى عورتاه، ذاك الشاب لم يكن لديه شيء يعترف به كما هو واضح لكل ذو بصيرة، ولكنهم كانوا يعذبونه بتلذذ غريب، كما لو كانوا يوصلون رسالة خفية، لعقلي

١٠ التزجة لفظة عامية تطلق على منضدة ادوات حرفيين إصلاح السيارات

الباطن مفادها هنا نهايتك يا عثمان يا ابن الحاج بكري

أبي الحاج «بكري» رحمة الله عليه كان فلاحاً مسكيناً، يستأجر أربعة قراريط، يتفنن في الاستفادة من كل شبر فيهم ليربي أولاده الأربعة، ولا يملك من حطام الدنيا سوى بيت صغير متهالك بالطوب اللبن، لم يفلح قط في تحقيق حلمه بإعادة بناؤه بالطوب الاحمر، توفى أبي ذاهبا لربه بتأثير الفشل الكلوي منذ قرابة خمس سنوات، أي قبل ثورة ٢٥ يناير بشهور قليلة، لم يترك لنا أبي بعد وفاته سوى مبلغ ثلثمائة وسبعون جنيها، رصيده في دفتر توفير البوستة، وبالطبع لم يغطي هذا المبلغ التافة مصاريف الجنازة، كما ورثنا عنه البيت الصغير المقام على أطراف قرية صغيرة، قريبة من مدينة طنطا، كد أبي طوال سنوات عمره الثلاثة وخمسون لكي يسترنا أنا وأمي وشقيقاتي الثلاث بهذا البيت، شقيقتي البكرية «راضية» تكبرني بعامان وحصلت على دبلوم تجارة، والوسطي «نادية» تصغرني بثلاثة اعوام لم تكمل تعليمها بعد الاعدادية وتزوجت مبكراً، وأصغرهن «هادية» تصغرني بعشرة أعوام وتدرس الطب بجامعة الأزهر، بينما لم أفلح سوى في الحصول على دبلوم زراعة منذ قرابة اثنى عشر عاماً

أما ذاك الشاب المسكين، الذي صلبوه وعذبوه على السرير المعدني، أمام عيناي أول أمس، فبتأثير وحشية التعذيب، انهال على جلاديه وقادتهم باللعنات أثناء صراخه وتألمه من الكهرباء، وابتهل مرارا وتكرارا إلى الله أن يخسف بهم جميعا الأرض، ويجعلهم عبرة للبشر كافة، فما كان من جلاديه سوى أن عاقبوه بوحشية، لم أكن لأتخيلها أو لأصدقها لو حكاها لي أحدهم، سملوا عيناه الواحدة تلو الاخرى، ثقبوها بأداة معدنية مدببة، ذات مقبض كاوتش، قريبة الشبه بالمفك، أو السمبك الذي يستعمله الحرفيين في ثقب الأخشاب والحوائط

أثناء فقأهم عين الشاب كانت صرخاته تنطلق مدوية، كصوت رعد يغلفه برق حارق خارق، ظننت لوهلة أن صرخات آلامه ولعناته ستنسفهم، وتحيل المبنى رماداً صفصفًا، وستخرق كل الحواجز ليسمعها ويراها البشر أجمعين

هؤلاء الكفرة المجرمين الظالمين هم بلا شك أخلص أتباع ابليس اللعين، من المؤكد ان الشيطان قد تمكن من عقولهم وقلوبهم، وأضلهم ضلالاً لا هداية منه، ومؤكد أن

الله قد زادهم ضلالاً على ضلالهم، لأن الله يضل الظالمين كما أنبأنا في قرآنه الكريم

على أثر سمل عينا الشاب، وفقده لنور عيناه، ونزول قطرات دماء من عيناه المفخوئتان أصيب الشاب بنوبة إنهيار عصبي، وتهيج بجنون، فقام جلاديه بإخراجه من غرفة التعذيب اللعينة على نقالة لمكان أجهله، غالبا أودعوه زنزانة سرية تحت الأرض كتلك التي سيقذفوني فيها بعد ذلك، أخرجوا الشاب محمولاً على نقالة بأربعة عجلات، يدفعها رجلان، أحدهم كما يبدو من بعض ألفاظه الانجليزية طبيب، في الخمسين من العمر، يرتدي نظارة طبية، وبلوفر صوف أنيق، لونه بني منقوش باللون الوردي الفاتح، وسروال أخضر غامق، ألقى الطبيب نظرة لا مبالية على الشاب المسكين الذي كان يتألم، ويصرخ ويهذي، وأمر الأمينان ان يضعاه على النقالة، ساعد معهم في دفع النقالة جندي صغير السن، يرتدي ملابس مدنية، هذه كانت المرة الوحيدة التي شاهدت فيها جنديا صغيراً في سن التجنيد في هذا المجزر الشيطاني

وفي الجانب الآخر بالحجرة، ومقابل السرير المعدني مباشرة وان كان يبعد عنه حوالي ثلاثة أمتار، يوجد كرسي معدني ضيق وعجيب الشكل، قضيت عليه ليلتان مشدود الوثاق من قدماي ويداي كفرخة تم تكتيفها وتثبيتها على شواية، أثناء النوم ليلاً على هذا الكرسي البشع كانت مفاصلي تتيبس، وعانيت خلال اليومان الماضيان من هذه الجلسة معاناة شديدة، تتجاوز معاناتي من التعليق والضرب بكثير، يكفي ان أقول ان الموت أهون من التصفيد بأغلال هذا الكرسي الشيطاني

أعترف لكم انه بحسب خبراتي، التي استقيتها من تجارب من سبقوني وحكوها لي، أن ما تعرضت له لا يشبه من قريب أو بعيد اي تعذيب حقيقي، كالذي تعرض له من حكوا معاناتهم مع مباحث أمن الوطن في مصر

كما أصارحكم أَيضًا بأني منذ اللحظة الأولى لدخولي هذا المقر المخيف، معصوب العينين، قد قررت ان أتجاوب معهم، واعترف لهم بكل ما أعرفه، اتقاءً للتعذيب، بالفعل أقريت بكل شيء، وسكبت لهم كل التفاصيل، صغيرها وكبيرها منذ لحظة لقائي بالشيخ «عواض»، خارج مسجد التوحيد «بطنطا»، وعزومته لي بتناول العشاء بمنزله، وحديثه عن ضرورة أن ينفر منا من يجاهد هؤلاء الكفرة أعداء الدين، الذين

تآمروا على الرئيس «مرسي» وعزلوه قهرا وحبسوه، وعذبوا المسلمين، وقتلوهم وحرقوهم بوحشية، تتفوق على وحشية بني صهيون في فلسطين المحتلة

لقد أطلعتهم على كل شيء حتى لحظة القبض علي، بالقرب من قرية من قرى مركز أسيوط، على الطريق الزراعي المتجه للقاهرة، بعد أن شاركت في غزوة فاشلة، نتج عنها تدمير سيارتين في كمين جيش، وإصابة جنديان بإصابات أظنها غير قاتلة، حكيت لهم ما حدث لحظة التنفيذ، حين واجهتنا مفاجأة لم تكن في حسباننا، فإكتفينا بتدمير سيارتين من سيارات الكمين، كما هدمنا باب عنبر اقامة أفراد الكمين بقذيفة «آر بي جيه»، ثم انسحبنا ولم نقتل أفراد الكمين، برغم غضب «أبو إسلام» علينا، وغيظه الذي لم يفلح في اخفاؤه

- هتستهبل يا كُسمك عايز تقنعني إنك انت والكلاب اللي كانو معاك مقتلتوش العساكر.. أومال مين اللي قتلهم؟ أمي!

ورغم أني لم أكذب عليهم، لكني اضطررت ان أحلف لهم مراراً وتكراراً، معطياً دلائل لا تقبل الشك على صدق اعترافاتي

- أقسم بالله العظيم يا باشا إن كل اللي قلتهولك صدق حتى اسأل التلاتة اللي كانوا معايا وقبضتو عليهم نفس يوم ما قبضتو عليا وجبتوهم هنا.. حققوا معاهم هيأكدوا كلامي لأن ده فعلا اللي حصل وأنا مبكذبش وربنا يشهد على صدق كلامي

- إنت فاكرني من كاوالاه يا ابن الوسخة، انتو مظبطين رواية تحكوها لو إتمسكتو يا كلاب بس على مين، الحركات دي إتهرست مليون مرة يا بهايم

- والله العظيم يا باشا ما بكذب حتى اختبروني بجهاز كشف كذب

- هههههههه جهاز كشف كذب ايه ياض يا ابن الشرموطة، أنت فاكر نفسك رأفت الهجان، ولا فاكرنا فاضيين للعب العيال ده، أنا هخليكوا تعترفوا بالحقيقة يا ولاد الكلب يا ارهابيين

تدخل الشيطان الواقف يمين الضابط قائلاً

- الواد ده لازم يتخيط يا زياد باشا عشان يعترف

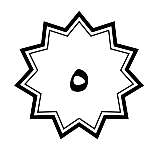
لم أفهم ما يقصده الشيطان بالخياطة إلا عندما وجه الضابط كلامه للجلاد قائلًا بنبرة

ساخرة متوعدة في نفس الوقت

- أنا مكنتش عايز أعمل كده انما ده صنف مايجيش بالأدب خليهم يجهزوا الكاميرات في الافشخانة، وروح روح إنت التاني هات الامين شنبو ينيك ابن المتنا كة ده لحد ما يتكرع ويعترف بكل اللي مخبيه

توسلت وبكيت واسترحمت هذا الضابط المتأبلس النجس، فتجاهل توسلاتي وخرج هو وشيطاناه المعاونان من الغرفة





الاِسْمُ الخَامِسُ: ضَابِطُ أَمْنِ وَطَنٌّ

الغَبِيُّ هُوَ مَنْ يَبْدَأُ حَيَاتَهُ مِنْ القَاعِ وَيَظَلُّ مَدْفُونًا فِيهِ

أثناء خروجي مع أمينا الشرطة، قال لي «معاطي»، انه هو و«بسيوني» سيقومان بتخييط الواد «عثمان»، لأن الأمين «شنبو» غالباً مرهق من الخياطة المتواصلة ليل نهار، فإبتسمت موافقاً، ومن داخلي أصبحت موقناً بأن أغلب أعواننا، من الأمناء وعساكر الدرجة الأولى، بل وبعض المجندين، قد صاروا شواذاً يعشقون اللواط بالمعتقلين، بسبب سهولة إغتصاب أي معتقل، والذي لم يسلم منه إلا قلة قليلة، نجت من اللواط لأسباب أغلبها قهرية

حسنًا سأعترف لكم بأن اغتصاب المعتقلين، وأهاليهم هو إجراء روتيني عام لابد أن يتم تنفيذه، سواء تعاون معنا المجرم الارهابي عدو مصر أو لم يتعاون، لكن أحياناً يتعرض الفرد المعتقل لخسائر بدنية عالية، كفقدان البصر، أو بتر الأصابع، أو إصابته بالجنون نتيجة التعامل القاسي، أو الموت أثناء الاستجواب، حينها فقط يكون اغتصابه إما مستحيل، أو غير ذي جدوى، فلا فائدة من كسر إرادة أمثال هؤلاء، واستغلالهم واستخدامهم كأدوات مفيدة لنا بالاندساس بين المواطنين، من نتيقن من إصابتهم بجنون شديد، ويكون أهاليهم فقراء لا حيلة لهم ولا سند، فهؤلاء يتم إطلاق سراحهم، فيذوبوا في الشوارع كالمجاذيب، يقتاتون من فضلات البشر، أما من تشوهوا جسديا، أو فقدوا أطرافهم فهؤلاء لا نطلق سراحهم، ونتخلص منهم، حتى لا يخرجوا بين الناس، ويسيئوا لسمعة جهازنا الأمني في الإعلام باتهامات، قد تجر علينا غضب الرأي العام، كثيرا ما نضطر لإعتقال أسرة الإرهابي، ونهدده بإغتصاب أمه، أو زوجته أو شقيقاته، وإيذاء والده أو أشقائه، لكي نجبره على الاعتراف بجريمته أو بما نريده، وسوف اعتقل

شقيقات ووالدة عثمان بكري فيما بعد وسأنجح في اجباره على تسجيل شريط فيديو، يعترف فيه بالهجوم على كمين البرابرة، وسيتم تنفيذ نفس السيناريو مع زملائه باقي أفراد الخلية، سنقبض على ذويهم، وسيعترفوا مثل عثمان، في أغلب الأحيان يتم اغتصاب النساء في غياب أو حضور الإرهابي بحسب الظروف، وبهذا ندمر علاقته بأسرته، ونجعله منبوذا منهم، أو على أضعف تقدير محتقرا حتى من أقرب الناس إليه

نسيت أعرفكم بنفسي، أنا الرائد «زياد العمري»، وأعمل بجهاز مباحث أمن الوطن، وأدخل الآن لمكتبي، وتتردد في أذني آخر دعوات الشاب الذي فقد نظره منذ يومان بين أيدينا، نتيجة استفزازه لنا بالدعاء علينا، ليلتها عندما وضعت جسدي على فراشي، بعد أن تجرعت ربع زجاجة فودكا، بولندي فاخرة، جائتني هدية من صديقتي وأنتيمتي المضيفة الجوية «لاميس»، وبدلاً من السقوط في بحر النوم الهادي، وجدت دعاء الشاب يتردد في أذني مرات ومرات، حتى انهكني الأرق، فنهضت من فراشي، وتجرعت قرابة ربع لترآخر، سقطت في بحر النوم وأذناي تتردد فيهما دعوة الشاب، «ألا لعنة الله على القوم الظالمين» وفي النهاية غرقت في النوم مطمئن البال، فلم أكن أبدا من القوم الظالمين، وان كان صدى هذا الدعاء في خيالي يزعجني قليلاً

لا أعتقد أني من القوم الظالمين، فهل حماية مصر من الإرهاب ظلم، وهل حماية مصر من السقوط والتفكك ظلم، طبعا ما أقوم به هو عمل وطني، ولا شك لدي في ذلك، فبرغم بعض التجاوزات، إلا إن الغاية تبرر الوسيلة، وغايتي هو ألا تصبح مصر مثل سوريا والعراق، فإستقرار مصر وأمنها هو غاية سامية، لابد من تحقيقها حتى لو أرقنا دماء الشعب كله، فمصر أهم من الشعب، ولكي أكون صادقا معكم، سأخبركم بأني مقتنع بصدق اعترافات «عثمان بكري»، وكنيته في الخلية ابو بكر، فهو وشركائه الثلاثة اعترافاتهم صادقة دون أدنى شك

منذ ساعتين خرجت من غرفة التحقيق، للاستراحة قليلا من عناء وتوتر التحقيق مع «عثمان»، وفي هذه الاستراحة القصيرة ذهبت لمكتب نائب مدير مباحث أمن الوطن، سيادة اللواء « كريم سليمان»، وبناء على أوامره أبلغته بآخر تطورات اعترافات أفراد الخلية الارهابية، ووضحت لسيادته، انهم يجمعون في إعترافاتهم على أن غزوتهم، كما

يطلقون عليها لم ينتج عنها سوى إصابة جنديان، ووضحت أَيضًا ان الوقائع التي اعترف بها أفراد الخلية متطابقة بشكل عام ولا تعارض فيها، وان أوصافهم تتباين تباين قليل، بسبب اختلاف تقديراتهم، ووجهات نظرهم حول المسافات، كما تتباين تقديراتهم أَيضًا حول المواقع والأماكن، مثل موقع تمركز جنود الكمين، وأوصاف إصاباتهم، وأَيضًا تتباين تقديراتهم حول ألوان السيارتان، اللتان تم تفجيرهما بقذيفتا «أر بي جيه»، ولون براميل الكمين، كما تتباين تقديراتهم أَيضًا في وصف حجم وشكل الانهيار في حائط وباب عنبر إقامة جنود الكمين، الذي قصفوه بقذيفة «أر بي جيه»، وأنبأت قائدي اللواء «كريم»، ان «عثمان بكري» يجزم في إعترافاته، بأنه أول من فتح نيران سلاحه على أفراد الكمين، وانه أطلق ثلاث رصاصات من رشاشه تجاه جندي على بعد أربعون متراً، وأصابت إحدى الرصاصات كتف الجندي، الذي بعد إصابته وسقوطه تواري مختبئاً، خلف برميل لونه أبيض، مخطط بخطوط حمراء عريضة، متقشرة بفعل الشمس، وفشل هذا الجندي المصاب في إطلاق نيران رشاشه على المهاجمين

بينما «يسري» أو «ابو فرج»، زميل «عثمان»، والذي كان يحمل قاذف «أر بي جيه»، يؤكد أن زميله «عثمان» أطلق عدة رصاصات على الجندي، الذي كان على مسافة خمسة وعشرين متر، وبعدها سقط هذا الجندي مصاباً في صدره أو بطنه، لم يكن «ابو فرج» منتبهاً لحظتها، بسبب انشغاله في تجهيز القاذف، لإطلاق قذيفة «أر بي جيه» ثانية على سيارة الكمين الجيب الصفراء، وأكد «يسري» انه بعد أن أطلق قذيفته، انفجرت السيارة الأولى، والتفت ببصره وشاهد الجندي الذي أصابه «عثمان» يصرخ متألماً، كما قرر بأن الجندي وهو مختبأ خلف برميل لونه بيج، أو سمني مخطط بخطوط حمراء باهتة، لم يستطع إطلاق نيران سلاحه ربما بسبب عطل في السلاح، شرحت بإستفاضة للواء «كريم»، أسباب تيقني من مصداقية اعترافاتهم، وأنهم لا يسردون تفاصيل موحدة، وإنما تفاصيلهم تختلف بحسب انطباعات كل فرد منهم وقت تنفيذ الهجوم

إقتنع سيادة اللواء «كريم» بكلامي، واتصل فورا باللواء «عادل موسى»، مدير فرع التحقيقات بالمخابرات العسكرية، وأبلغه بموجز لما تم إنجازه بعد القبض على أفراد

الخلية، وانتزاع اعترافاتهم، كما أخبره بشكوكه حول قيام الخلية بإبادة أفراد الكمين، البالغ عددهم سبعة وأربعون جنديا، بحسب تقارير ومعاينات المخابرات العسكرية لموقع الحادث الارهابي، ناولني اللواء «كريم» الهاتف، كي أشرح وجهة نظري في إعترافات الخلية لسيادة اللواء «عادل»، وبالفعل بدأت في الشرح بالتفصيل الممل، وكيف أننا بذلنا أقصى جهودنا معهم، قاطعني اللواء «عادل»، ودعاني للاجتماع به في مقر إدارة المخابرات العسكرية، في تمام العاشرة من صباح الغد، وأمرني بإحضار تقرير وافي، عن مسار التحقيقات، وتحليلي لاعترافات الارهابيين، وان أجلب معي كذلك كافة التسجيلات، التي تمت أثناء التحقيق مع أفراد الخلية الإرهابية، وطلب مني ان أخبره باسمي ورتبتي ورقم كارنية الداخلية، لكي يترك لي تصريح زيارة على بوابة الأمن، بمبنى المخابرات العسكرية، ففعلت، وكنت قد أخرجت كارنيهي من داخل محفظتي، وأمليت عليه الرقم وتاريخ انتهاء الكارنية

بعد ان أنهيت المكالمة مع اللواء «عادل موسى»، عدت لسؤال اللواء «كريم» عن آخر تطورات الموقف، بالنسبة لباقي المتورطين في الحادث الارهابي، ومتى سنتسلم الشيخ «عواض» إمام مسجد الرحمة بطنطا، والشيخ «نشأت» إمام مسجد السلام بمطاي، والشيخ «وهدان» من أبو تيج، الذين قاموا بتجنيد أفراد الخلية، واستفسرت أيضًا عن أسباب تأخر القبض على أمير الخلية «ابو إسلام»، وخامس الإرهابيين «ابو ناجي»، الذي تولى تصوير الهجوم، بكاميرا فيديو من كابينة السيارة، بجوار «ابو إسلام» أمير الخلية الذي كان يقود السيارة التويوتا، ذات الدفع الرباعي، التي استخدمتها الخلية في تنفيذ الهجوم الإرهابي، فأمرني اللواء «كريم» ان أنسى هؤلاء الأشخاص مؤقتا، ولا أعتمد على استجوابهم، لأنهم تمكنوا من الفرار خارج مصر، ولا أمل في اعادتهم، فمكانهم مجهول بالنسبة إلينا، وأنبأني أن المخابرات العسكرية تتولى الآن مسؤولية مطاردتهم والقبض عليهم، تعجبت من كلامه لأني أعرف أن الشيخ عواض متواجد داخل مصر ولم يغادرها

في نهاية اجتماعي باللواء «كريم»، أخبرته انه سيتم تنفيذ روتين «السيطرة» أو بمعنى أدق اللواط في «عثمان بكري»، وزملائه في الخلية، وتصويرهم وأرشفة الافلام كالعادة

فوافق، وأمرني بأن أكتب تقرير سري بمجريات اجتماعي في المخابرات العسكرية صباح الغد، وان أسلمه التقرير في أقرب وقت ممكن مساء الغد، أو بعد غد على أقصى تقدير

خرجت من غرفة مكتب اللواء «كريم»، وعدت لمكتبي فوجدت الأمينان «بسيوني»، و«معاطي» ينتظران خارجه، فتحت باب المكتب ودخلت، وهما في أعقابي، وأبلغاني بإنتهائهم من تجهيز غرفة الافشخانات، وأنهم بإنتظار أوامري لجلب «عثمان»، فأنبأتهما ان أمامنا عمل كثير الليلة في غرفة الأفشخانات، حيث لن يتم تنفيذ روتين «السيطرة» في «عثمان» فقط، بل أَيضًا سينفذ في زملائه الثلاثة، لكسرهم والسيطرة عليهم مستقبلاً، كان في داخلي يقين قوي بأن هذه الخلية لن يتم إرسالها للقضاء، ومحاكمتها بتهمة ابادة الكمين، لدي هواجس قوية بأن هناك يد خفية تسير الأمور من وراء ستار كثيف، وأن هذه اليد استخدمت الخلية كمخلب قط، وعندما لم تنجح الخلية في تنفيذ الأهداف المطلوبة منها، تم الارشاد عن بعض أفرادها

وعقب فشل الخلية في تنفيذ الهجوم الإرهابي، قامت الأيدى الخفية بتنفيذ الهجوم الإرهابي، من المحتمل ان تكون اليد الخفية نفذت الهجوم بمخلب قط إحتياطي، وغالباً نفذت الأيدي الخفية الهجوم بنفسها، بسبب صعوبة الإعتماد على هواة متحمسون دينيا، ولكنهم يفتقدون للخبرة، ويتسمون بضعف الشخصية والجبن، وانعدام الانضباط، وعدم الإلتزام الحرفي بتنفيذ الخطط والتعليمات كأغلبية الشعب المصري، الذي لا يصلح بتاتا لتفريخ ارهابيين، بسبب انعدام الجرأة وتفاهة وسطحية، وجبن وفوضوية، وأنانية أفراده، أعترف لكم بمنتهى الصدق بأن رأسي يموج بطوفان هائل من الاسئلة، التي لا أجد لها إجابات في الوقت الراهن، ولكني سأبذل جهدي لإكتشاف أجوبتها، وعلى رأس هذه الاسئلة لماذا لم يتم القبض على الشيخ «عواض»، و«ابو إسلام» و «ابو ناجي»، وغيرهم من المتورطين؟، ولماذا لم يتم اعتقال عائلاتهم كرهائن، لحين قيام المتهمين بتسليم أنفسهم؟، وهذا روتين يستخدم في وزارة الداخلية كلها، وليس في مباحث أمن الوطن فقط، وقد إستخدمته مراراً عندما كنت ملازم أول، بمباحث قسم دار السلام، قبل وكسة ٢٥ يناير، وأعلم علم اليقين ان جهاز مباحث أمن الوطن، الذي تم تعييني به بعد الوكسة في نهاية عام ٢٠١١م، يستخدم هذا الروتين منذ عقود

طويلة، ويدين ضباط المباحث في الداخلية لمباحث أمن الوطن بفضل هذه الاستراتيجية الناجحة على الدوام والتي ابتكرها ضباط «الشاباك» و «الموساد» في «إسرائيل»، للسيطرة على الإرهاب الفلسطيني تجاه المواطنين الإسرائيليين، المدنيين العزل من السلاح

دخلت لغرفة نطلق عليها الأفشخانة، ورأيت «عثمان» عارياً تماماً، ويرتجف من البرد، وهو مقيد من ركبتيه، في حلقتان مثبتتان بأقدام الدِكَّـة المعدنية المخصصة لتنفيذ روتين السيطرة، وتلك الدِكَّـة ترتفع عن الأرض أقل من نصف متر، بينما كان جسد عثمان منكفأً على الدِكَّـة المثبتة في أرضية الغرفة، وعنقه محاط بسوار جلدي كسوار الكلب، والسوار مربوط بإحكام في منتصف الدِكَّـة، ويداه مقيدتان أَيضًا بكلابشان، مشبوكان في حلقتان بقوائم الدِكَّـة بالقرب من الأرض

وضع «عثمان» أشبه بخليط من السجود والركوع، جسد «عثمان» بدايةً من بطنه وانتهاء برأسه كان منبطحا على الدِكَّـة المعدنية، ويشبه إلى حد ما جسر مقوس يرسم نصف دائرة تواجه الأرض، بينما مؤخرته ترتفع لتواجه الواقف خلف «عثمان»، الذي كان يتوسل لنا ضارعاً حتى نرحمه ولا ننفذ اللواط، ويعلن استعداده لكي يكون عبداً وفياً لنا باقي حياته، ويطيعنا طاعة عمياء

انضم لنا في غرفة الافشخانات زميلنا الجديد الطبيب الشاب «عادل عبد السلام» الذي يشبه كثيرا الممثل سمير صبري في شبابه، طلبت من عادل أن يقوم بالكشف على «عثمان»، فوضع السماعة على قلبه، ثم قام بقياس نبضه وضغطه بجهاز قياس الضغط، ثم ارتدى الطبيب قفازان طبيان وبدأ في فحص مؤخرة «عثمان» ثم ارتفعت قهقهات الطبيب ساخراً مما شاهده، عقب قيام الطبيب بإعلان نتيجة الكشف على شرج «عثمان»، إنهال سيل تعليقات بذيئة من «بسيوني» و«معاطي» أمينا الشرطة، وتوقف «عثمان» عن التضرع لنا، وبدأ يبكي بحرقة، ويدعو الله ان ينجيه منا، وبالطبع لم ينجيه الله، لأن «معاطي» بدأ فعلياً في اللواط به

خلال فترة عملي القصيرة بأمن الوطن، خصوصا العام الماضي، لاحظت ان أكثر من نصف المعتقلين الاسلاميين، سبق استعمالهم واللواط بهم، بعضهم تم استعماله منذ زمن طويل

الأمر المدهش ان أغلبهم تم اللواط بهم بعيدا عنا وعن السجون، اي مارسوا اللواط في حياتهم الخاصة، دون إكراه كالذي يتم في السجون والمعتقلات، سواء من السلطات أو من المساجين الاقوياء

خرجت من غرفة الافشخانات، وتركت معاوني النقيب «رأفت» يشرف على تنفيذ روتين اللواط بالخلية، وذهبت لمكتبي وانهمكت على حاسبي النقال في تجهيز التقارير والأفلام، التي سجلناها لمجريات تحقيقنا مع أفراد الخلية، المتهمة بتنفيذ الهجوم الإرهابي على كمين البرابرة، كان الهدف بالطبع من تجهيز تلك التقارير هو لعرضها صباح الغد على اللواء عادل موسى تنفيذاً لأوامره، حضر «بسيوني» لمكتبي وعلى وجهه يتبدى الإرهاق، وأبلغني بالإنتهاء من تنفيذ روتين «السيطرة» بكل أفراد الخلية

انتهت عملية التصوير، وحضر النقيب «رأفت» لمكتبي، وسلمني الكاميرتان المسجل على قرصهما الصلب روتين «السيطرة»، تم كسر إرادة أفراد الخلية بنجاح، أمرت النقيب «رأفت» بتوزيع «عثمان»، وزملائه في الخلية الإرهابية على الزنازين السفلية، تحت الأرض، والتي تقع في مبنى مهجور بشارع مصطفى النحاس، على بعد كيلومتر من مقر مباحث أمن الوطن بمدينة نصر، لا توجد طريقة للوصول لزنازين السجن السري، سوى سرداب خفي متصل بنفق طوله حوالي كيلومتر، أسفل شارع «مصطفى النحاس»، ينتهي داخل السجن السري بالبناية المهجورة، المواجهة للمدينة الجامعية لطالبات الازهر بشارع «مصطفى النحاس»، ويجاور مبنى السجن السري من اتجاه الغرب، بعد ممر صغير مول «أحمد السلاب» للسيراميك، ويلاصق السجن السري من ناحية الشرق، حديقة «العاشر من رمضان»، المواجهة لمسجد «نوري خطاب»

قبل منتصف الليل بقليل كانت عملية كسر إرادة أفراد الخلية الارهابية انتهت بنجاح، وتم تسجيل فيديوهات للإرهابيين الأربعة، وهم يمارس فيهم اللواط من مخبرين وأمناء أمن الوطن، سلمت الفيديوهات إلى اللواء « كريم»، الذي سيرسلها كالعادة بعد مشاهدتها لوحدة المونتاج، لتحرير الفيديوهات، كي يزال منها صرخات واسترحامات المعتقلين، نحتفظ فقط بالمشاهد التي يظهر فيها تألم المعتقلين وانكسارهم، وأحياناً قليلة إستمتاعهم أثناء اللواط بهم

ركبت سيارتي الهيونداي، وغادرت مقر عملي، وعدت لشقتي الواقعة في الدور الرابع، فوق سوبر ماركت «الراية»، المواجه لجمعية «الوفاء والامل» بمدينة نصر، وأعترف لكم بأني نجحت إلى حد كبير في الصعود، ولازلت مستمرا في الصعود، وقريبا جدا سيكون لي شأن عظيم في مباحث أمن الوطن

بدأت حياتي تقريبا من القاع، مجرد ضابط شرطة، وكان من الممكن ان ينتهي بي الحال بالعمل في مصلحة الاحوال المدنية، أو بالمطافئ، لكن بطاعتي العمياء لرؤسائي وقادتي، واجتهادي في نيل رضاهم، أصبحت ما أنا عليه اليوم، ضابط بأمن الوطن، وهأنذا أكاد اصل للقمة، وفي اعتقادي ان «الغَبِيُّ هُوَ مَنْ يَبْدَأُ حَيَاتَهُ مِنْ القَاعِ وَيَظَلُّ مَدْفُونًا فِيهِ»، تناولت عشاء دسما، كنت قد طلبته دليفري من مطعم «بابا مبارك»، المواجه للسراج مول، على بعد مائتي متر من شقتي، وهو واحد من المطاعم القليلة التي يتعامل معها ضباط «أمن الوطن» ونثق في ولاء أصحابه وعماله، وحسن خدمتهم، وطعامهم الشهي

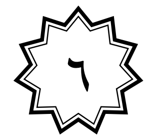
بعد تناولي لوجبة العشاء جلست أقلب الريموت بين القنوات الفضائية، وانا احتسي كعادتي الخمر، لكي اتمكن من النوم، حيث أني لا أنام بسهولة إلا إذا شربت الخمر، كي أبعد الصور والأصوات المتتابعة عن خيالي، معظم البرامج السياسية تعيد إذاعة حلقاتها، لثاني مرة في هذا التوقيت المتأخر، حتى يشاهدها من فاتهم مشاهدتها بسبب مشاغلهم، كما تعاد لثالث مرة في ظهر اليوم التالي

شاهدت نهاية حلقة للمذيعة المتصابية اللعوب «تهاني القماش»، والتي استضافت فيها اللواء «فؤاد سلام»، وأدهشني تصريحه بأن لديه معلومات مؤكده، عن نجاح مباحث أمن الوطن في القبض على منفذي الهجوم الإرهابي، وأنه سيتم تقديمهم للقضاء خلال أيام لينالوا عقابهم

بعد انتهاء الحلقة تنقلت بين عدة قنوات على القمر الاوربي، للبحث عن فيلم بورنو، ولحسن حظي إحدى القنوات كانت تبث فيلم للمثيرة «هيذر بروك»، تهيجت واستمنيت أثناء مشاهدتي لها مع صديقها الذي يضاجعها في مؤخرتها، هذه الفتاة تمارس الجنس بشغف وشراهة جنونية، أعشق العديد من بطلات أفلام البورنو خاصة نجمات الأفلام

الحديثة، لدي كامتان في الريسيفر، ويمكني مشاهدة القنوات المشفرة بكروت توزع أحياناً علينا في العمل، أرتشف الكأس التاسع من زجاجة الفودكا التي أوشكت على الانتهاء، رأسي تدور بخمول، وأتذكر موعدي صباح الغد مع اللواء «عادل موسى»، وإنطويت على نفسي، بجفون مثقلة بنعاس لذيذ، وأنا أفكر فيما سيدور خلال هذا الاجتماع الذي سأذهب إليه صباح الغد، وهل سأنجح في كشف خفايا حادث مجزرة كمين البرابرة في «الوادي الجديد»، وسر عدم القاء القبض على الشيخ عواض، تبطائت الأفكار في رأسي وإنغلقت جفوني الآن، ومضطر أن أتركم لأني سوف أنام قليلاً





الاِسْمُ السَّادِسُ: قَائِدُ عَسْكَرِيُّ

إِذَا لَمْ نُسَيْطِرْ عَلَى مِصْرَ وَشَعْبِهَا فَسَيَفْعَلُهَا غَيْرَنَا وَغَالِبًا سيكونوا مُتَطَرِّفِينَ دِينِياًّ

عقارب الساعة المعلقة على الحائط المواجه لمكتبي، تشير إلى التاسعة واثنان وأربعون دقيقة، لحظتها دخل عبر باب غرفة مكتبي الجندي «عبد العزيز»، أو «زيزو» كما أطلق عليه، وهو عسكري مراسلة [11] ، أعلمني «زيزو» بوصول الرائد «زياد العمري» من جهاز مباحث أمن الوطن لحضور اجتماع معي، حسب الموعد المحدد، وهو ينتظرني في غرفة الانتظار الملحقة بالإستقبال الخاص بمكتبي، اسمي «عادل موسى»، لواء بالمخابرات العسكرية، ولكي تتعرفون بشكل أفضل علي وتقدروني حق قدري سأوضح لكم تفاصيل مكتبي، أو بالأحرى مقر وظيفتي، الذي هو أشبه بمركز قيادة مصغر، فهو عبارة عن قاعة إستقبال فسيحة، يجلس فيها ثلاثة أفراد سكرتارية نسائية، من صف ضباط الجيش، يرتدين زيا مدنيا غير موحد، وبالطبع جميعهن مُزَزْ، حديثات التخرج، في مقتبل العمر، كاعبات لعوبات مغناجات، انتقيتهن بنفسي بعد تعييني في منصبي هذا بعد نكسة ٢٥ يناير مباشرة، عقب أن تم حل جهاز المخابرات الرئاسية الذي كنت أعمل به، وكان يتبع الرئيس «مبارك»، تم حل الجهاز ظاهريا، وان كان الجهاز لازال موجودا بشكل غير رسمي، ويعمل لصالح الدولة المصرية، بأوامر مباشرة من الرئيس «مبارك»، ثم خليفته المشير «طنطاوي»، ثم آخر الخلفاء الرئيس «السيسي»، لا تندهش فهذه هي الحقيقة التي نخفيها عن عوام الناس وخواصهم

لك ان تعلم بأن الرئيس «مبارك »يثق بي ثقة كبيرة، خاصة بعد مشاركتي منذ سنوات قريبة، بمساعدة الحكومة الأمريكية التي استترت خلف حكومة فرنسا في

١١ العسكري المراسلة في الجيش المصري هو جندي متفرغ لخدمة أحد الضباط، ويعتبر شكل حديث من أشكال الرق والعبودية يرتضيها بعض الجنود عديمي النخوة فاقدي الكرامة

خططهما لتنفيذ عملية اعتقال الارهابي الاسلامي «كارلوس» في الخرطوم، عاصمة السودان، نجحت عملية الاعتقال، بسبب جهودي وعلاقاتي بعدة مسؤولين كبار في المخابرات السودانية، كما شاركت عبر علاقاتي الوثيقة بعدد من كبار المسؤولين الأمنيين في الخليج، وساعدنا اسرائيل على اغتيال الارهابي «خالد مشعل»، عضو المكتب السياسي لمنظمة «حماس» الارهابية في الامارات، للأسف كانت هذه العملية قد بائت بالفشل، ولثقة رئيسي «مبارك» بي فقد أوصى في منتصف شهر مايو ٢٠١١، عقب أن أعادني من باريس بعدة شهور بأن أعين في منصب نائب أول مدير فرع التحقيقات بالمخابرات العسكرية، وبالفعل عينني المشير «طنطاوي»، المخابرات العسكرية كانت كما تعلمون هي الكيان الأمني الوحيد المتماسك بعد انهيار الداخلية، وأمن الدولة، وضعف المخابرات العامة، التي فشلت تماما في الاستعانة بالمخابرات العسكرية، بسبب كراهية ورعب المشير «طنطاوي»، والفريق «عنان»، وأغلب قادة المجلس العسكري من اللواء «عمر سليمان»، الذي كان يخشاه كبار قيادات الجيش أكثر من خشيتهم ورعبهم من الرئيس «مبارك»، فقد كان «عمر سليمان» بالنسبة لهم بعبعاً، وجزاراً شرساً وشيطاناً لا رحمة في قلبه

فشلت المخابرات العامة في الاعتماد على أمن الدولة والداخلية، اللتان اهترأتا تماماً وانكسرت شوكتهم، ووهنت عزيمتهم، بعد نجاح المخربين في اشعال الفتنة، وزعزعة الاستقرار في مصر بما سمي زوراً ومغالطةً ثورة يناير، أو بالأصح نكسة يناير، لذلك صعد نجم المخابرات العسكرية، وأصبحت هي المسيطرة، والمنفذ الفعلي لكافة التكتيكات، والاستراتيجيات الهادفة لاستعادة السيطرة مجددا على مصر، وكبح جموح شعبها الجاهل الغبي الذي طالب بتغيير دولة مبارك، فأعدناها له مرة اخرى بعد عامان ونصف من النكسة، بذلنا خلالها أقصى جهودنا لحفظ مصر من التردي والافلات خارج سيطرتنا، فبديهي اننا إِذَا لَمْ نُسَيطِرْ عَلَى مِصْرَ وَشَعْبِهَا فَسيَفْعَلُهَا غَيْرنَا وَغَالِبًا سيكونوا مُتطَرِّفِينَ دِينِياًّ

ترقيت في آخر شهر يوليو ٢٠١٣م، وصرت مدير فرع التحقيقات، عقب عودتنا للسيطرة مجددا على مصر، أسقطنا نظام الاخوان الارهابيين، والفضل كله يعود للمخابرات العسكرية، التي لولاها لتحولت مصر لمستنقع ارهابي من الفوضى كسوريا

والعراق، ربما لا تعلمون ان المخابرات العسكرية، بعد نكسة يناير ٢٠١١ استعانت بعدد كبير من ضباط مباحث أمن الدولة، والمخابرات العامة، ممن يثق فيهم الرئيس مبارك والمشير طنطاوي والفريق سامي عنان، فضمن منظومة العمل حالياً هنا في المخابرات العسكرية، ستجد الكثير من المعاونين لنا القادمين من هذان الجهازان العريقان، وأنا شخصيا خدمت بعد تخرجي من الكلية العسكرية بالحرس الجمهوري منذ عام ١٩٧٨، وعاصرت حادث المنصة وشاهدت بعيناي اغتيال الرئيس «انور السادات»، حيث كنت وقتها ملازم صغير، اقف مرتديا زي الحرس الجمهوري، وحاملا سلاحا بدون ذخيرة في خلفية المنصة، ثم التحقت بالمخابرات العسكرية بداية من عام ١٩٨٢م، ثم عدت للخدمة بالقصر الجمهوري مرة اخرى عام ١٩٨٩، وخدمت الرئيس مبارك بإخلاص متناهي، فألحقني مع عدد من ضباط الحرس الجمهوري الأكفاء، بجهاز جديد أسسه مبارك وأوجده من عدم وأطلق عليه مسمى المخابرات الرئاسية، التي ظللت أعمل بها اثنان وعشرون عاماً معظمها في فرنسا، ثم هأنذا قد عدت لداري مجددا في المخابرات العسكرية، وياله من تاريخ أنخر به، وبما قدمته خلال خدمتي من جهود مخلصة، دافعها الأساسي هو الولاء لوطني مصر وللحكومة المصرية

ونعود لمكتبي، ففي أحد أركان غرفة الاستقبال الكبرى تقع غرفة انتظار متوسطة المساحة، بها أنترية جلدي نخم ومنضدتان زجاجتيان، وبابها مشرع على الدوام، بحيث يكون الجالس في غرفة الانتظار تحت أنظار جنود المراسلة، وفتيات السكرتارية، وفي ركن آخر من الاستقبال يوجد أوفيس، هو بمنزلة مطبخ صغير لتحضير القهوة والشاي، بابه مغلق على الدوام، ويديره ستة جنود مراسلة بالتناوب في ورديتان، ثمانية ساعات في اليوم، وكل وردية بها جنديان، وبهذا يكون في الأوفيس جنديان زيادة، لكي يستمر العمل أثناء حصول أحد الجنود على اجازة، بينما في صدارة غرفة الانتظار باب مهيب، لونه بني محروق من خشب طبيعي مستورد، وهذا الباب يؤدي لغرفة مكتبي الفخمة التي أمارس منها مهام وظيفتي، كمدير لفرع التحقيقات بالمخابرات العسكرية، خلف مكتب أثري نخم، وضخم من خشب الماهوجني مطعم بالأبنوس، يشاع انه كان يخص الملك فاروق

داخل غرفة مكتبي يوجد باب مغلق على الدوام، ومخفي ببراعة خلف لوحة تذكارية لعبور الجنود المصريين للقناة بالزوارق المطاطية عام ١٩٧٣م، وخلف هذا الباب غرفة صغيرة، بها سرير كبير ودولاب متوسط الحجم، به ملابس خفيفة وبذلتان للطوارئ، وفي احدى أركان الغرفة يوجد بار لتناول المشروبات والعصائر المحفوظة في ثلاجة البار، وفي احدى حوائط غرفة الاستراحة باب للطوارئ، يؤدي لممر خلفي مهجور لكنه نظيف على الدوام، تطل عليه عدة أبواب لغرف مشابهة لغرفتي، وفي نهاية الممر باب مصعد كهربائي، يربط طوابق المبنى الاداري المهيب بالجراج الكائن أسفل المبني، وداخل الجراج يوجد باب طوارئ مخفي بمهارة شديدة، خلف حنفية حريق ضخمة، ودولاب زجاجي به خراطيم حنفية الحريق وعدة طفايات حريق، وخلف باب الطواري الخفي يوجد ممر قصير في نهايته سلالم، تنزل تحت الأرض لعمق أربعة أمتار تقريبا، حيث يوجد نفق سري طويل تحت الأرض، يؤدي إلى منشأة مدنية خلف مبنى المخابرات، وطريق الهروب هذا لم يتم استخدامه فعلياً من قبل، لكن نستخدمه فقط أثناء قيامنا بمناورة ننفذها كل ثلاثة شهور، وقد شيد لكي يكون منفذ طوارئ في حالة حدوث شغب ،واستيلاء جموع المخربين على مبنى المخابرات العسكرية، حينها نستطيع النجاة، واعادة التجمع مجددا إما في مقر قيادتنا السري بالمقطم أو في المقر السري الاحتياطي بالقاهرة الجديدة، ومن هناك نستطيع التخطيط من جديد للسيطرة على مصر، وتحريرها من أيدي المخربين

لازال «زيزو» منتصب أمامي كتمثال منتظراً أوامري، فأمرته بأن يقوم بضيافة الرائد زياد بإفطار ومشروبات، ثم يدخله إلى مكتبي الساعة العاشرة بالضبط، وكان الجندي زيزو يرتدي ملابس مدنية، مثل باقي جنود المراسلة بمكتبي، والسائقين والسكرتارية، الذين يشكلون حاشيتي في المخابرات العسكرية، وقد خرج زيزو بعد أن أعاد تأدية التحية العسكرية، رغم انها غير مفروضة إلا عند ارتداء الزي العسكري

هذا الزيزو قريب زوجتي من بعيد جدا، وجئت به لإدارة المخابرات العسكرية خدمة لإبنة نسيب خالة زوجتي، والدة زيزو متوفاة، وأسرته فقيرة للغاية، وأبيه يعمل في وظيفة ساعي في شركة الاتصالات المصرية، لا أخفي عليكم انني قد قمت بمتابعة تجنيد

زيزو وألحقته بمكتبي إتقاء لما قد تفعله نهلة بتحريض بناتنا علي بالإلحاح لخدمة قريبها عبد العزيز، ولعلمكم نهلة زوجتي تعلم جيدا اني لن ارفض لهن طلبا، فبالطبع إبنتاي «سارنور» و«نسرين» هما أغلى ما عندي، ولو حرضتهن زوجتي علي فستكون النتيجة وبالاً، وبسبب حبي وضعفي تجاهن أرضخ لطلباتهن بسهولة، ولذلك أخذتها من قصيرها، واستجبت لطلب نهلة زوجتي اللبنانية المصرية، وتابعت تجنيد زيزو الحاصل على دبلوم تجارة، وجئت به لمكتبي كجندي مراسلة ليخدمني ضمن حاشيتي الصغيرة

أعترف لكم بمنتهى الصراحة ان زيزو قد نال رضاي، بسبب انكساره واحترامه الشديد لي ولمنصبي، وتكتمه على ما يعرفه عني، وقد إزداد رضائي على زيزو عندما لاحظت ان زوجتي عندما تَجِئْ سيرته على لساني دون قصد يمتقع وجهها، وتتكلم عنه بغيظ، فإستنتجت انها حاولت استنطاقه، وتقصي أخباري منه لكنه رفض التحدث لها بما يعرف، لهذا صارت تكرهه، وحسناً فعل، فلو أعلمها زيزو بدخول سكرتيراتي الواحدة تلو الاخرى يومياً لغرفة مكتبي، وغيابهن بالساعة والاثنين دون ان يسمح لأحد بالدخول لمكتبي، فهل كنت سأتركه دون عقاب، بالطبع كان زيزو ذكيا، ويعلم ان بإمكاني حذفه نهائيا من الوجود، لهذا أنا أقدر ذكائه وحفظه لأسرار العمل

هل أخبرتكم من قبل ان نهلة زوجتي والدها لبناني، وأمها مصرية إسمها سناء، أم نهلة كانت تعمل في مصنع تريكو بلبنان عام ١٩٧٢م، وعشقها ابن صاحب المصنع وتزوجها، وكما تقول نهلة وتفخر دائما أمامي متبجحة، ان أبيها زهير اللبناني أحب أمها، لأنها رفضت تسليم نفسها له رغم كل الاغراءات، وكانت فتاة جادة بشكل لم يصادفه أبيها من قبل، وكان آنذاك شاباً لبنانياً تقليدياً وثرياً متفتحاً، ومعتاد على الفتيات سهلات المنال، ولكنه في النهاية قرر أن يتزوج سناء الفتاة المصرية الفقيرة الجميلة، صعبة المنال، أعتقد أن سناء تلاعبت بزهير لتوقعه في شباكها وتتزوجه، وقد أنجبت سناء لزهير ولدان وبنتان، إحداهن نهلة زوجتي، التي تعرفت عليها إبان خدمتي كملحق دبلوماسي في القنصلية المصرية بمدينة مرسيليا، وكان عملي هذا غطاء لوظيفتي الأساسية كرئيس لوحدة صغيرة تابعة للمخابرات الرئاسية في مرسيليا

كان تحت امرتي في الوحدة أربعة أفراد، وظيفتهم المعلنة موظفين واداريين

بالقنصلية المصرية، بينما وظيفتهم الحقيقية ضباط وصف ضباط بالجيش المصري، أحدهم كان ابن لواء في الجيش وقتها واليوم صار خبير استراتيجي يحتل وجهه وصوته معظم القنوات المصرية، وكان ابنه حينئذ ملازم أول بالمخابرات العسكرية، وتم الحاقه للمخابرات الرئاسية بشكل سري للعمل تحت قيادتي في فرنسا، كانت مهمة وحدتي الأساسية هي متابعة المصريين المعارضين في مارسيليا، والمغضوب عليهم من مبارك، وتنغيص حياتهم بإغراقهم في مشاكل وحوادث مفتعلة، ندبرها ببراعة ودهاء لمعاقبتهم، ولإحالة حياتهم إلى جحيم معاش

كنت ارفع تقارير مباشرة بما تنفذه وحدتي للقصر الرئاسي، تصل ليد الرئيس مبارك في النهاية كما هو بديهي، وكان يصلني بإستمرار مكافئات مالية كبيرة، بما أكد لي أن رئيسي مبارك كان يقدر جهودي، وجهود زملائي في معاقبة أعداء الوطن، المعارضين للدولة ونظام الحكم

أثناء عملي في مرسيليا كانت نهلة حينها تدرس التاريخ في احدى جامعات فرنسا، بمنحة مقدمة من الحكومة الفرنسية، بعد حصولها على الثانوية اللبنانية وكان ترتيبها الأولى، ولهذا نالت المنحة، وكنت قد تعرفت على نهلة عن طريق زميلتها في الدراسة، فقد كنت أواعد زميلتها المغربية الجنسية التي نسيت اسمها، رغم إني كنت مولع بها آنذاك

في أحيان كثيرة كنت اذهب لإصطحاب صديقتي المغربية من خارج جامعتها بسيارتي، وذات مرة طلبت مني توصيل زميلتها نهلة في طريقنا، وكنا سنخرج يومها أنا وصديقتي المغربية للتنزه، الذي يعقبه دائمًا الذهاب لشقتي، ويومها حاولت التعرف على نهلة إلا انها صدتني بلطف، فوضعتها في دماغي، وحاولت التقرب لها وغازلتها مراراً وتكراراً حتى أعيتني الحيل، ولم استسلم إلا في منزل أبويها في صيدا بلبنان، والمأذون يعقد قراني عليها

لا أخفى عليكم ان نهلة ذات اللكنة اللبنانية الجذابة ملكت جوارحي بجمالها الأخاذ، وبرائتها وجرأتها وأيضًا تحفظها، بالاضافة لحيويتها التي اكتسبتها من أبيها اللبناني، إلا ان كونها ذات جذور مصرية أضاف إليها الكثير من المكر، واللوع المصري المعهود من

أي فتاة مصرية من الطراز القديم، تعدك بالقليل ولا تعطيك سوى النذر اليسير، على أمل ان توقعك أسيرا لها، وهذا ما حدث لي آنذاك، أحببت نهلة وتزوجتها لأنالها، وان كان لا يخفى عليكم اني كأي رجل لم أكن وفياً تماماً لحبها، فمغامراتي ونزواتي لا حصر لها، فكما تعلمون ان هذا شيء لا مفر منه، ومحفور في جينات كل الرجال، وأي رجل لا يعشق النساء ويشتهيهن بإستمرار وجب عليه ان يشك في رجولته

لكي أكون صادقاً معكم سأعترف لكم بسر لا يعلمه أحد، أنا حاليا أصبحت أكره نهلة زوجتي وعائلة أمها المصرية، خصوصا أخوالها وخالاتها وأبناء وأقارب هولاء الأغبياء، لأن أغلبهم ينتقدون ما فعلناه بمصر منذ ٣٠ يونيو ٢٠١٣م، فهؤلاء الأغبياء يكرهون عزلنا للاخوان، ويكرهون الجيش والرئيس السيسي ونظام حكمه، لكننا نادرا ما نحتك بهم أو نتزاور معهم، لأني أنا وزوجتي وبناتنا نعيش في فيلتي، أو بالأصح قصري الحالي بالقاهرة الجديدة، لكن للأسف زوجتي أصبحت تعاملني بحيادية تجعلني متيقن انها في قرارة نفسها تنفر مني

على خلاف أسرة زوجتي في مصر، فالعسكري زيزو ولد مطيع وخدوم وذكي، ولا يتكلم أبدا في السياسة، ولذلك أجعله يحضر ثلاثة أيام في الاسبوع فقط، ليبدل مع زميليه تامر وأحمد في الجلوس خارج مكتبي، أمام باب الاستقبال الخارجي طوال اثْنَتَا عَشْرَة وربما ثماني عشرة ساعة في اليوم

بالاضافة لهولاء العساكر المراسلة، لدي خمسة سائقين، متطوعان وثلاثة مجندين، وهؤلاء الخمسة اعتمد عليهم اعتماد لانهائي ليل نهار في خدمتي أنا وابنتاي وزوجتي، بسيارتين تابعتين للمخابرات العسكرية، احداهما تحمل لوحات دبلوماسية، والاخرى لوحاتها ملاكي زرقاء بثلاثة أحرف « ق هـ ر »، وبالطبع الرخص واللوحات لا أصل لهم في المرور، فلا يوجد أي ملفات في المرور لسياراتي سواء الخاصة بالعمل أو التي أملكها، وبالطبع لست مميزا عن باقي قادة الأجهزة الحساسة بمصر، فكلهم مثلي، أي ان سياراتهم بدون ملفات، بل ان كل سيارة لها أكثر من رخصة بأرقام لوحات مختلفة، كما اننا أيضًا لدينا بطاقات رقم قومي بأسماء ومهن مختلفة، وهذه إجراءات أمنية لا غنى عنها، لتسهيل تحركاتنا عند وجود أخطار تهدد أمننا

اسمع دقات الساعة المعلقة على الحائط، فأتوجه بنظري نحوها، العقربان يقفان بإنضباط شديد معلنين عن ان الساعة حالياً العاشرة، وفي أثناء تتالي دقات الساعة يصدح الديكّافون باستئذان زيزو للدخول فأسمح له، يدخل زيزو وخلفه يقف ثابتا بإحترام شاب ثلاثيني وسيم، وطويل القامة، ويعلن زيزو عن تواجد الرائد زياد حسب الموعد، فأدعوه لدخول الغرفة، وينصرف زيزو مؤديا التحية

دون أن أنطق بكلمة أسمح لزياد بالجلوس، مشيرا لأحد المقعدان أمامي، ويفصلني عنهما المكتب الضخم الرابض كوحش أسطوري، قادم من أحفوريات القرون السحيقة، كنت قد انتهيت صباح اليوم من قراءة تقرير شامل عن الرائد زياد، حصلت عليه مساء أمس عن طريق الايميل من صديق لي يعمل بالمخابرات الأمريكية، لا تندهش فلديهم معلومات كثيرة عن مؤسساتنا السيادية، وعن كثير من مؤسسات الدولة تفوق ما لدينا بكثير، وهم يتعاونون معنا بأريحية حالياً، وان كانوا يتهربون بلطف من إمدادنا بأي معلومات عن مستخدمي الانترنت المعارضين للنظام كما كانوا يتهربون أيام الرئيس مبارك، أعترف لكم بأني رغم تقديري لمساعدة الأجهزة الاستخباراتية الأمريكية لنا لكني أتعجب وأمقت سياستهم الغريبة، التي يتبنون فيها امساك العصا من المنتصف، خشية أن تنقلب الأمور رأسا على عقب ذات يوم، ويصبحو منبوذين من أي نظام آخر يسيطر على مصر

من التقرير علمت عن زياد أسرار كثيرة يخفيها حتى عن أقرب الناس إليه، فهو مثلاً غارق لشوشته في غرام صاحبته «لاميس»، مضيفة الطيران الشابة الجامحة، التي لا تعترف بسيطرة دين أو دولة، وتعشق الحرية كعشقها الجنوني لممارسة الجنس، ولاميس هي ابنة صغرى مدللة لأحد كبار المستشارين بوزارة العدل، وقد رفضت دخول كلية الحقوق برغم إلحاح أبيها القاضي الرزين، ودرست السياحة والفنادق، لكي تنعتق من سيطرة أسرتها

بعد تخرج «لاميس» من كلية السياحة والفنادق تدبرت دون علم والدها واسطة من معارف أمها العديدين، وحصلت على وظيفة مضيفة جوية في شركة طيران مصرية، ومن حينها وهي تعيش على هواها، وتضاجع كل رجل يعجبها قد نتعرف عليه في

رحلاتها الجوية، أو في النادي الأهلى الذي تذهب أحيانا للتنزة به وحدها، لم تكن لها صديقات مقربات

أظن أن ابنتي «سارنور» كانت ستتخذها صديقة مقربة، فهي تفضل صحبة الفتيات المتحررات، برغم انها لم يسبق لها أن صادقت شاب أو رجل، غالباً بسبب أسلوبي في التربية والذي أثر كثيرا على مكونات شخصيتها، فأصبحت في تصرفاتها أقرب شبهاً بالرجال رغم جمالها وأناقتها

ابنتي «سارنور» هي النقيض المعاكس للجامحة «لاميس» مجنونة الرجال مدمنة الجنس، التي كانت تخفى أسرارها ببراعة عن زياد الذي كانت تتردد على شقته بمدينة نصر مرتان، وأحيانا ثلاثة مرات في الاسبوع

انهمكت مرة أخرى بالنظر لشاشة الحاسوب النقال، الموضوع فوق مكتبي، لكي أطيل من انشغالي عن الضيف لأشعره بمدى أهميتي، ومن ثم بدأت في قراءة تقرير المقدم «وديع الحداد»، الذي بدأت قرائته بعد انتهائي من قراءة تقرير المخابرات الأمريكية الخاص بالرائد زياد العمري

المقدم «وديع الحداد» الذي أوشكت على الانتهاء من قراءة تقريره، هو أحد الضباط البارزين في فرع العمليات الاستراتيجية، وقائد المجموعة القتالية التي نفذت عملية كمين البرابرة، وقتلت أفراده، بعد أن راقبت فشل الخلية الخائبة التي خططنا سرا عبر جهاز مباحث أمن الوطن لإرسالها لإبادة الكمين، وحركناها من خلف ستار كثيف مستترين بعملائنا المندسين وسط التيار الإسلامي، مستغلين عواطفهم الدينية لصالحنا

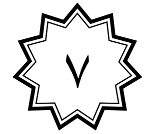
أنهت مجموعة المقدم وديع الحداد مهمتها، ثم ألقت في موقع الكمين جثث جنودنا المقتولين في ليبيا أثناء دعمهم لقوات القائد الليبي «خليفة حفتر»، وبعد أن تم تنفيذ العملية بنجاح انسحبت المجموعة القتالية التي يقودها المقدم «وديع» بهدوء، دون ان يدري بوجودها أحد، لن أحكي لكم تفاصيل ما قامت به مجموعة المقدم وديع لأنه ضمن شخصيات الرواية وسيحكي لكم التفاصيل بنفسه

عيناي مركزتان على شاشة الحاسوب أتابع سطور التقرير المثير، وألمح بطرف عيني

وجه ضيفي الوسيم الذي أخرج هاتفه النقال، وبدأ بالعبث بأزراره لقتل الوقت، ودون أن أرفع نظري عن شاشة الحاسوب قلت موجها كلامي للرائد «زياد»

- دقيقة أخلص اللي في إيدي ونبدأ الإجتماع





الاِسْمُ الخَامِسُ: ضَابِطُ أَمْنِ وَطَنٌّ

المَشَاعِرُ البَشَرِيَّةَ تُشَوِّشُ عَلَى تَفْكِيرِ الإِنْسَانِ وَتَجْعَلُهُ فَاشِلٌ بِجَدَارَة

أتفحص اللواء «عادل موسى» بنظرة خاطفة أثناء جلوسي على المقعد حيث أشار لي، أخرجت هاتفي لكي اقتل الوقت إلى أن يترك الرجل حاسوبه النقال ويتفرغ للحديث معي، أعبث بأحد الألعاب التي لا أجيدها، فلم أكن أبدا من هواة الألعاب الكترونية على الهواتف والحواسيب، وجه اللواء عادل لا يشي بسنه الحقيقي، فهو عجوز متصابي، وشعر رأسه مصبوغ باللون الأسود الفاحم، وملامح وجهه جادة وله حضور قوي، وشخصية حازمة تبعث الرهبة في النفس، قدرت أن قامته متوسطة وأن قامتي أطول منه بعشرة سنتميترات على الأقل، تغمر أنفي رائحة عطره النفاذه، مؤكد انه عطر غالي الثمن فرائحته سحرية تبعث في نفسي بهجة ونشاط، بعد دقيقتان توجه اللواء عادل بنظره نحوي وقال بلهجة مرحة

- أهلا يا سيادة الرائد زياد تحب تشرب إيه؟

- شكرا يا معالي الباشا رجالة سيادتك قامو بالواجب ومسبونيش إلا بعد ما فطروني لتاني مرة النهاردة وشربت الشاي برضه لتاني مرة

أجبته بلهجة تنم عن الاحترام فأشرق وجه اللواء عادل بابتسامه ودية مصطنعة، غالبا لكسر رهبتي وتذويب الجليد بيننا، وأنبأني بأنه سيتناول قهوته، ودعاني لتناول القهوة معه، ويتبسط معي خلال حديثه عن فوائد القهوة، وأهميتها في تحفيز وتنشيط المخ البشري

يخبرني اللواء عادل بأن قهوة بن «عبد المعبود» التي سنشربها الآن ليست كأي قهوة شربتها من قبل، ويجب ان أجربها ولن أندم، وافقت بشرط أن تكون سكر زيادة،

يضغط اللواء عادل زر ديكتافون [١٢] ويأمر بإحضار القهوة، احداهما له والأخرى سكر زيادة، ثم أخبرني بأنه لا يشرب القهوة بالسكر حتى لا يخرب ويدمر مذاقها الرائع

رسمت ابتسامة خفيفة على وجهي، بعد أن زالت بعض الرهبة من نفسي بسبب حديثه عن القهوة، وأعلمته بأن مذاق القهوة دون سكر لا يناسب شخصيتي العاشقة لكل ما هو حلو، وسكره زيادة كالشيكولاتة والجاتوهات والعصائر، تبسم بتحفظ، ويدخل شاب بصينية ويضع فنجانا القهوة أمامنا على المكتب، ثم خرج بعد أن أدى التحية، فجأة يقوم اللواء عادل بتغيير مسار الحديث، يسألني عن التقارير والملفات، أضع يدي داخل جيب قميصي العلوي، وأخرجها تحمل قرص صلب خارجي صغير الحجم مقارنة بالأقراص العادية، وحجمه مشابه لحجم كارت الكريدت، لكنه سميك بما يماثل حزمة من عشرة كروت فيزا كارد

القرص من نوعية يطلق عليها الأقراص الاستاتيكية، أو الساكنة والتي تسمي «SSDA»، وهو مصنوع بنفس تقنية الفلاشات فلا يوجد به رأس قراءة، لكنه عبارة عن دارات إلكترونية كفلاشة التخزين وذاكرة الهاتف، هذه النوعية من أقراص التخزين الالكترونية قال لي خبير الحاسوب «مهند عمار» انها أفضل بكثير من نوعية أقراص الهارد ديسك التي تصنع من اسطوانات مدمجة داخل حاوية معدنية مصمتة، وعندما تتصل بحاسوب فهي تدور أسفل رأس قراءة كرأس الجرامافون الذي كان يلامس اسطوانات الأغاني في القرن الماضي، وتتعرض الأقراص المتحركة التقليدية للتخريب دوماً إذا ما سقطت أرضا أو تحركت من مكانها أثناء تشغيلها، بينما القرص الذي أناوله الآن ليد اللواء عادل لا يتأثر بالحركة والسقوط والصدمات على الاطلاق حتى أثناء تشغيله

تناول اللواء عادل بإندهاش الهارديسك الصغير من يدي، وأوصله بحاسوبه، متعجبا من حجمه الرقيق والعملي في نفس الوقت، أوضحت للواء عادل بحسب معلوماتي المتواضعة نوعية القرص ومتانته وتحمله، وأخبرته بعيبه الوحيد هو صغر مساحات التخزين على هذه الأقراص فأغلبها لا يتجاوز النصف تيرا، أي خمسمائة جيجابايت

١٢ ديكتافون او الانترفون نظام اتصال صوتي داخل المكاتب

فقط، وان سعرها مغالى فيه جدا مقارنة بالأقراص التقليدية، يتجاهل العيوب ويبدى تحمساً شديدا ويقرر أن يقتني مثله، أعرض على اللواء عادل القرص كهدية يرفضها بلطف، ثم يستفسر مني عن كيفية الدخول للقرص، فقد ظهرت له الآن شاشة تلقائية التشغيل في القرص تطالبه بإدخال كلمة مرور، كنت بالأمس قد شفرت القرص ببرنامج أعطاني إياه خبير الكمبيوتر «مهند عمار»، اسم البرنامج «**TrueCrypt**» أو تشفير حقيقي وذلك لكي أبهرهم في المخابرات العسكرية، أتهجأ عدة حروف وأرقام هي كلمة الدخول للقرص، يبدى اللواء عادل تقديرا كبيرا لبراعتي ودهائي، ومعلوماتي العميقة بخفايا تقنية المعلومات والحواسيب، ويقول لي

- هتكون لنا قعدة تانية مع بعض تكلمني فيها عن التشفير وحماية الملفات، بس فين بقا موقع الملفات على الهارد

أطلعته على مسار وموقع المجلد، الذي يحتوي على التقارير، وملفات التحقيقات مع أفراد الخلية الارهابية، المتهمة بالهجوم على كمين البرابرة، يصيبه ذهول، ويفاجأ من حجم ملفات الفيديو الضخم جدا، والذي يتجاوز المائة وخمسين جيجا، فأخبرته ان فيديوهات التحقيق جودتها عالية، ولم يتم عمل أي مونتاج أو تحرير لها فهي تتجاوز المائة ساعة

من أحد أدراج مكتبه يخرج اللواء عادل قرص خارجي، من النوعية التقليدية، ويوصله بكابل في أحد مداخل اللابتوب الذي أداره قليلا ناحيتي، لتصبح شاشته في منتصف المسافة بيني وبينه بحيث يرى ما أفعله، وأخرج اللواء عادل سيجار ضخم من علبة صدفية أثرية كمكتبه كانت موضوعه على طرف المكتب، ويعرض علي سيجار فتناولته كي أجربه للمرة الأولى، ومن نفس العلبة الصدفية يخرج اللواء عادل علبة ثقاب صغيرة، يشعل سيجاري بعود ثقاب، وأنهض من مقعدي لأقترب منه حتى لا يضطر للانحناء أثناء اشعاله لسيجاري، ثم يشعل سيجاره بعود آخر، يطلب مني اللواء عادل أن أنسخ المجلد الذي يحتوي على التقارير والتحقيقات، من القرص الصغير الخاص بي إلى القرص الآخر، متعللاً بعدم وجود مساحة كافية على قرص التخزين بالحاسوب، تكفي لحفظ المجلد ذو الحجم الضخم، ويجلس مسترخيا يدخن سيجاره بإستمتاع، وهو يرتشف قهوته من فجانة القهوة الخزفية، المرسوم عليه عين تعلو قمة هرم، ويتابع ما أفعله

على حاسوبه بعين صقر

أثناء نسخي للمجلد يقع بصري على أيقونة في شريط المهام، أسفل شاشة الحاسوب النقال، الأيقونة لملف «بي دي اف» عنوانه تقرير عملية ك ب، العنوان الغريب وحرفا ((ك ب)) شدا إنتباهي، وحفزا عقلي لتحليل العنوان، وخلال ثواني قليلة أتوصل إلى أن الحرفان يشيران بالتأكيد لكلمة ((كمين البرابرة))، يملأني اليقين بأن تحليلي السريع لمعنى الحرفان صائب، وعلى سطح مكتب نظام التشغيل، أرى نفس الملف الموجود بشريط المهام، بإسمه المثير الذي قذف في عقلي أمواج عارمة من الفضول الطاغي، العنوان الغريب ((عملية ك ف))، فكلمة «عملية» توحي بان من كتب التقرير هو منفذ الهجوم لهذا أسماه بعملية، أغافل اللواء عادل بالكلام عن فوائد الأقراص الاستاتيكية، وعن انها ذات يوم ستكون هي وسيلة التخزين الأساسية، وستنقرض الأقراص الديناميكية سريعة العطب، وأثناء انشغاله لثواني قليلة بمتابعة كلامي، أقف بمؤشر الماوس على الملف الذي تم تظليله، ثم دون ان أنظر لشاشة الحاسوب ضغطت مفتاحي «CTRL & C»، وبهذا نسخت الملف، وصار محفوظا في ذاكرة الحاسوب، ولم أعطي أمر بلصقه في القرص الذي أملكه، في نيتي ان انتظر الفرصة المناسبة لحفظه داخل أي مجلد بقرص التخزين الخاص بي، وبالفعل نسخته اثناء تجولي في مجلدات قرصي

بعد ذلك انتهيت من أمر ارسال إلى، ونسخت ملفاتي إلى قرص اللواء عادل، وكنت قبلها بثواني قد غافلت اللواء عادل وبسرعة خاطفة وأنا أقوم بإلهاؤه بالحديث عن أقراص التخزين وأنواعها، ضغطت وقلبي يكاد يقفز من صدري على مفتاحا «الكنترول وحرف ال V»، دون أن يلحظ اللواء عادل ما أفعله ونسخت ملف عملية ك ب من سطح مكتبه الى أحد المجلدات داخل قرصي

تم نسخ الملف في قرصي داخل أحد المجلدات المزدحمة بالتقارير، ولحسن حظي كان الملف حجمه صغيرا جدا حوالي خمسة ميجابايت، ولذا تم نسخه في لمح البصر، دون أن يدرى اللواء عادل موسى بما فعلته، كان دافعي البحث لهذه المغامرة الانتحارية بكل المقاييس هو الفضول الجنوني، ورغبتي في معرفة ما لا يعرفه غيري من ضباط

جهاز مباحث أمن الوطن، أستأذن من اللواء عادل كي أفصل القرص الخاص بي من حاسوبه ما لم يكن يريد أي ملفات أخرى، فيأذن لي، كنت أثناء نسخ مجلد التقارير والتحقيقات لقرص اللواء عادل، قد قدمت له تقرير شفاهي ملخص لنتيجة التحقيقات مع الخلية الارهابية، المتهمة بالهجوم على أفراد كمين البرابرة، التي اتضح لنا انها لم تقتل الجنود، وقامت بالانسحاب دون تنفيذ المذبحة

وكنت أَيضًا قد أفصحت له عن شكوكي، بوجود خلية أخرى هي التي نفذت المذبحة، وقتلت جنود الكمين، فاجأني اللواء عادل بأن المخابرات العسكرية توصلت لهذا بالفعل، وان لديهم تحقيق موازي توصلوا خلاله لشخصيات منفذي مذبحة كمين البرابرة، الذين فروا إلى سيناء، وان خلال ساعات أو أيام سيتم القبض عليهم، وتقديمهم للقضاء، فتنفست الصعداء وأثنيت على كفاءة المخابرات العسكرية بنفاق غير محسوس، وتفهم اللواء عادل وجهة نظري بأن لا فائدة ولا طائل من إخضاع أفراد الخلية التي هاجمت الكمين وأصابت جنديين لمحاكمة قضائية، وسألني عن امكانية الاستفادة مستقبلاً من أفراد الخلية وتجنيدهم للتعاون مع الدولة، فأنبأته بأننا أوشكنا بالفعل على تجنيدهم لصالحنا، فظهرت على وجهه علامات الارتياح، وحدثني عن أهمية السيطرة على هؤلاء المجانين الدمويين أعداء مصر الذين يريدون إعادتنا لعصور الظلام

إنتهيت الآن من تدخين سيجاري وكان الحوار قد خفت بالتدريج، صمت قصير شعرت خلاله بأن اللواء عادل يلمح بلطف ان إجتماعي معه قد انتهى، فقلت له بأنه يسعدني دوما ان أكون في خدمة مصر وحمايتها من أعداء الوطن، وانه يستطيع أن يعتمد على إخلاصي التام للحكومة المصرية، واستأذنت منه بالانصراف مالم يكن يريد مني أي معلومات أخرى، ينهض اللواء عادل من مقعده ويصافحني بحرارة، ويثنى على كفائتي ووطنيتي فأشكره بتواضع مفتعل، ويبتسم وبلهجة مملوءة بالود الصادق قال لي حين نهضت منتوياً مغادرة مكتبه

- هتصل بيك قريب جدا عشان عاوز أقعد معاك وتعرفني حكاية تشفير الهارد ديسك وحماية المعلومات

- أنا تحت أمرك يا معالي الباشا في أي وقت يناسب سيادتك

وانصرفت من مكتبه وغادرت المبنى وأنا في غاية السرور، لأني نلت رضا رجل ذو منصب في غاية القوة، سأبذل قصارى جهدي لإكتساب ثقته، والاستفادة منه قدر استطاعتي، لقد نجحت في ابهار اللواء عادل موسى بمعلوماتي الجيدة عن تقنية التشفير كما توقعت، الفضل كله للدروس التي نلتها على يد خبير تقنية معلومات اسمه مهند عمار، يحضر لشقتي بمدينة نصر مرتان في الاسبوع، بناء على طلبي، ويكلفني ربعمائة جنية في المحاضرة الواحدة، أعرف انه مبلغ كبير ومبالغ فيه، لكنه بكل تأكيد لم يذهب هباء

كنت منذ عام قد قرأت في جريدة الوسيط الاعلانية، تحت تبويب عروض خدمات - تقنية معلومات -، إعلان مثير لفواه، خبير معلومات يقوم بتعليم الكمبيوتر بكل تخصصاته للعملاء في منازلهم، فبادرت بالإتصال به وذهلت من سعر المحاضرة الخرافي المبالغ فيه، لكن دفعني الفضول للتجربة لمرة واحدة، استفدت من هذا الرجل كثيرا، فواظبت على استدعائه والاستفادة من معلوماته الغزيرة والمواكبة لكل جديد، ورغم ان «كمال جرجس» صديقي منذ الطفولة يملك شركة كمبيوتر، إلا انه يعد جاهل مقارنة بخبير الكمبيوتر «مهند عمار»، الذي جعلني أعرف ما لايعرفه أغلب خريجي كليات الحاسوب وتقنية المعلومات أمثال صديقي «كمال جرجس»

اعترف لكم اني لم أكن متفوقا في دراستي لا في المدارس العادية ولا في كلية الشرطة، بل كنت دائما أنجح بصعوبة متناهية، لكني أعتقد اني داهية، وذكائي الاجتماعي والوظيفي لا يقارن بمن حولي، وأسعى دائما للتميز عن الآخرين بإكتساب الغريب والغير معهود من المعلومات، لذلك تعلمت بجد واجتهاد من خبير الكمبيوتر مهند عمار، واكتسب منه الكثير من المعلومات القيمة

لعلكم تريدون التعرف علي ظروف نشأتي وطباعي، حسنا سأخبركم بالمزيد عني ولن أخفى عليكم سوى ما أعرف انه لن يفيدكم، تعرفون ان اسمي «زياد سمير العمري»، أبي هو الدكتور «سمير العمري» أخصائي جراحة المخ والأعصاب بمستشفى الشرطة، وهو الذي ساعدني بمعارفه وادخلني كلية الشرطة، لكن بكل أسف ساءت علاقتي كثيرا بأبي وأمي وأسرتي، ليس بسبب ما تم بعد ٣٠ يونيو ٢٠١٣ من عزل للاخوان، واسقاط نظام حكمهم الواهي، ولا بسبب فض رابعة، الذي نتج عنه قتل وحرق،

واصابات واعتقالات، فقد كانت أسرتي ولازالت تكره الاخوان مثل غالبية الشعب المصري حينئذ ولم يتعاطف معهم أبي وأسرتي

لكن مرجع سبب سوء علاقتي بأسرتي هو ان شخصيتي وطباعي تغيرا تماماً منذ أن نقلت للعمل في جهاز «مباحث أمن الوطن»، وتدريجيا أصبحت لا أكترث سوى بنفسي، وبدأت جفوة غريبة تظهر في علاقاتي بأهلي وأصدقائي، كما زاد عشقي ونهمي للمال والملذات اللذان توفرا لي أكثر من قبل، بعدما نقلت لأمن الوطن، وصرت لا أتواصل وجدانيا واجتماعيا مع أفراد أسرتي بعد استغراقي التام في عملي، ودون قصد مني زادت حدة الهوة بيني وبين أهلي ومعارفي، خاصة بعدما انتقلت منذ عام لشقتي بمدينة نصر، والتي كنت قد اشتريتها بعد نقلي لأمن الوطن بشهران

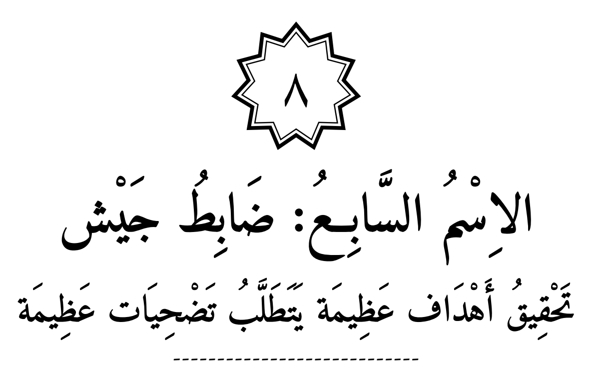
عدت لمقر مباحث أمن الوطن بمدينة نصر، ودخلت مكتب مديري اللواء «كريم سليمان»، وأبلغته بأغلب تفاصيل اجتماعي مع اللواء «عادل موسى» بالمخابرات العسكرية، وبالطبع أخفيت عليه نسخي لملف من حاسوبه النقال، ولبرهة خاطفة ظهرت على وجه اللواء «كريم» مشاعر الغيرة والغيظ، عندما علم بأن المخابرات العسكرية، توصلت لمعرفة منفذي مذبحة كمين البرابرة، وستعتقلهم وتحيلهم للقضاء العسكري، صرفني اللواء «كريم» وخرجت من غرفة مكتبه

عصر اليوم دخلت غرفة مكتبي وفتحت حاسوبي النقال، وبدأت بلهفة شديدة في قراءة تقرير المقدم وديع الحداد، وأقول لكم بصدق اني لم اندهش عندما قرأت في التقرير ان من نفذ مذبحة البرابرة هو المقدم وديع، ومساعده النقيب رامي، بالإضافة لسبعة من صف ضباط الجيش، وهم يشكلون جميعا مجموعة قتالية من المجموعات القتالية التابعة لفرع العمليات الاستراتيجية بالمخابرات العسكرية

حدثت نفسي بأن أمثال المقدم ديع الحداد هم الأحق بحكم مصر، فقدرته على قتل زملائه في سبيل أهداف عليا أذهلتني، وأثارت في نفسي الحماس، ووصل بي الحال لإعتبار المقدم وديع بمنزلة ملهم عظيم، يمدني بحماسة متناهية لبذل قصارى جهدي في تأدية عملي، دون أي اعتبار لما يسمى مشاعر إنسانية، أو زمالة أو نخوة، أو اي شيء آخر يضعف ويوهن عزيمتي

صرت اليوم أكثر إيمانا بأن المَشَاعِرُ البَشَرِيَّةَ كَالغَضَبِ وَالحُبِّ وَالكَرَاهِيَةِ وَغَيْرِهَا تُشَوِّشُ عَلَى تَفْكِيرِ الإِنْسَانِ وَتَجْعَلُهُ فَاشِلً بِجَدَارَة، ولهذا سأتخذ المقدم وديع الحداد قدوة أحتذي بها





الاِسْمُ السَّابِـعُ: ضَابِطُ جَيْش

تَحْقِيقُ أَهْدَاف عَظِيمَة يَتَطَلَّبُ تَضْحِيَات عَظِيمَة

مساء البارحة إنتهيت من كتابة تقريري عن عملية كمين البرابرة، ثم نسخته على فلاشة وسلمته بنفسي إلى اللواء «شهير قزمان» مدير فرع العمليات الاستراتيجية بالمخابرات العسكرية، أعرف انكم تريدون معرفة كيف قمت أنا ومجموعتي بتنفيذ العملية، ولن أبخل عليكم بما أعلم وسأحكي لكم ما حدث بالتفصيل، لكن أرجوكم لا تسيئوا الظن بي، ولا تتسرعوا في الحكم علي إلا بعد ان تعرفوا الحكاية من طقطق لسلامو عليكو، وحينها ستدركون اني أقدم خدمة جليلة لوطني مصر، وبديهي لكل إنسان ان تَحْقِيقُ أَهْدَاف عَظِيمَة يَتَطَلَّبُ تَضْحِيَات عَظِيمَة، قبل ان أحكي لكم ما حدث أطالبكم بأن لا تركنوا للعواطف والمشاعر، احكموا بعقولكم، وستدركون مدى أهمية وجود أمثالي لتصحيح الأخطاء وتجنب الكوارث التي لا يحمد عقباها، منذ اسبوع دعاني اللواء شهير قزمان مديري لمكتبه، وأنبأني بسقوط عدد من جنودنا قتلى في ليبيا، أثناء مشاركتهم ضمن سريتان مشاة ميكانيكي، أرسلهم الرئيس السيسي لمساندة القائد العسكري الثوري الليبي خليفة حفتر، الذي كان يشن هجوما على احدى معاقل الارهابيين في ليبيا، بهدف بسط الأمن والسيطرة على الحكم، حتى لا تتدهور أوضاع بلدهم أكثر مما هي متدهوره، منذ قيام المخربين بتدمير ليبيا وقتل زعيمها القذافي

علمت من رئيسي انه إذا ما تسرب للاعلام حقيقة ما حدث، فقد يترتب على ذلك الكثير من البلبلة بين المواطنين، مما قد ينتج عنه تزعزع نظام الحكم، بل ربما صعد نجم التيار الارهابي مجددا كبديل للنظام الحالي، ولم اندهش عندما أخبرني اللواء شهير، بأن فرع التخطيط الاستراتيجي بالمخابرات العسكرية، يقوم منذ فترة برصد الجنود وصف

الضباط والضباط المعارضين لقرارات ٣ يوليو ٢٠١٣م، سواء كانوا من الاخوان والمتعاطفين معهم من التيار الديني، أو سواء كانوا من اصحاب الميول الثورية، وهؤلاء الثوريين رغم انهم كالعقد المنفرط، لا يربطهم رابط وليس لهم قائد، إلا ان كرههم وعدائهم للدولة المصرية ونظام حكمها لا مثيل له

كما لم يكن مجهولا لدي ان بعد قيام المخابرات العسكرية برصد المعادين للنظام داخل الجيش، تقوم المخابرات بتجميع هؤلاء الأعداء الغير وطنيين من الجنود والضباط والصف ضباط في عدة معسكرات ووحدات معينة، بحيث تصبح مقرا لخدمتهم، وبحيث إذا ما دعت الحاجة يتم التخلص منهم عند الضرورة، بهجمات ينفذها خلايا ارهابية، يتم توجيهها من خلف ستار لقتل هؤلاء الأعداء، بدلا من قتل الجنود الأبرياء الموالين للحكومة المصرية، ويتم استخدام هذه الحوادث الارهابية لصالح مصر، وتقوم الحكومة بتعويض أهالي الضحايا، وبهذا يتم ضرب عصفوران بحجر، تضليل الارهابيين بجعلهم يقتلون أعداء مصر، وأيضًا دفع الشعب للتعاطف والوقوف مع الحكومة التي تحارب الارهاب، وتعاني من سقوط ضحايا في حربها على الارهاب، وبالطبع كنت ملماً بأغلب ما يقوله مديري اللواء شهير، قاطعت مديري

- مفيش داعي للمقدمة دي سعادتك، أنا عارف كل ده وسبق ان نفذت عمليتين ضد مواقع تابعة للجيش في سينا

- بس المرة دي هنضرب تلات عصافير بحجر مش عصفورين بس

شرح لي اللواء «شهير» بإستفاضة الهدف الأساسي للعملية القادمة، وهو إلقاء جثث جنودنا المقتولين في ليبيا داخل موقع العملية القادمة، بعد الانتهاء من تنفيذها، فهمت ان العملية التي سيكلفني بها قائدي، ستكون أهم نتائجها، التغطية على قتل جنودنا بليبيا، حتى لا تهتز شعبية الرئيس السيسي

- تمام سيادتك الفكرة وصلت ورجالتي جاهزين

ناولني اللواء شهير قرص مدمج داخل مظروف بلاستيكي رقيق، أخرجه من أحد أدراج مكتبه

- ده فيديو لموقع كمين البرابرة متتفرجش عليه إلا بعد ما تشوف الموقع عالطبيعة،

هتخرج من مكتبي على طيارة هليكوبتر مستنياك دلوقتي في المهبط الخلفي، وهتطلع حالا على موقع الكمين تعاينه من الجو وتنزل بالطيارة هناك، توصل لهم مظروف التعليمات ده، تسلمه لقائد الكمين، تعليمات عادية بنطالبه فيها بإرسال تقرير عن وضع الكمين ... ومن أرض الكمين تعاينه كويس، وترجع النهاردة برضه على معسكرنا الشرقي رقم واحد، وتعمل مسرح عمليات مشابه للكمين بالزبط، وتبتدي من صباح باكر تدرب رجالتك بمشروع اقتحام مصغر، وتديني تمام بعد ما تخلص المناورة وتكون مجموعتك جاهزة للتنفيذ، عشان اقول لك على التعليمات الجديدة

صمت قائدي لثواني معدودة ثم قال

- انصراف دلوقتي وبعد بكرة الصبح تديني تمام باللي نفذته

نهضت من مقعدي وأديت التحية العسكرية قبل ان انصرف من مكتبه

- تمام يا فندم علم وينفذ

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

داخل معسكر تابع للمخابرات العسكرية، على بعد خمسون كيلو متر شرق القاهرة الجديدة أنشأت مسرح مناورة، مشابة لموقع الكمين الذي زرته عملياً بالأمس بعد مغادرتي لمكتب قائدي، وبمعاونة من جنود المعسكر الشرقي، نجحت في تخطيط وانشاء موقع مماثل لموقع كمين البرابرة

نفذت مع جنودي مناورة مشروع اقتحام لمسرح الكمين بنجاح تام، وكررناها عدة مرات، وبعد انتهاء المشروع تناولنا وجبة الغداء داخل المعسكر، وشرحت لمجموعتي بعد الغداء طبيعة المهمة المطلوب تنفيذها، وقد أظهروا تفهماً تاماً لأهمية المهمة التي تهدف لاستقرار مصر، أفراد مجموعتي وباقي المجموعات القتالية تم اختيارهم بعناية، بعد تحريات دقيقة وشاملة من المخابرات العامة والعسكرية وأمن الوطن، وتم ضمهم للمخابرات العسكرية من أسلحتهم الرئيسية، فأغلب أفراد مجموعتي من سلاح الصاعقة، بإستثناء إثنان من سلاح المظلات، أحدهم النقيب «رامي»، والآخر هو الرقيب أول «عسران» الصعيدي الشهير «برامبو الشرس»، والذي يسيل لعابه مثل باقي أفراد المجموعة بالمكافئات السخية، التي ينالها عقب كل عملية، ويشعر بولاء تام للمخابرات،

بعد ان حصل على شقة من شقق الجيش بالقاهرة الجديدة، مثل باقي أفراد المجموعات القتالية، التابعة لفرع العمليات الاستراتيجية بالمخابرات العسكرية، بناء على توصيات مني ومن زملائي قادة المجموعات، لإئتلاف قلوب مقاتلينا وضمان ولائهم وامتنانهم

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

أقف بجوار احدى السيارتان المختفيتان خلف كثيب رملي، على بعد اثنين كيلو متر من كمين البرابرة، وتتساقط حبات عرق لزج على جبيني وعنقي، بينما الشمس الحارقة فوق رأسي تكاد تذيبني فوق الرمال، كنهر معدني منصهر خرج من فرن بأحد مصانع الحديد، وأرى بمنظاري المقرب سيارة دفع رباعي رمادية تقف أمام الكمين، وداخل صندوقها يقف أربعة أفراد يرتدون ملابس مدنية مثلنا، كنت بحسب التعليمات قد أمرت مجموعتي بإرتداء ملابس مدنية قبل التوجة لتنفيذ العملية بساعات، من فوق صندوق السيارة الرمادية تنطلق عدة رصاصات، يسقط على اثرها أحد جنود خدمة الكمين النهارية، كانوا ثلاثة جنود، ورأيت الجندي يتلوى ولازال حيا، وزحف ليختبأ خلف برميل، ثم تنطلق قذيفة «أر بي جي» من على كتف فرد آخر من الواقفين فوق صندوق السيارة الرمادية، التي تحمل الخلية الارهابية، فتدمر القذيفة احدى سيارات الكمين، التي كان يقف بالقرب منها أحد الجنود ويسقط أرضا، وأخمن ان احدى الشظايا أصابته في مؤخرته، التي يمسكها بيده وتنزف منها دماء قليلة، ثم انبطح الجندي على وجهه فوق الرمال يتلوى، ويحاول ان يطلق رصاص سلاحه لكن يفشل، كما فشل أَيضًا زميلاه في اطلاق نيران أسلحتهم على المهاجمين

في مثل هذه الحالات تتمكن المخابرات العسكرية بنفوذها الخفي من نزع إبر ضرب النار، بأسلحة المواقع التي سيتم استهدافها بمذابح، حتى تسرع من تنفيذ المذابح دون مقاومة، وأَيضًا كي لا يسقط ضحايا بين المهاجمين تتسبب في ارتباكهم وفشل هجومهم، سواء كان منفذي الهجوم خلايا ارهابية، أو كنا نحن أو غيرنا من المجموعات القتالية

اختبأ الجندي الثالث خلف برميل مجاور للبرميل الذي يختبيء خلفه زميله المصاب في كتفه، ومن فوق السيارة الرمادية تنطلق قذيفة اخرى على عنبر اقامة جنود الكمين، الذين أطل بعضهم من الباب عقب سماعهم لأصوات الرصاص والتفجير، ثم اختفوا

تماما بعد ان فجرت القذيفة الجدار بجوار الباب الخشبي، الذي سقط على الأرض سليما بعد انفصال اطاره كاملا من الجدار الذي تهدم وتشقق بفعل القذيفة

أحد أفراد الخلية الارهابية طويل القامة بشكل ملحوظ، لازال يقف داخل صندوق السيارة، ويبدأ في مناقشة زملائه ويلوح بيده معنفا، ويشير ناحية الجنود الثلاثة، بينما تنطلق القذيفة الثالثة، فتدمر كابينة سيارة، كانت تقف بجوار مبنى دور واحد صغير مستقل عن مبنى عنبر الجنود، وبه عدة غرف للضباط وصف الضباط

فوق السيارة الرمادية توقف الأربعة عن إطلاق النار، بينما لا يرد عليهم الجنود برشاشاتهم التي كما نعرف كانت معطلة، بعد نقاش عنيف فوق صندوق السيارة، تحركت السيارة الرمادية مبتعدة عن الكمين دون ان تكمل مهمتها

تلقيت مكالمة على هاتفي المؤقت من الأمير «أبو إسلام» قائد الخلية، أبلغني بفشل الهجوم بسبب تردد أعوانه في الفتك بالجنود، الذين لا يمكنهم الدفاع عن أنفسهم، هاتفي الإحتياطي الذي تلقيت عليه مكالمة «أبو إسلام» به شريحة جديدة اعطيت رقمها لرئيسي، والذي بدوره أوصلها لأحد قادة جهاز مباحث أمن الوطن المشرفين على تجنيد الخلية، والذي أوصل بدوره رقم هاتفي لعميلهم «أبو إسلام»، ليطلعني بعد الهجوم بما تم تنفيذه، وهاهو قد أبلغني بفشل الهجوم

«أبو إسلام» عميل قديم لأمن الوطن، تم دسه بدهاء في مساجد الارهابيين الذين يكفرون كل من سواهم ليل نهار، وتلك المساجد منتشرة تقريبا في جميع أنحاء مصر، خصوصا الصعيد وسيناء والدلتا، «أبو إسلام» مثل عشرات الآلاف من العملاء، يكررون نفس الافكار والالفاظ، والآيات والأحاديث التي يطرحها أمثال بن لادن، والظواهري وابو بكر البغدادي، وغيرهم من مشاهير المجرمين الارهابيين، كانت مهمة مجموعتي القتالية الأساسية هي القاء جثث الجنود المقتولين في موقع الكمين، بعد ان تنفذ الخلية الارهابية المذبحة، وكنت قد جهزت مجموعتي احتياطيا بمناورة لتنفيذ العملية في حالة فشل الخلية

خلال ثلاث دقائق كانت السيارة الرمادية قد غابت عن أنظاري، وأصدرت

لمجموعتي الأمر بتنفيذ الهجوم، وبالفعل خلال خمس دقائق تم ابادة أفراد الكمين عن بكرة أبيهم، بما فيهم المختبئين في عنبر إقامة الجنود والغرف التي تخص قائد الكمين والضابط وصف الضباط والسلاحليك

كانت السيارة الأولى التي أقلتنا لموقع الكمين تقف منتظرة كي نغادر الموقع بها بعد نجاح مهمتنا، وعبر هاتفي الاحتياطي أصدرت أمراً لسائق السيارة الثانية بالحضور لموقع العملية، ثم ارتدينا أنا ومجموعتي قفازات كقفازات المستشفيات، وبدأنا في اخراج جثث الجنود من صندوق السيارة الثانية، وكانت الجثث مغطاة بقماش كاكي اللون، وقمنا بتوزيع الجثث بالعدل داخل الكمين، وألقيناها بجوار جثث أفراد الكمين، ثم انصرفنا مسرعين بالسيارتين، متجهين لنقطة إنزالنا، التي تنتظرنا بها الطائرة المروحية التي أحضرتنا من القاهرة، وكانت تنتظرنا داخل معسكر جيش، يبعد عشرين كيلو متر عن موقع كمين البرابرة

خلال انسحابي مع مجموعتي استخدمت هاتفي الأساسي مجدداً، وأبلغت قائدي بما تم تنفيذه، فهنأني وأمرني بالعودة، أنا ومجموعتي بنفس الطائرة التي أقلتنا للوادي الجديد، أثناء تحليق الطائرة أمرت قائدها بالمرور من فوق الكمين، وشاهدت على الأرض خمس عربات جيش متعددة الاحجام تصطف بالقرب من موقع الكمين، الذي انتشر به جنود وضباط المخابرات العسكرية بزي مدني وعسكري، ويرفعون الجثث ويلتقطون الصور لآثار التدمير والدماء، وصلنا للمعسكر الشرقي رقم واحد قبل غروب الشمس بقليل، وبعد نزولنا من الهيلكوبتر وزعت على صف الضباط مظاريف المكافئات، بكل مظروف الف جنية بناء على تعليمات قائدي، الذي أعطاني المظاريف قبل مغادرتي مكتبه صباح اليوم

وزعت تصريحات غياب مختومة لصف ضباط مجموعتي القتالية بأجازة أربعة أيام، حتى يتم تجهيز كشف المكافئات التي ستصرف لهم كالعادة عقب نجاح كل عملية، عدت أنا والنقيب رامي بسيارتينا لمقر إدارة المخابرات العسكرية، وداخل سيارتي فتحت مظروفي الخاص المكتوب عليه اسمي ووجدت به نصف رزمة نقدية من فئة المائتا جنية اي ما يوازي عشرة الاف جنية، كان نصف هذا المبلغ في مظروف النقيب رامي، وانا

الذي سلمته له بعيدا عن أعين أفراد مجموعتي القتالية

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

داخل شقتي كانت تنتظرني زوجتي بترقب وخوف، تفحصتني، ثم إرتسمت على ثغرها ابتسامة ساحرة، عندما تيقنت بأنى سليماً دون خدش واحد

نسيت ان أخبركم إني متزوج وعندي طفل في الرابعة، وعندما أذهب لتنفيذ عملية مع مجموعتي أطلب من زوجتي ان تدعو لي بالنجاح، فهي لهذا تكون مضطربة ومتوترة عند ذهابي وعودتي من تلك المهام الوطنية الخطرة، وهي بالطبع تجهل طبيعة المهام والعمليات التي أقوم بتنفيذها

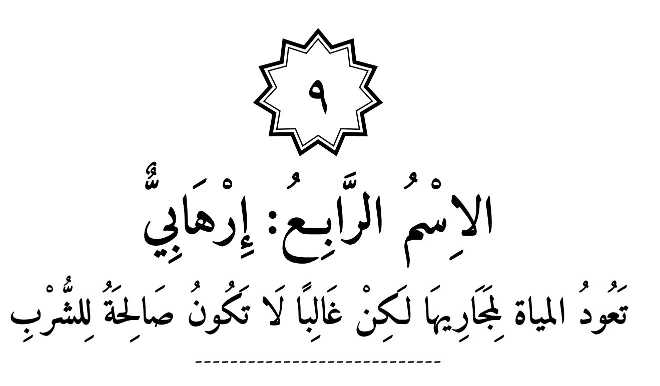
بعد ان انتهيت من مضاجعة زوجتي، تناولت عشاءً خفيفا للمرة الثانية هذه الليلة، وجلست على مكتبي قرابة نصف ساعة، كتبت على حاسوبي في ملف التقرير أهم النقاط التي خفت ان تضيع من عقلي، ثم ذهبت لمخدعي واستلقيت على سريري محاولا النوم

يالها من أقدار، فلولا فشل الخلية الإرهابية الخائبة لكنت فشلت في مضاجعة زوجتي بنجاح هذه الليلة، لا تتعجبون من كلامي، فشهوتي تكون أقوى بعد قتل أعداء مصر حتى لو كانوا زملائي في الجيش

حدثت نفسي بأن سعادة زوجتي، بوصولها للنشوة خلال ايلاجي بفرجها ومؤخرتها يعود بالفضل للشاب الطويل، الذي جادل أفراد الخلية على صندوق السيارة التويوتا الرمادية، وتسبب بجداله في فشل تنفيذهم للهجوم

لو تعرفين يا زوجتي سبب سعادتك الليلة، لأرسلتي رسالة شكر للشاب طويل القامة، الذي كان يقف عصر اليوم فوق صندوق السيارة الرمادية





٩

الاِسْمُ الرَّابِـعُ: إِرْهَابِيٌّ

تَعُودُ المياة لِمَجَارِيهَا لَكِنْ غَالِبًا لَا تَكُونُ صَالِحَةً لِلشُّرْبِ

ألقوا بي منذ أيام في غياهب هذا الجب السحيق بعد ان اقتادوني معصوب العينان في ممرات ودهاليز ضيقة، هوائها راكد كالماء الآسن، في طريقي للزنزانة هبطت درجات عديدة، وأظن ان زنزانتي تحت الأرض، رفعت الغطاء عن عيني بعد ان سمعت صرير الباب يغلق خلفي، واستنشقت هواء الزنزانة الزنخ، لا توجد نافذة في الزنزانة، شعاع باهت يتسرب من أسفل الباب، قادماً من الممر خارج زنزانتي الضيقة كحوت يونس عليه السلام، كنت مدفوناً في قبر يطلق عليه افتراءً زنزانة

أرقد على ظهري، بفمي مذاق دماء نزفت من لثتي وأنفي، تملني دموعي المنهمرة من عيناي، مُهْتَرِئ النفس كخرقة بالية على بلاط قذر في زنزانة طولها أقل من متر ونصف، وعرضها نصف متر، ليس بها دورة مياة ولا حتى مياة للشرب سوى قارورة بلاستيكية صغيرة، تشوه قوامها متغضنا من كثرة إستعمالها، يعيدون ملأً القارورة بالماء كل يوم مع الوجبة اليتيمة، التي يقذفونها من الباب إلى أرض الزنزانة ، وجبة مكونة من رغيف خبز وقطعة جبن مثلثات، وجبة لا تكفي طفل في الرابعة من عمره، أتقوقع متكرمشاً، ملتفاً على نفسي، وأتضور جوعاً، يغرقني في بحر سحيق من الآلام النفسية والجسدية التي لا قبل لي على تحملها، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [١٣] أرددها في نفسي أغلب الوقت وأحيانا بصوت خافت، لا يوجد شيء يشغل تفكيري، سوى المعاناة واليأس، يتخللهم أحيانا شريط رحلتي في الحياة، يعرض نفسه تلقائيا داخل خيالي، حاولت من خلال استعراض حياتي ان اكتشف أي ذنب فادح ارتكبته،

---

١٣ {الأنبياء : ٨٧}

واستحققت عليه هذا العذاب المقيم، المصحوب بالامتهان والاستعباد، فرغم إني لم أكن ملاكاً، إلا أني أيضًا بنفس القدر لم أكن شيطاناً، لعنة الله على الشيطان يوسوس لي بأن الله عاجز عن ايقاف هؤلاء الظالمين الفجرة عن غيهم وظلمهم وإجرامهم، لعنة الله على ابليس اللعين

لازالت تطن في أذني جلجلات وضحكات الطبيب، والضابط عندما سخرا مني عقب ان كشف الطبيب على فتحة شرجي، واكتشف اني مارست اللواط فيما مضي، كان ذلك ماضي سحيق، وتبت عنه فراراً من سخرية واستهزاء الناس، ورغبة في الحصول على عفو الله، لازلت أتذكر المجرم الذي فعل هذا بي أول مرة، كنت طفلا صغيرا عندما خدعني ابن عمدة قريتي وأصدقائه المراهقين، أغروني ببعض قطع الحلوى، واقتادوني لداخل خن من أعواد البوص بجانب ساقية مهجورة، بعيدة عن القرية وتناوبوا اللواط بي، وقبل ان يفلتوني أعطوني الحلوى، وهددوني بان يقتلوا أبي وأمي إذا حكيت لأهلي ما فعلوه، ولعدة سنوات تالية كان أغلب شباب ومراهقي قريتي يلوطون بي مقابل بضعة قروش أو قطع حلوى وغالبا دون مقابل، إلى ان حصلت على الشهادة الاعدادية، وذهبت إلى مدينة طنطا للدراسة في مدرسة الزراعة، وهناك تعلمت من أقراني ما لم أتعلمه من أحد في قريتي، وعرفت ان الرجل لم يخلق لكي يفعل به، وانما النساء هن من خلقن للنكاح، كما عرفت ان من يهين نفسه ويتحول إلى لوطي شاذ خول يصبح ملطشة لكل البشر، وينال غضب الله عليه، ويستحق نار جهنم خالداً فيها للأبد

بعد ذلك قررت ان الأصوب لي أن احافظ على سمعتي، ولا أسمح لأي إنسان بأن يعتليني ويلوط بي، ولكي أصلح صورتي وأطهر سمعتي بين زملائي الطلاب بدأت في تعلم الصلاة، وادائها في مسجد الثانوية الزراعية، لكن لم أكن مواظبا على الدوام، وبرغم صلاتي وخوفي من الله لكني مع ذلك تعلمت مصادقة فتيات مدرستي، فقد كانت مدرسة مشتركة

بعد ان بدأت في اللهو مع الفتيات، تغاضي زملائي عن الماضي القذر الذي كنت غارقا فيه، أيام كنت شاذا، أحببت إحدى زميلاتي، وهي بلديات أحد أصدقائي، كانت محبوبتي الأولى من أسرة فقيرة مثلي، واسمها «عبير»، فتاة متوسطة الجمال، لكنها

لا تبخل بجسدها أبداً، فصارت أكثر جمالاً في نظر كل طلاب، ومدرسي الثانوية الزراعية

بين أحضان عبير تعلمت كيف يكون الحب بين رجل وامرأة، فكنت اختلي بها، واقبلها وأعصر صدرها، وأطعن عفتها برمحي في أماكن مهجورة بمدرستنا، ذات المباني الكثيرة المحاطة بقطعة أرض زراعية، نتعلم فيها الزراعة وأشياء اخرى بشكل عملي، أصبحت رجل من جديد بين أحضان عبير، وصار لزاما علي ان أقلد زملائي، وأحكي مغامراتي مع حبيبتي التي كان يشاركني فيها عدد آخر من طلاب وأساتذة مدرسة الزراعة، فقد كانت عبير متاحة للجميع طالما ستستفيد منهم بساندويتش أو حاجة ساقعة، أو حتى كراسة، أقصى ما استطيع اهدائه لها هو برشامة للغش في الامتحان، ومع ذلك كانت عبير كريمة معي كسحابة خريف مثقلة بالمطر، تروي ظمأ الاراضى الجدباء ببذخ دونما انتظار شكر، وكأنها تمتع بالعطاء كما يتمتع البشر بالأخذ، بغض النظر عن كون عبير هي من تأخذ فعلياً

بعد ان انهيت دراستي، ونجحت في الحصول على شهادة دبلوم ثانوي زراعي، استعنت بصديق الدراسة «عبد الله»، كي يجد لي عملا بمساعدة أبيه، وبالفعل حصلت على عمل في مطعم صغير للفول والطعمية، بالقرب من ادارة مرور وتراخيص طنطا، وكان المطعم الذي عملت به على الرصيف المقابل لسور المرور الذي يجلس بمحاذاته عم «فاروق»، والد «عبد الله» صديقي، الذي كان يحترف مهنة كاتب عرضحالجي

مقر عمل عم «فاروق» عبارة عن مقعد بجوار بوابة ادارة المرور، وأمامه منضدة صغيرة عليها بعض الأوراق البيضاء، والمستندات ويقوم بكتابة وملأ استمارات، وأوراق وطلبات الراغبين في استخراج رخصة قيادة، أو تجديد رخص سياراتهم، كنت أحياناً كثيرة أجلس مع عم فاروق قبل ذهابي للعمل في المطعم، والذي كان يبدأ في تمام العاشرة صباحا وينتهي ربما بعد العاشرة مساء، وخلال ثلاث سنوات جالست وصادقت فيها عم فاروق قبل ان يتوفاه الله، تعلمت منه الكثير من أسرار وخبايا عمله، ودوره في التوسط للعملاء، بتسهيل أعمالهم بشبكة معارفه من أغلب موظفي ادارة المرور، وبعض الضباط، بعد وفاة عم فاروق لم يرث صديقي عمله، حيث كان

والده قبل وفاته قد استعان ببعض معارفه، وألحقه بعمل مكتبي في محكمة طنطا، (الوساطة وما أدراك ما الوساطة) دبلوم زراعة يعين اداريا في وزارة العدل؟؟!!!، إستأذنت صديقي باستعمال كرسي ومنضدة أبيه والعمل مكانه، وبدأت في ممارسة عملي بهمة ونشاط، وخلال عدة أيام، اصبح متوسط دخلي اليومي من عملي الجديد، كاتب عرضحالجي، يوازي أجر اسبوع من عملي في المطعم الذي كنت أعمل به لمدة تقارب الاثنى عشرة ساعة، بينما عملي الجديد ككاتب عرضحالجي، كان لا يتجاوز السبع ساعات يومياً

بعد ثورة يناير بعامان ونصف فقدت عملي، وحل مكاني بلطحية تابعين للأجهزة الأمنية، علماً بأني لم اشارك في مظاهرات ثورة ٢٥ يناير، طاعةً لشيوخنا وعلمائنا الأفاضل، لم أشارك في الثورة ضد نظام مبارك برغم كراهيتي للحكام الطواغيت المجرمين، والسبب هو الشيخ «عواض» وأقرانه من مشاهير شيوخنا المبجلين

الشيخ «عواض» وقتها كان قد ناشد الشعب في التلفزيون بأن لا يسقطوا في بحر الفتنة المتلاطم، وقال ان هذه المظاهرات مؤامرة خطط لها اليهود لاسقاط مصر في الفوضى، وقال ان منذ اندلاع مظاهرات ٢٥ يناير انعدم الأمن في مصر

أسال الشيخ عواض من عيناه أنهاراً وهو يستشهد بقوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [14] ، ورغم إني لم أكن آمناً مطمئناً في عهد مبارك ولكني أطعت الشيخ عواض

أَيضًا قام الشيخ بطمأنة الشباب الثائرين وقال لهم أن مبارك عرف طلباتهم، وناشد الشيخ «عواض» الشباب بالعودة لمنازلهم كما إِسْتَهْجَنَ تَحَدُّثَ العامة الجهلاء في السياسة وادعائهم الثورية مستدلاً بقول الرسول ﷺ "سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خُدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ، قَالَ : الرَّجُلُ التَّافِهُ يَنْطِقُ

١٤ {سورة النحل: ١١٢} قياس خاطئ واستدلال في غير محله، لم تكن سنوات ما قبل الثورة نعيم؛ بل كانت جحيم مغلف بأشجار لخداع الشعب الذي لازال يعاني من جلاوزة وزبانية الأجهزة الأمنية، أضف لهذا الطغيان والنهب المنظم للثروات وافقار وتجهيل واستعباد الشعب

فِي أَمْرِ الْعَامَةِ " [١٥] ، وبكي الشيخ «عواض» خشية احتراق مصر بالفتنة وهلاك شعبها

ثم يوم ٤ فبراير عقب موقعة الجمل في التحرير علمت ان الشيخ ذهب إلى ميدان عبد المنعم رياض المجاور لميدان التحرير، وخطب في المعتصمين وهو محاط بالشرطة العسكرية، وأوعز إلى الشباب بأن يحافظوا على استقرار مصر، ونصحهم ان لا يسمحوا لأحد بالاضرار بالاملاك العامة، وان لا يسمحوا للانتهازيين والمجرمين بالتغلغل بينهم، وتسلق أعناق الشباب لتحقيق أطماعهم، ثم كانت مفاجأتي الكبرى عندما بشرهم الشيخ «عواض» بقرب التغيير، ودعا للجيش بالفلاح والتوفيق واعادة الأمن لمصر

تربكني أحيانا فتاوي ومواقف شيوخنا الأجلاء، لكن ثقتي فيهم تدفعني لطاعتهم، سواء أصابوا أو أخطأوا، يبدوا اننا بالفعل في زمن الفتن، ولكي أنجو بنفسي عليَ أن أطيع شيوخي، فهم أبصر الناس بالحق، إن أصابوا لهم أجران، وان أخطأوا فلهم أجر ولا ذنب على من يتبعهم، وهأنذا قد إِمْتَثَلْتُ بما كلفني به الشيخ «عواض»، وسافرت مئات الكيلومترات، وتحملت مشقة العيش في الصحراء، ثم في النهاية تم أسري وإعتقالي وتعذيبي ببشاعة وشناعة وفظاعة، ووحشية لم تكن لتخطر على بالي

أنا خليط من الخير والشر كأغلب البشر، فلماذا صب الله علي هذا العذاب المهين دونا عن كل البشر؟!، لحظة ان بدأنا في مهاجمة جنود الكمين أطلقت عدة طلقات على أحد الجنود، فأصابته إحداها أسفل ظهره، وسقط على الأرض، وإختبأ من طلقاتي

---

١٥ حديث نبوي ضعيف، رواه وأخرجه بصيغ مختلفة ابن عساكر والحاكم واحمد وابن ماجه والشجري والخرائطي والطبراني وعبد الرازق وابن عدي والطحاوي وابو يعلي وابن أخي ميمي الدقاق والبزار وغيرهم، وظاهر السند جيد عند بعضهم لكن الحديث جاء من عدة طرق كلها فيها مجهولين ومتروكين وكذبه ومدلسين وضعفاء يروون احاديث منكرة، والعديد من العلماء القدماء والمعاصرين قد ضعفه وتراجع عن تصحيحه، ورغم هذا يعده البعض حديث مقبول وحسن محتجين بمجموع طرقه متجاهلين حقيقة ان كل طرقه أوهن من بيت العنكبوت، وللأسف يصر البعض في عصرنا على التشدق بالحديث ليل نهار

مجمل ما ورد من تعريفات الرويبضة أنه : - ١ - السفية ينطق في أمر العامة

- ٢ - سفلة الناس - ٣ - الفويسق يتكلم في أمر العامة - ٤ - الفاسق يتكلم في أمر العامة

- ٥ - من لا يؤبه له - ٦ - الرجل التافه يتكلم في أمر العامة - ٧ - الوضيع من الناس، هذه سبع تعريفات للرويبضة مما يدل على عدم ضبط لفظها، وكلها ضعيف لا يصح منها شيء، ومعانيها متخالفة متضادة، فإن من لا يؤبه له ليس بالضرورة أن يكون من الفساق، بل وردت أحاديث في مدح هذا الصنف الخفي التقي، وبديهي ان من حق كل إنسان ان يعبر عن آرائه وينتقد حكامه ويقومهم إن أخطأوا وللناس مطلق الحرية بأن تأخذ بآرائه أو تنبذها، وأخيراً من ذا الذي يملك الحق في تصنيف البشر ويتهم عامة الشعب بأنهم رويبضة ويمنعهم من التعبير عن غضبتهم تجاه طاغوت فاسد مفسد مجرم متجبر

خلف برميل من براميل الحاجز الذي يحيط بمقر الكمين، ولاحظت ان الجندي فشل في اطلاق نيران سلاحه، الذي وجهه نحونا من فوق البرميل، وبالمثل كان زميلاه الجنديان الآخران يحاولان عبثاً اطلاق نيران أسلحتهم، وسمعتهم يشتكون من تعطل الأسلحة، شعرت اننا ننفذ مذبحة، وان هذه ليست غزوة بل جريمة قتل، لأشخاص عزل لا يملكون سلاحاً للدفاع عن أنفسهم، وأعلنت عن رأي هذا لأشقائي المجاهدين، الواقفين بجواري على صندوق السيارة الرمادية، رد علي «ابو عمر» رفيقي في الغزوة، بأن الله يعاوننا ولهذا عطل أسلحتهم، فقاطعته بأن هذا قد يصح إذا تعطل سلاح واحد، اما إذا تعطلت كل الأسلحة في الكمين فلابد ان هناك شيء مريب، وأجد نفسي لا تطاوعني على اكمال هذه المهمة، وبرغم إعتراضي استمر «ابو فرج» في قصف الكمين، وأطلق ثلاثة قذائف آر بي جي، ثم نظر الينا، ورأي بعينه ترددنا ورفضنا لإكمال تنفيذ الغزوة، وقال

- يا اخوة إذا دخل الجدال بين جماعة أهلكهم وفرق بينهم، ولو مش هتكملوا يبقا الأحسن ننسحب بسرعة

إِنْثَنَى «ابو فرج» بجسده قليلا خارج صندوق السيارة، ومال برأسه على نافذة كابينة السيارة، وهمس في أذن «ابو ناجي» المسؤول عن تصوير الغزوة، وطلب منه مغادرة المكان، والذهاب للخيمة التي نعسكر فيها لأن الاخوة لا يريدون تنفيذ الغزوة

وقت تنفيذ الغزوة غمرت نفسي شلالات من الريبة فأغرقتني، ولهذا السبب فقط رفضت إكمال تنفيذ الغزوة، لم يكن في قلبي مثقال ذرة من الشفقة تجاه هؤلاء الجنود، فهم أعوان الطواغيت، لكن نفسي لم تنشرح لتنفيذ هذه الغزوة، ليس جبناً، ولكن عندما يدخل الشك قلبي لابد ان أتوقف وأتبين طريقي، حتى لا أغرق، لازلت حتى هذه اللحظة تداخلني ريبة تجاه الأمير «أبو إسلام»، لابد ان الشيخ «عواض» الذي أُبْجِّل علمه وتقواه وورعه قد انخدع في هذا الأمير المريب، الذي لم يقبض عليه معنا، ولم يهتم المحقق بالسؤال عن شخصيته، برغم إلحاحه بالسؤال عن كل صغيرة وكبيرة، أتعجب من كيفية إحراز وإستحواذ «أبو إسلام» على ثقة الشيخ «عواض»

منذ عدة أيام وأثناء تناولي العشاء مع الشيخ «عواض» في شقته بطنطا، أعطاني رقم

هاتف «أبو إسلام»، الذي اتصلت به ثاني يوم، ودلني على الطريق الذي أسلكه لكي ألتقي به، طلب مني الذهاب لموقف الترجمان بالقاهرة، وأن استقل منه الحافلة المتجهة للفرافرة، كما طلب مني ان أهاتفه بعدما تغادر حافلتي مدينة القاهرة

استمرت رحلتي للفرافرة في الحافلة حوالي ثمان ساعات، في طريق الواحات البحرية الضيق، الصاعد الهابط على الدوام، المنحني كزجزاج لا نهاية له، تسللت لقلبي مشاعر الرهبة من المجهول، الذي اذهب إليه بحافلة يكركع ويضجضج محركها الكهل، هادراً كديناصور يلفظ أنفاسه الأخيرة، بينما يحاول الفرار من الموت، والتشبث بالحياة بالسير متعثراً، على ثعبان أسود يتلوى في صحراء، أغلبها بيضاء طباشيرية، تشبه الثلج، وتنتشر خلالها كثبان وهضاب صخرية، بالاضافة لمجسمات وتكوينات صخرية بأشكال مخيفة وغريبة، نحتتها الرياح

وصلت الحافلة أخيرا للفرافرة، واتصلت بابو إسلام، فأخبرني بأن سيارة ربع نقل زرقاء تنتظرني، مركونة على بعد أمتار قليلة من المحطة التي توقف فيها الاتوبيس، ومن مكان وقوفي شاهدت السيارة التي لم تكن بعيدة عني، واتجهت إليها، وخلف عجلة القيادة كان يجلس شاب في منتصف العشرينات، بدين للغاية، يرتدي جلباب رمادي، وفوق رأسه شال أبيض، ألقيت عليه السلام وركبت بجواره، أقلني الشاب بالسيارة، وانطلق إلى خارج المدينة الصغيرة

ومجدداً لحوالي ساعة ونصف عدت لمشاهدة الطريق الأسفلتي الثعباني المتعرج في الصحراء البيضاء مرة اخرى، ومررنا خلال مسيرنا بكمين البرابرة، ثم خرجت السيارة من الطريق بعد الكمين بعدة كيلومترات، وسارت في مدق صحراوي غير ممهد لمدة ربع ساعة، إلى ان توقفت أمام خيمة كبيرة مختفية بين هضاب وكثبان رملية وتكوينات صخرية، دربني «أبو إسلام»، وثلاثة مجاهدين آخرين على استخدام السلاح الآلي، وعلموني اطلاق نيرانه على وضعية الضرب المستمر، وعلى وضعية طلقات منفردة، رغم ان هذه كانت أول مرة أستخدم فيها سلاح آلي، لكني تعلمت التصويب بسهولة، كان التصويب مشابه لألعاب الفيديو التي أجيدها، والتي أعطتني خبرات تفوق خبرات من تم تجنيدهم، أخبرتكم من قبل ان شقيقاتي فتيات ولهذا لم أجند في الجيش

ليتني ما ذهبت للجهاد، ليتني ما ذهبت للشيخ «عواض»، ليتني كنت نسياً منسيا، تمزقت للأبد علاقتي بأسرتي، إعتقلوا أمي وشقيقاتي، وأحضروهم هنا لهذا المجزر الشنيع بعد إعتقالي بيومين، هددوني بإغتصابهن أمامي وإغتصابي أمامهن، إنهرت صرخت، بكيت إستعطفت، رجوت ناشدت، تضرعت وتوسلت أن يتركوا أهلي، واعداً بأن أفعل كل ما يطلبوه مني، تحرشوا بأهلي أمام عيني، ومزقوا ثياب شقيقاتي وأمي فإنكشفت عوراتهن، وعبثوا بهن أمامي، لكن الحمد لله لم يغتصبوهن بحضوري ... على الأقل، ما خفي كان أثلم وأقسى على نفسي من التعذيب، أتمنى وأرجو أن تغفر لي أمي وشقيقاتي زلتي التي تسببت في الحاق الأذى بهن، ويوما ما قد تَعُودُ المياة لِمَجَارِيهَا لَكِنْ غَالِبًا لَا تَكُونُ صَالِحَةً لِلشُّرْبِ

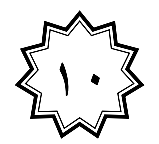
ستظل في نفوس أهلي غصة مريرة، للمهانة التي تعرضوا لها بسبب أفعالي، أفعالي التي أسقطتني وأغرقتني في بحور من المعاناة والغم والأسى، لم تشفع لي نخوتي وشهامتي، ومروءتي عندما رفضت قتل الجنود العزل من الذخيرة أو المعطلة أسلحتهم، ارتبت حين شاهدتهم وسمعتهم يتعجبون من تعطل أسلحتهم، شيء ما ألهمني أن لا أطلق عليهم الرصاص وأقتلهم، على الرغم من انهم إذا ما صدرت لهم الأوامر من قادتهم بقتل العزل، سينفذون دون تردد، أتعجب من إجرامهم وإجرام قادتهم، الذين استباحوا دماء المعتصمين في رابعة والنهضة، وأتعجب أكثر من قادة وضباط أمن الوطن، الذين يعذبون بشغف كما لو كانوا يستمتعون بآلام الضعفاء، قد يكون صغار الضباط متهورين، ومتعطشين للسلطة والثروة، ويسعون لنيل رضا قادتهم، لكن ما هو عذر كبار قادة هذا المجزر الشيطاني، المسمى أمن الوطن

أعلم تمام العلم أن الإنسان إذا ما تقدم في العمر صار أكثر قربا لله، وغدا أحرص على رضاه، مؤكد أن القادة هنا على علم بكل ما يفعله أتباعهم من تعذيب، واغتصاب وقتل وظلم، وهذا يبرهن على أن كبار قيادات هذا المسلخ هم أخلص أعوان إبليس اللعين، مؤكد أن قائد الضابط الذي أشرف على تعذيبي هو ألعن وأخبث من أتباعه الصغار، مؤكد أن هذا القائد من حطب النار، قد يكون لمسؤولي السلطة وأعوانهم بعض العذر، فقد باعوا أنفسهم بمقابل الثروة والنفوذ، لكن ماهي جبلة مؤيدي هذا النظام

الشيطاني المجرم؟!، أعنى الفقراء وعامة الشعب المشيدين بالنظام المبررين لخطاياه، مؤكد انهم أحفاد عبدة فرعون، وهم كأسلافهم يعبدون أي فرعون، وما ان يموت فرعونهم حتى يستبدلوه بطاغوت جديد، مما لا شك فيه ان عبد الطاغوت معرص [16] بالفطرة



١٦ معرص لفظة عامية مصرية لها معاني عديدة وتطلق على القواد أو الديوث أو المنافق



الاِسْمُ الثَّامِنُ: مِعرصَّ

يُشَمَّتُونَ فِينَا فَنُشَمَّتُ فِيهِمْ، نُشَمِّتُ فِيهِمْ فَيُشَمِّتُوا فِينَا

يُشَمَّتُونَ فِينَا فَنُشَمَّتُ فِيهِمْ، كأهلاوي صميم قفزت عن مقعدي محلقاً بجناحين من السعادة والشماتة، لحظة ان أحرز فريق النجم التونسي هدفه الخامس في شباك نادي الزمالك، لم يهنئ الزمالك طويلا بفرحة فوزه بالدوري والكأس، وكذلك لم أهنأ بفرحتي، فقد اندفعت زوجتي ومن خلفها ابنتاي لداخل الغرفة بصراخ، ظننته للوهلة الأولى شماتة في الزمالك، ثم تبين ان ولولتهن كثكالى لسبب آخر

- أحمد ابنك اتصل بينا دلوقتي عالموبايل، وبيقول انه مقبوض عليه في قسم شرطة أول مدينة نصر، والموبايل خدوه منه والمكالمة اتقطعت قبل ما نعرف اتقبض عليه ليه

- هكلم معارفي ونشوف ايه الحكاية، وان شاء الله هيخرج بالسلامة

تظاهرت بالتماسك لكي أطمئنهن قائلاً، هاتفت صلاح زميلي في العمل، لأن ابن خاله عقيد في الجيش وستنفعني وساطته بالتأكيد، طلب مني صلاح أن أذهب للقسم، وخلال ذلك سيطلب من ابن خاله سيادة العقيد «طاهر عبد ربه» التوسط لدى ضباط قسم شرطة أول مدينة نصر، غادرت منزلي مسرعاً، ونظرا لأهمية وخطورة الموقف الراهن فقد خاطرت بتدمير ميزانية مصروفاتي الشهرية، واستقليت تاكسي متوجها لقسم الشرطة، المسافة طويلة بين عين شمس ومدينة نصر، توقف التاكسي قبل باب القسم بأمتار وأنقدته الثلاثون جنيها التي اشترطها قبل ركوبي معه أجرا للتوصيلة، مشيت نحو القسم، ولحظة إظهار بطاقتي الشخصية للحرس على بوابة القسم غرد هاتفي بأغنية تسلم الايادي، وظهر على الشاشة اسم «صلاح» زميلي، استقبلت المكالمة وبشرني

بأن مأمور القسم بإنتظاري في مكتبه الآن

صعدت للطابق الثاني، حيث غرفة مكتب المأمور، طلبت من الجندي المرابط أمام مكتب المأمور أن يخبره بحضوري من طرف سيادة العقيد «طاهر عبد ربه»، غاب الجندي داخل المكتب لدقيقة، ثم عاد وسمح لي بالدخول لغرفة مكتب أنيقة

حييت المأمور بإحترام شديد، أشار لي بالجلوس واستفسر عن طلبي، أنبأته بتفاصيل مكالمة ابني لأمه، فضغط زر جرس، استدعى به جندي حراسته الذي أدخلني منذ قليل، وكتب له اسم ابني على قصاصة ورق، وأمره بتسليمها لأمين الشرطة فواز وتكليفه بالبحث عن ابني داخل غرف الحجز، كما أمره بجلب كوب شاي من البوفية فشكرته، عاد الجندي بكوب الشاي، وبعد دقائق دخل الأمين فواز وأنبأ المأمور بأن ابني ليس في الحجز فتحيرت مندهشا من ذلك، صرف المأمور أمين الشرطة من مكتبه ثم رفع سماعة الهاتف، واستفسر من الشخص على الطرف الآخر عن اسم ابني، مرت دقائق حسبتها دهرا، ثم تغيرت ملامح وجه المأمور، عندما أبلغه الشخص على الطرف الآخر بكلام كثير لم أتبينه، شكر المأمور محدثه، ثم وضع سماعة الهاتف مكانها، نظر لي بتردد، ثم بنبرة هادئة قال

- طاهر باشا يأمر. بس المشكلة ان ابنك أحمد في النيابة من ساعة ... متحطش في الحجز، ومتسجلش في النبطشية، أصله كان عند المباحث

انزعجت، وظهر قلقي على ولدي في نبرات صوتي المتهدجة

- خير في إيه يا معالي الباشا؟!

- ابنك أحمد إتحرش ببنت من عملاء الكافية اللي بيشتغل فيه، والبنت طلع أبوها حد جامد، البنت راحت عيطت لأبوها اللي اتصل هنا بالمباحث وراحوا قبضوا على ابنك وعلى مدير الكافية من تلات ساعات، المدير خرج من شوية، بس ابنك اتعمله تلات قضايا، تحرش، وأعتداء بدني، وسرقة شنطة ايد البنت، هو بيتعرض دلوقتي على النيابة المسائية، متقلقش هحاول اشوف طريقة نشيل تهمة السرقة

شعرت بأن الأرض تدور من تحت أقدامي، غرقت في دوامة أفقدتني الوعي، أفقت على رائحة منظفات ومطهرات وأدوية، مستلقي على سرير في مستشفى وحولي

زوجتي «سهير»، وابني الأكبر «محمد»، وابنتاي «مايسة» و«أمل»، لحظتها انهالت منهم الاسئلة، عن كيفية تورط أحمد في التحرش والسرقة، وإلحاق اصابات بالمجني عليها تستدعي علاج أكتر من واحد وعشرين يوما، علمت منهم ان ابني الكبير «محمد» ذهب إلى قسم الشرطة مع أحد أصدقائه بعد منتصف الليل، وهناك أخبروه بتفاصيل القضايا المنسوبة لإبني «أحمد»، دفع «محمد» مئتا جنية رشاوي لأمناء الشرطة والعساكر، لكي يحصل على تلك المعلومات، ويدخل بعض الطعام لأخيه في الحجز، ثم جاء إلى المستشفى ليطمئن على صحتي، ونحن الآن قبيل الفجر بساعة، أشرت لزوجتي بتثاقل أطالبها بالاقتراب، وبصوت واهن أمرتها

- هاتي الموبايل عشان أكلم الحاج صلاح نشوف قريبه هيعمل ايه

عدت لمنزلي ظهر اليوم التالي، هاتفت زميلي صلاح ربما للمرة العشرون منذ أمس، لاحظت انه بدأ يتهرب من الرد عليَ متحججا بأعذار عجيبة، سأذهب غدا إلى العمل وأحاول أن أجد حل لهذه المصيبة

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

نُشَمِّتُ فِيهُمُّ فَيُشَمِّتُوا فِينَا، أخرج من منزلي وأسير متجهاً لشارع أحمد عصمت، كي استقل الميكروباص للذهاب لعملي في التأمينات الاجتماعية، يلقاني جاري «عبد الرحمن» يعرج بساقه اليمني، التي أصيبت برصاصة أثناء وجوده ضمن معتصمي رابعة وقت فض اعتصامهم، كان قد تم التحفظ عليه وهو مصاب في المستشفى، وبعد شفائه تم اعتقاله في برج العرب، وحوكم بتهمة لا أعلم تفاصيلها وصدر حكم ببراءته، وافرج عنه من المعتقل، بعد سنة من الحكم ببراءته، لكن ابنه الاصغر «أسامة» لازال مكانه مجهولا، فلم يرد اسمه في أي كشوف، سواء محاكمات أو اعتقالات، أو قتلى أو مصابين، وهو مفقود منذ فض رابعة حيث كان معتصما مع أبيه، يبتسم «عبد الرحمن» في وجهي بود مصطنع

- ربنا يخرجو بالسلامة، آدي آخرة الوقوف مع الظالمين ينولك ظلمهم

قالها بنبرة شماتة لا يمكني اغفالها والتغاضي عنها فإنفجرت غاضبا

- ولما أحمد إبني اتصاب بخرطوش في شارع محمد محمود وقلتوا عليه يتمول من

اسرائيل عشان يهدم مصر وجيشها كنتوا ساعتها واقفين مع مين بالزبط؟ مع الرايجة ولا مع مصلحتكم! دلوقتي بقت الشرطة والجيش ظالمين، وقبل كده كانوا رجال من دهب، اللي عنده دم أحسن من اللي عنده عزبة يا عبد الرحمن

أشاح جاري «عبد الرحمن» بوجهه ومضى في طريقه يعرج وهو يتمتم

- حسبنا الله ونعم الوكيل

تجاهلته وأكملت طريقي لمقر عملي، طبعاً أنا كنت ضد نزول ابني احمد لمحمد محمود، وضد نزوله من أول يوم ٢٨ يناير، لكن الواد طالع دماغه ناشفة وقراره من رأسه، كسبنا ايه من وكسة يناير غير قلة الأدب والفوضى وانعدام الأمن

لازلت مؤمنا بما أردده على مسامع كل من حولي ليل نهار «ماله مبارك كان راجل ملو مركزه مش زي الاراجوز الأهبل بتاع الحارة المزنوقة، الحسود النقاق اللي قال أهل بورسعيد كسيبه، الأهطل بتاع جاز أند الكحول دونت ميكس، وبتاع مش انتو عندكو الدرانك بيتمسك وبيروح السجن إذا كان درايفينج، الأهبل بتاع القرد لو مات القرداتى يشتغل ايه، وبتاع نحن نسير بسرعة على منحدر الصعود، وبتاع يأتيك من حيث تترفع انت عن ان نتداخل معه، وبتاع عايزين ننتقل وإحنا بننتقل، الارهابي القمعي بتاع أنا رئيس دولة بعد الثورة يعني ممكن نضحي بشوية علشان الوطن كله يمشى ومفيش مشكلة، وبتاع إننا كما نحرص علي سلامة المخطوفين، يجب أيضًا أن نحرص علي سلامة الخاطفين»

وصلت مقر عملي ودخلت مكتب مديري، وشرحت له مشكلتي، هو يعلم تمام العلم حبي للاستقرار وتأييدي للزعيم السيسي، ويعلم مدى كرهي للثوار المجانين والاخوان الارهابيين، أنا بكل فخر من أعضاء حزب الكنبة بحسب سخرية الشباب المجانين من كل مؤيدي الاستقرار

لست طاعنًا في السن كأغلب اعضاء حزب الكنبة، بعد ثلاثة أشهر سوف أتم الخمس وخمسين عاماً، أيضًا يطلق علينا المعاتية سبة شنيعة ويصفونا بأننا "معرصين" لكني أفضل لقب "حزب الكنبة" فهو أقل بشاعة من لفظة "معرص" البذيئة، ما هو عيب الاستقرار؟؟!!، أليس أفضل من الفوضى؟!، طمأنني مديري بأنه سيبحث بين

معارفه عن وساطة قوية لإخراج إبني من ورطته، شكرته وغادرت إلى مكتبي

مكتبي في غرفة كبيرة بها تسع مكاتب ومعي ثمانية موظفين آخرين، خمسة من حزب الكنبة، وإثنتان من عائلات إخوانية عريقة ومتعاطفتان مع الإخوان بشدة منذ الأزل، وشاب ثوري مجنون معارض للاخوان وللنظام في نفس الوقت، وإن كان يتعاطف مع ما آل إليه حال الاخوان حالياً من اعتقال وقتل، ولكنه يعدهم همج أغبياء مغفلين، ويرفض تسلطهم على الحكم، بنفس قدر رفضه إتهامهم بالإرهاب والانقلاب على حكمهم وإراقة دمائهم، أما التاسع فهو زميل سلفي [١٧] ، مطيع لشيوخ السلفية، يحلم كالإخوان باليوم الذي تطبق في الشريعة الاسلامية، وهو تارة مع مبارك، وتارة مع الاخوان الارهابيين، وتارة مع السيسي والدولة، وتارة مع الاخوان مرة أخرى، وهو حاليا مؤيد للاشيئ

زميلنا السلفي رغم أنه يمقت الإخوان كمقته للمسيحين والشيعة واليهود، لكنه أحياناً ودون قصد يتعاطف معهم، لكن الشيخ «رمضان» رغم أنه تنقل في تأييد جميع الأطراف، لكنه أبدا لم يكن مجنونا فيؤيد الثوار المخربين ، مؤيديات الاخوان في مكتبي هما مدام «آية الرحمن عبد الستار» والحاجة «ألفت الشرقاوي»، أما أعضاء حزب الكنبة بمكتبي فهم أنا ومدام «رضا البسيوني» والحاج «صلاح عبد الغفور» والحاجة «ناجية محمود» رفضنا الوكسة منذ البداية وحتى اليوم، ولم نشارك سوى في مظاهرات ٣٠ يونيو ٢٠١٣ م، أما خامسنا الاستاذ «رأفت بخيت سيداروس» فهو متعصب لدينه بشكل مماثل للسلفي والاخوانيتان بغرفة مكتبنا، والاستاذ «رأفت» عارض وانتقد وكسة يناير في البداية، ثم أيدها قبل تنحي الرئيس «مبارك» بيومان، واستمر يؤيدها حتى يوم ٣٠ يونيو، وعاد من جديد لقواعده معنا دعما لاستقرار البلد

أما الثورجي المجنون فهو الأستاذ «شاهر المحمدي» وله شبيهة في الغرفة المجاورة

---

١٧ نسبة حزب الكنبة بين الموظفين كبيرة، حيث أن أغلب الموظفين من كبار السن، بينما داخل المجتمع نسبتهم لا تتجاوز الخمسة وعشرين بالمائة، يضاف لهم قرابة عشرة بالمائة فلول، وهم أسر الموالين لمبارك والسيسي داخل الجيش والشرطة والقضاء والاعلام، بالاضافة لأعداد ضئيلة داخل معظم مؤسسات الدولة، بينما باقي تركيبة المجتمع حوالي ستون بالمائة فهم متوزعين بين تيار الاسلام السياسي ممثل في الاخوان، والتيار الثوري المدني الغير مترابط، بالاضافة للتيار السلفي الذي تسيطر عليه الأجهزة الامنية ونسبتهم لا تتجاوز الخمسة بالمائة

لغرفتنا اسمها «جانيت عبد المسيح» وهي لا تعير دينها أي إهتمام مثل «شاهر» وكلاهما يجمعهما كره وسباب المشايخ والقساوسة، ويتهموهم بالعمالة للأجهزة الأمنية، ويزعمون ان رجال الدين في مصر لا يقومون بدورهم بتقريب الناس للدين وانما يزرعون الفتنة والشقاق بين المصريين، أما السلفي فهو الشيخ «رمضان صيام»، الذي يأمر الناس بالمعروف وينسى نفسه، على سبيل المثال لا الحصر، يحرم ربا البنوك، ولديه حساب توفير في أقدم بنك مصري يقدم فائدة أكبر بقليل من باقي البنوك المصرية

إستقبلني أعضاء حزب الكنبة بالتعاطف مع مصيبتي في ابني أحمد، بينما عبر «شاهر» الثوري عن شماتته، ثم اتبعته الاخوانية الصغرى مدام «آية الرحمن»، طفقا ينتقدان النظام ويتهمانه بالظلم، والفساد والمحسوبية والقمع، إنبريت أدافع عن السيسي والشرطة والجيش، وإضطررت لتبرير ظلمهم لنجلي بأنه هو المخطأ المتحرش ويستحق ما يفعله فيه النظام، «سخر شاهر» من تبريري، وإتهمني بالخنوع والجبن، وعشق العبودية وإدمان الذل، ثرت في وجه «شاهر» وشهرت لساني أهاجم به جيله الذي يظن أنه أتى بما لم يأتي به الأولون، عندما أسكرهم نجاحهم في تنحية مبارك

أتذكر جيدا الأيام التي تلت تنحي مبارك، استعرض فيها الصغار والشباب البطولة، وتفاخروا علينا بنجاحهم في عزل الرئيس مبارك، شعرت وقتها بمرارة وغصة في حلقي وقلبي، زادها نبرة التعالي التي بدأت تسري بين مقصوفي الرقبة، بل وصل الحال بهم أحيانا لمعايرة الكبار بشجاعتهم المزعومة بالقيام بما أسموه ثورة يناير، حتى ابني «احمد» وابنتاي «مايسة» و«أمل»، ظهرت عليهم نفس اعراض التفاخر والتعالي علينا أنا وزوجتي «سهير»

ما أقبحه من جيل غر نزق أرعن أهوج أخرق سفيه طائش مأفون، الحمد لله الذي أعاننا على تحجيم غرور هذا الجيل المنفلت، المتهور الذي أفسده التطور التكنولوجي، ومواقع الانترنت والفيسبوك والكمبيوتر والهواتف المحمولة، كيف يستفيد مجتمع ما من الفوضى، التي لا ينتج عنها إلا ضياع الأمن وانتشار الذعر والهلع، ماذا سنستفيد من اسقاط نظام الحكم، وهدم مؤسسات الدولة، وانتشار الكراهية بين أفراد المجتمع، سيستميت كل فرد للدفاع عن رأيه ويعادي الآخرين، كنا أيام مبارك شعب واحد،

صرنا الآن طوائف وشيع، وفرق متناحرة يكره بعضها البعض، ما الذي ستستفيده مصر من موت شبابها

«ايهاب» ابن جارنا عم «يونس» البقال، مات بطلقة رصاص في التحرير يوم ٢٨ يناير، «ايمن» ابن شقيق جارتنا «منيرة» فقد عينه اليمنى، بطلقة خرطوش في نفس اليوم أمام قسم السيدة زينب، اما ابني «احمد» فقد اصيب في اشتباكات عبثية في شارع «محمد محمود» بطلقات خرطوش في كتفه وصدره وبطنه، لازال بعضها في جسده، لم ينجح الجراح في اخراج كل شظايا الخرطوش التي هي عبارة عن كرات حديدية دقيقة الحجم، حادة الأطراف، يبلغ حجم الواحدة ستة مليمترات، ولقد رفض أكثر من جراح إزالة بقايا شظايا الخرطوش من كتف ابني أحمد، معللين ذلك بصعوبة إخراج الشظايا القريبة من الأوردة والشرايين في الكتف، والتي قد تتهتك وتثلم ويترتب عليها حدوث قطع في تلك الأوردة والشرايين ينتج عنه نزيف يؤدي بحياة ابني، لازال كتف أحمد يؤلمه عند أقل حركة أو احتكاك، بسبب تلك الشظايا، فكيف ينام على البلاط في الحجز، آآآآه ما اغباك واتعسك يا ولدي، تحرشت فاتهموك بالسرقة والتعدي على الضحية بالضرب، قلبي معك يا «احمد»

أيضًا «انس» الهادئ الوديع، زميل دراسة وصديق ابني «احمد» مات في شارع محمد محمود قبل اصابة ابني بيوم، زميلي «شاهر» الشاب الثلاثيني الثوري المجنون أصيب بعرج في قدمه، بعد ان دهسه جمل يوم موقعة الجمل في التحرير، الحاجة «ناجية» عضوة حزب الكنبة معي في العمل، مات ابنها الصغير «هيثم»، بتأثير رصاصة في الرأس، فجرت مخه أمام السفارة الاسرائيلية، بعد ان غررت بهم «زهرة الهلالي» الناشطة الملعونة، وأبيها شاعر الربابة الألعن وأضل سبيلا منها، دفعت «زهرة» الشباب لمحاصرة السفارة الاسرائيلية والمطالبة بغلقها، وتسببت في موت واعتقال واصابة المئات

مدام «رضا» زميلتي، فقدت اخوها في العباسية في إحدى مسيرات محاصرة وزارة الدفاع، مديري «أكرم فودة» فقد ابنة اخيه بطلقة رصاص، اصابتها في صدرها، وهي واقفة في شرفة شقتها تشاهد مظاهرة كانت تمر من أمام منزلها، الحاجة «ألفت» زميلتي فقدت ثلاثة في موقعة فض اعتصام رابعة هم زوجها وابنتها وشقيقها، اما زميلي

الاستاذ «رأفت سيداروس» فهو قد فقد ابنة شقيقته عندما قام القس المأفوك المأفون «رافائيل وسيم» بمطالبة المسيحيين بمحاصرة ماسبيرو، وذهبت معهم الفتاة المسكينة المغفلة وأصيبت برصاصة متفجرة، مزقت عنقها وصدرها وحولتها لأشلاء تدمع العين والقلب

قبيل مغادرتي لمقر عملي، دخلت مكتب مديري الاستاذ «أكرم»، كي أذكره بمصيبتي ليساعدني فيها، سبق له ان استعان بي مرارا قبل وكسة يناير للوقوف مع قريبه عضو الحزب الوطني عن دائرتي، أثناء ترشحه للانتخابات أعوام ٢٠٠٠ و٢٠٠٥ و٢٠١٠، استقبلني الاستاذ «أكرم» بوجه متهلل وتلطف معي، وأخبرني بأنه يبذل قصارى جهده مع قريبه، لحل مشكلة ابني التي كانت كما قال عويصة وشائكة، بسبب ثقل مركز والد الضحية، وبشرني بأنه قد نجح مؤقتا في تمكيني من زيارة ابني، توجهت لقسم أول مدينة نصر، طلبت مقابلة معاون مباحث القسم الرائد «منصور مظهر»، الذي أرسلني إليه الاستاذ «أكرم»، استقبلني الرائد «منصور» ببرود وبلادة وتعالي، ثم أرسل معي أحد أفراد المباحث لغرفة مجاورة لغرفة مكتبه، وهناك رأيت وجهها يشبه وجوه ضحايا الغارات الجوية والقصف المدفعي، يا الله، أهذا هو ابني

- يا حبيبي يا ابني. ايه اللي عمل فيك كده يا أحمد؟

أجابني وهو يرتعش رعباً واجهاداً وعناءً

- بهدلوني يابا

نظراته مرتعشة خائفة وهو يرمق الرجل الذي أرسله معي الضابط، لازال المخبر يقف بجواري، فطلبت منه ان يتركنا معا، فرفض متعللا بأن الزيارة أساساً ممنوعة للمتهمين في قضايا سرقة إلا بإذن من النيابة

- بس أنا ابني مسرقش وانتوا اكتر ناس عارفين كده، عشان انتوا اللي عملتوا المحضر الملفق مع انه زي ما عرفت من سيادة المأمور اتحرش بس بالبنت

قاطعني أحمد

- والله ما اتحرشت بيها يابا، انت شوفتني أو سمعت عني عمري عملت كده، دا أنا عندي اخوات بنات وهيترد لي فيهم اي غلط

جلس المخبر معنا متعللا بأنه عبد المأمور، سألت ولدي متعجباً وغير مصدقاً

- اومال هي هتتبلى عليك من غير سبب

فإنفجر ينشج بحسرة

- هتحرش بيها ازاي جوه كافيه مليان ناس، الحكاية ببساطة معجبهاشي كلامي لما كنت بنزل على ترابيزتها الطلبات ورديت على كلامها هي وصاحباتها عن ٣٠ يونيو، وقلتلها ده انقلاب فلول مبارك عالثورة، وكلها كام سنة والشعب هيفوق ويقوم عليهم تاني، بس المرة الجاية هتبقا ثورة بجد، ودماء الخنازير الخونة دول هتسيل وتروى الأرض اللي اتربوا عليها وخانوها، وباعوها وقهروا وفقروا ونهبوا شعبها

انفجرت في وجهه غاضبا كما لم أفعل من قبل

- الله يلعن ابو الثورة على ابو السياسة على ابوك على ابو مصر باللي فيها، مش كفاية جسمك اللي مليان خرطوش، ومعناش فلوس نعالجك ونطلعه من عضمك ولحمك، انت عايز تموتي مقهور يا احمد بغبائك وعبطك ده، أنا مش هزورك تاني إلا لما تبعتلي تقوللي إنك توبت عن الافكار الوسخة دي، يا ابني عيش عيش أهلك وارضا باللي قسمه ربنا

ألقيت له كيس بلاستيك مملوء بالطعام والعصائر، وانصرفت مهرولا غضباناً عليه، عدت لغرفة مكتب معاون المباحث

- بص يا معالي الباشا أنا واحد من اللي نزلوا تلاتين يونيو وشالوكم فوق راسهم. وواحد من الملايين اللي مرضيوش بوكسة يناير فمش معقول يكون ده جزائي تحرقوا قلبي على ابني وتلفقوله قضايا عشان لسانه طويل

فأجابني محتجا بحمية مفتعلة

- احفظ ادبك يا حاج احنا مبنلفقش قضايا. انا لولا مقدر الظروف اللي مخلياك متوتر كان هيبقا ليا معاك تصرف تاني

- ياباشا أنا معنديش مانع تربوه وتحبسوه كام يوم، انما يتضرب ويتبهدل بالشكل ده، وكمان يتلفق له سرقة وضرب وتحرش كده كتير، أنا هطلع من هنا وهشتكي للسيسي اللي بتعملوه فينا

غادرت أثناء رده ساخرا

- مع السلامة يا حاج .... ابقا سلمي عالسيسي

الجملة الأخيرة وصلت لأذني بعدما ابتعدت عن مكتبه عدة خطوات، خرجت من قسم الشرطة أتعثر في خطواتي ودموعي، أسير على غير هدى في الشوارع، كطفل تاه من أهله، مشاعري تراوح بين الغم والقهر، تتسلل لنفسي مشاعر حنق على ولدي الاحمق، دمر جسده أولا ثم دمر مستقبله ثانيا

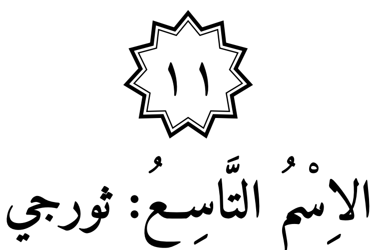
لعنة الله على الثورة والثوار وعلى كل من يناطح السحاب معانداً ارادة الله الذي رفع بعضنا فوق بعض درجات، لو رضي احمد بما قسمه الله له وصبر، لو عمل جاهدا وانشغل بحياته لما سقط في تلك الهوة السحيقة، لكنه بكل غباء اتبع الافكار الشيطانية فنال ما يستحق، لن أقتل نفسي غماً وكمداً من أجله، سأنسى انه ولدي، لازال لدي فتاتان في سن الزواج وهما أحق منه بالرعاية، لعنة الله على الثوار، أتعجب من هذا الاحمق الذي لازال يؤمن بالثورة، برغم انه يقر بأن أغلب من كانوا معه في محمد محمود تحولوا لتأييد الرئيس السيسي والجيش والشرطة

صديقه «أدهم الصواف»، الذي تعرف عليه أحمد وصادقه منذ أول يوم نزل فيه للثورة العبثية، تحول لدعم السيسي، وأصبح نجم على الفضائيات يستضيفونه ليل نهار، لماذا يصر ابني بغباء على تأييد قضية خاسرة، لماذا يصر على الايمان بمثل وقيم ومباديء عقيمة، لماذا لم يتحول مثلما تحول كل أقرانه الذين زاملوه في ثورته الفوضوية، والآن يؤيدون الدولة ورئيسها

مؤكد أن العيب في ولدي، وفي عقله الذي لازال أسيراً لأفكار سخيفة لم يعد يؤمن بها سواه، العقلاء من الشباب أيدوا ٣٠ يونيو ووقفوا مع الدولة، وهذا يعد اعتراف ضمني منهم بأن يناير كانت خطأ، ليت أحمد يقتدي برفاقه في محمد محمود ويتوب عن معارضة النظام كما فعلوا

سأسأل زوجتي عن رقم هاتف «أدهم الصواف»، وسأكلمه عن ورطة ابني أحمد، لعل «أدهم الصواف» يجد حلا لأزمة صديقه وزميله ورفيقه في الثورة الملعونة





الاِسْمُ التَّاسِـعُ: ثورجي

العَدَالَةُ التَّامَّةُ لَا تُوجَدُ سَوِيٌّ فِي أَضْغَاث أَحْلَامُ الْبلهَاءِ وَكَتَبَ الأَدْيَانَ

الحقيقة دوما قبيحة، لا يمكنني أن أخبره بتفاهتي وهواني، وضئالة مكانتي في منظومة وآلة الفساد التي تسيطر على مصر، أنا لست حتى ترس في تلك الآلة، بل مجرد سن في ترس، ضمن مجموعة لا نهائية من التروس العملاقة، التي تطحن برحاها كل شئ، كيف أخبره بعجزي عن مساعدة إبنه «أحمد»، زميلي الثائر الحالم بمدينة فاضلة، ودنيا مثالية نموذجية، تخلو من الفساد والظلم والفقر، أخبرته على الهاتف بأني سوف أبذل قصارى جهدى لمساعدة «أحمد» وسوف أهاتفه آخر الليل، ولكني أعلم تمام العلم أنهم لا يحفلوا بي ولا به، بالطبع لن أسألهم المعونة في أزمة أحمد، فما نحن في أعينهم سوى أغصان ضامرة هزيلة في غابات سافانا وارفة مترعة بالظلال، هم سادة مسيطرين على كل شيء ونحن لاشيء، لذلك أدرت ظهري للثورة ولكل الاحلام والأماني التي آمنت بها، ولكني وبكل أسف ما بعت نفسي وفرطت في مبادئي إلا بثمن بخس، نلت بعض المكاسب الضئيلة، منها شهرتي في الإعلام، ولكن كل ما نلته مجرد سراب يحسبه الظمئان ماء، تحولت من ثوري حر إلى ثورجي مرتزق، لعلكم تتسائلون من أكون، إسمي «أدهم الصواف»، عمري إثنان وثلاثين عام، كنت مجرد شاب مصري إنضم لجموع الشباب الثائرين على مبارك ونظامه الفاسد، وأصبحت الآن دمية بأيدي من يملكون زمام الأمور

الثلاثة أيام الأولى في ثورة يناير لم أشارك فيها كأغلبية الشعب، خوفا من بطش وقمع شرطة مبارك، ثم تشجعت مع من تشجع يوم ٢٨ يناير، بعد سقوط ثلاثة شهداء في السويس، وصمود شعب السويس في مواجهة الرصاص والغاز والقمع، إنضممت

لمسيرة ضخمة وكنت في مؤخرة الصفوف، نجحت مقدمة المسيرة في الإنتصار على قوات الشرطة، وعبرنا كوبري قصر النيل، دخلت ميدان التحرير للمرة الأولى في الثورة، وإنتابني شعور طاغي لا مثيل له، غمرني إحساس بالأمان التام مستمد من دفقة التيار العارم لإمتزاج وتكتّل أفئدة وأرواح مئات الآلاف من المستضعفين، الذين أصبحوا ملايين، تحولت الثورة بمسلميها ومسيحييها إلى كرنفال المضطهدين

كان الثائرين في البدء يطالبون بمطالب واضحة، لا يختلف عليها إثنان في الميادين، طالبنا بالـ عيش والحرية والعدالة إجتماعية، وعزل حبيب العادلي، وكنا نهتف كما هتف التوانسة قبلنا بأيام معدودة، «الشَّعْبُ يُرِيدُ إِسْقَاطَ النِّظَامِ»، إعتصمت مع المعتصمين في التحرير ولم أذهب لمنزلي في العمرانية إلا بعد خمسة شهور ونصف تقريباً، قضيت أغلبها في السجن الحربي

انخفضت أعداد المعتصمين في التحرير، يومي السبت والأحد ٢٩ و٣٠ يناير، ثم حلقت فوق رؤسنا طائرات حربية مقاتلة ومروحيات، لبث الرعب في قلوبنا، ثم بدأ تدفق المعتصمين بعد ظهر يوم الإثنين ٣١ يناير، وقبيل المغرب لاحظت توافد أعداد من المتظاهرين من ذوي الأصول الغنية، تبين ذلك في ملابسهم وأحذيتهم، وسجائرهم وروائحهم العطرة، ثم في يوم ٤ ابريل، جمعة الرحيل، لاحظت مجموعات من هؤلاء الأغنياء، ذوي الوجوه المنعمة يطوفون بمسيرات صغيرة داخل ميدان التحرير ويهتفون «إرحل» و«الشَّعْبُ يُرِيدُ إِسْقَاطَ الرَّئِيسِ»، بدلاً من هتافنا المعتاد «الشَّعْبُ يُرِيدُ إِسْقَاطَ النِّظَامِ»، كان أغلب المعتصمين من عامة الشعب ومن الطبقة الوسطى، ملابسهم وطعامهم وسجائرهم وأحاديثهم توحى بمناطقهم الشعبية التي أتوا منها، غزت عقلي عاصفة من التساؤلات، كان أبرزها، لماذا انضم لنا هؤلاء المنعمين؟

بحسن نية، تجاوب مع هتاف «إرحل»، ثم مع صنوه وخدينه «الشَّعْبُ يُرِيدُ إِسْقَاطَ الرَّئِيسِ»، قطاع صغير جداً من المعتصمين، بينما ظل القطاع الأكبر وفياً للهتاف الأصلي «الشَّعْبُ يُرِيدُ إِسْقَاطَ النِّظَامِ»

بدأت تنمو داخلي بذور الريبة والشك، في نوايا من قاموا بتحريف وتبديل الهتاف، بداية من يوم ٦ فبراير، وبتأثير عدة مسيرات تدور في جنبات الميدان، أصبح الهتافان

المشكوك فيهما، «إرحل» و «الشَّعْبُ يُرِيدُ إِسْقَاطَ الرَّئِيسِ»، هما المسيطران على ميدان التحرير

بدهاء أحسدني عليه، رصدت مراحل تغيير الهتاف، تم خداع الثوار بخبث، وبتدرج مرحلي ماكر، بأيدي أشخاص إعتلوا المنصة على غفلة من الثائرين، وكأنما كان هناك في داخل النظام من يخطط لتوريط مبارك وحده دون النظام، بخطابه العقيم المستفز أولا، ثم بموقعة الجمل ثانياً، فقط لكي يدفعنا في الميادين، للتحول لهتاف «إرحل» عناداً في مبارك

تم وقتها السيطرة على المنصة، بمكر وخبث ودهاء لا نظير له، وحرفت مطالب الثوار بدأب حثيث، كان ولازال العامل المساعد في نجاح عملية الخداع بسهولة متناهية، هو إحترام وإجلال وتقدير أفراد الثوار والشعب للمشاهير، آنئذ عندما كنت أنصح من حولي بأن لا ينساقوا خلف شعار «إرحل»، والاستمرار على مطلبنا الأهم بإسقاط النظام، كنت أواجه غالباً بإستنكار ناتج عن سطحية عقول الناس، بل عندما كان أحدهم يتفهم ويدرك ما أقوله، ومع ذلك كان ينساق كالكفيف طليس العينان خلف مرددي الشعار، الذين صارت لهم الغلبة على منصة الميدان، بدأت ألحظ وأعي أن كل من هم على شاكلتي، كانوا يحاطون بأفراد يتظاهرون بأنهم أشتاتا متفرقين لا يعرفون بعضهم، يناقشون ويسفهون أفكار من ينشر الوعي، ويهزءون به ويسخرون منه، ويتهموه بالجنون، وبالاندساس على الثورة لتخريبها بشق الاجماع الوطني

توقفت حينها عن توعية الثوار، بسبب العواقب السيئة الممثلة في التشكيك في مصداقيتي من قبل المندسين، آثرت ألا أبدد جهودي في مناقشتهم، كان هدفي الأسمى هو أن أحظى بحرية التحرك في الميدان، دون أن ألفت انتباه هؤلاء المندسين، لكي أرصد ما يحدث، خاصة وأن الثوار كدأبهم كانوا من الغباء والتشرذم والتفرق والتفكك، لا يسمعون ولا يطيعون سوى المشاهير، كنت ضمن أقلية منحها الله العقل، فقدرت وأجلت ما منحها الله اياه واستفادت منه

خلال الثورة تم تشكيل «لجنة الحكماء» للقفز على الثورة، ودفعها لهاوية الفشل مبكراً، طالب بيان «لجنة الحكماء» الرابع بتفويض عمر سليمان نائب مبارك، بتولى

الإشراف على تحقيق الإصلاحات السياسية المنشودة خلال ستة شهور، فطرة الثوار النقية رفضت بحزم وإصرار بيان لجنة الخبثاء الحكماء

عصر جمعة الزحف، ظل أغلبية المتظاهرين مرابطين في التحرير، وخرج من بينهم عدة مجموعات، وتوجهوا إلى القصر الرئاسي لكي يحاصروه، انضم المواطنين للثوار، وزحفوا جميعا إلى القصر الرئاسي وحاصروه، أخيرا أعلن عمر سليمان مساء الجمعة ١١ فبراير في بيان صادر من رئاسة الجمهورية، أن مبارك قد تخلي عن منصب رئيس الجمهورية، وسلم إدارة شئون البلاد للمجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية، هلل الشعب في الشوارع والميادين للبيان، لم يدرك أغلبهم آنئذ، حجم الخازوق المغروس بين كلمات البيان

استثمر الخبثاء فرحة الثوار والشعب، وروجوا بأن الثورة حققت أهدافها، وهو مالم يكن صحيحا، انتشر في التحرير جماعات وأفراد، يطالبون الناس بإخلاء الميدان والعودة لبيوتهم، كان أبرز دعاة إخلاء التحرير هم النخب السياسية، ومعهم قيادات الاخوان، داروا في جنبات الميدان بمسيرات، هتفوا بحماس وإصرار، «الشعب يريد اخلاء الميدان»، واعتلوا المنصة، وأظهروا غبطتهم بالرقص والحمد والشكر لله، وكأننا حررنا فلسطين، قام الاخوان والنخب بفك خيامهم، وغادروا الميدان على دفعات، بدأت جموع الثائرين بالنزوح من التحرير مع المغادرين، بينما ثبت في الميدان عدة آلاف من الراغبين في إستكمال الثورة، التواقين لإسقاط نظام مبارك بأكمله، كنت ضمن الآلاف القليلة التي حرصت على استكمال الثورة

من ضمن المشاهد التي لن أنساها، مشهد فتاة في العشرين ترتدي ملابس بسيطة تظهر تواضع مستواها المادي، وقفت الفتاة بجوار بوابة عبد المنعم رياض تنصح المغادرين بإستكمال الثورة، تجاهلها من تجاهلها، وعنفعها من عنفها، وناقشها من ناقشها، لكن نشوة النصر الزائف، أسكرت أغلبية الثائرين فأخلوا الميدان، خاصة مع تزايد وتيرة وكثافة نزوح ورحيل القُطْعان الغفيرة، قبيل صلاة الفجر بقليل كان تعداد المرابطين في التحرير لا يتجاوز عشرون ألف ثائر، كان هؤلاء هم الأقلية الواعية المتبقية، من قرابة مليوني متظاهر إكتظت بهم جنبات التحرير والشوارع المحيطة به يوم ١١ فبراير جمعة

الزحف، وكالعادة إندس بين الأقلية الواعية المرابطة، عدد من المتسللين التابعين للنظام

على مر أيام وليالي عام ٢٠١١، تم افناء هذه الأقلية، بالقتل والإغتيال والعاهات الجسيمة والأحكام الجائرة والإعتقالات، لم ينجو منا سوى أقل من مائة ثائر، نجونا ببيع أنفسنا، في البداية دون أن ندري، ثم بعناها بعلمنا ورضانا، لم أفرط في مبادئ إلا بعد تيقني من إستحالة تحقيق العدل في الأرض، بسبب غباء وسطحية وتناحر الأغلبية، وبسبب خبث ومكر ودهاء الأقلية المتحكمة من خلف الستار الكثيف، من المعلوم انه عندما تحدث واقعة غريبة، فقد تكون قدرا أو مصادفة، أما عندما تتكرر الوقائع الغريبة، بأشكال مختلفة بغرض تحقيق هدف واحد، فهذا لا يمكن أبداً أن يكون قدرا أو مصادفة، تخيل معي هذه الوقائع الأربعة العجيبة التي حدثت صباح يوم ١٢ فبراير وما بعده.

الواقعة الأولى، بدأت جموع من شباب عائلات الفلول تنتشر في التحرير صباح يوم ١٢ فبراير، وتقوم بكنس وغسل الشارع وترميم الأرصفة، وكانوا أثناء التنظيف يتهمونا بالخيانة والعمالة، ويحرضون جنود وضباط الجيش علينا، تم نشر صور التنظيف في أجهزة الإعلام لتخدير الشعب وإقناعه بإنتهاء الثورة.

الواقعة الثانية، صباح يوم ١٢ فبراير، صدرت صحف مبارك بمانشيتات تكشف عن تحول عجيب، من أقصى اليسار لأقصى اليمين، على سبيل المثال صحيفة الأهرام صدرت بمانشيت عريض يحمل عنوان "الشعب أسقط النظام"، وغطت صفحتها الأولى صورة ضخمة من ميدان التحرير، وكانت باقي العناوين الرئيسية في الصحيفة كالتالي، "المجلس الأعلى للقوات المسلحة يتولى إدارة شئون الدولة"، "ثورة الشباب أجبرت مبارك على الرحيل"، "المصريون يحتفلون حتى الصباح، ابتهاجا بالانتصار في أول ثورة شعبية في تاريخهم المعاصر"، تم تضليل وإقناع الشعب بأن الثورة نجحت، وأسقطت النظام

الواقعة الثالثة، تنافست أجهزة الإعلام المطبوعة والمسموعة والمرئية، ومعهم كل مواقع الإنترنت التابعة للنظام، بعرض مقطع فيديو قصير مجتزأ للشيخ محمد متولي الشعراوي، يفسر فيه الآية ٢٧ من سورة هود، تم التركيز على الجزء الذي يقول فيه الشعراوي قولته المأثورة "الثائر الحق الذي يثور ليهدم الفساد ثم يهدأ ليبني الأمجاد"،

انتشرت المقولة بين الشعب انتشار النار في الهشيم، وبالطبع تجاهلوا تماما بث ونشر باقي مقولته "ويكون بناء الامجاد بإعادة رد المظالم إلى أهلها حتى تختفى الاحقاد"، وتم تخدير الشعب بنجاح

الواقعة الرابعة، شركات المحمول الثلاثة، أرسلت لكل الهواتف المحمولة رسالة قصيرة، بإسم القوات المسلحة، فيها النص التالي "انتظرنا ثلاثين عاما . فلا مانع من الأنتظار قليلا"، بهذه الرسالة تم إستمالة الشعب للوقوف مع المجلس العسكري، وبالتالي التخلي عن كل الراغبين في اسقاط النظام الفاسد بأكمله، وإبتلع الشعب والنخب الطعم، وعلقوا في شباك لا فكاك منها إلا بالدم،

تم أَيضًا ارسال عدة رسائل اخرى للهواتف المحمولة، لتحريض الشعب على الثائرين، وهذه بعض الامثلة، "على المواطنين الشرفاء تحمل المسؤولية والتصدى للعناصر الغير مسؤولة "، وإستخدمت الرسائل فى تخدير الشعب كي يظل قابعاً في البيوت ولا يستكمل ثورته، كما وأن رسالة أخرى ذيلت بتوقيع القوات المسلحة، نصها يبين أهدافهم بوضوح "نحن على علم ودراية بمطالب الشعب والمواطنين الشرفاء و نعمل للوفاء بها "، بمعنى أصح كانوا يعيدون صياغة المقولة الشهيرة في فيلم ريا وسكينة، (نامي واتطمني واحنا هنريحوكي عالآخر يا شابة)

لم أكن غبياً كي أنساق مع الجموع، ظللت مرابطا في التحرير، ضمن عدة آلاف من المؤمنين بضرورة إسقاط النظام بأكمله، وبناء نظام جديد، كالعادة انضم للمعتصمين عدة عشرات من المندسين، كان المندسين يملكون خيام، على عكس أغلب الثوار، الذين ينامون في العراء على كراتين وغطائهم ملايات وبطاطين، أكاد أسمعك تقول في نفسك، «وكيف عرفت وتأكدت بأنهم مندسين يا أدهم، أشققت عن قلوبهم وإطلعت على أفئدتهم يا عم الإور؟ [١٨] »

من البديهي أن كل إنسان مؤمن بقضية، عند الحديث عن مبادئه، تكون لديه عاطفة جياشة، نابعة من حماسه الشديد، كان المندسين يزعمون انهم معنا لاستكمال الثورة، وكانت أسبابهم مكررة وسطحية، ويعبرون عنها دون أي حماس أو شغف،

١٨ إور لفظة عامية مصرية للسخرية ممن يظنون أنفسهم أذكياء يعرفون ما لا يعرفه غيرهم

حتى من يخادعنا ويتظاهر بالحماس، كانت أفعاله وأقواله تفضحه بين الفينة والأخرى، ومن البديهي أيضًا أن من يطالب بإسقاط النظام لا تكون وسيلته لتحقيق أهدافه، أن يتاجر بالحشيش والأقراص المخدرة، ولا يؤجر الساقطات في خيمته، كما كان يفعل هؤلاء المندسين

صباح يوم ١٢ فبراير، قام أفراد من الجيش بتعليق لافتات في التحرير، مكتوب عليها "ممنوع التصوير بناء على تعليمات من الجيش"، وأرسلوا لنا بعض ضباط الجيش، لإقناعنا بفض الإعتصام، لم ينجحوا في مسعاهم، حينها عزف ضباط الجيش معزوفة التهديد بإعتقالنا إذا لم نطيعهم ونغادر ميدان التحرير، أصرينا على استكمال الاعتصام، حتي يتم إسقاط النظام الفاسد بأكمله، مساء نفس اليوم إقتحمت ميدان التحرير قوة مشتركة من الشرطة العسكرية، ومعها عدد من المدنيين، كانوا خليط من شباب الاخوان والبلطجية، وإعتدوا علينا بالضرب، و سرقوا عدة أجهزة حاسوب محمول، واستشهد شاب في العشرينات متأثراً بالضرب، حملوا جثته وألقوا القبض على عدة أفراد، وغادروا الميدان

صباح يوم الأحد ١٣ فبراير، إستغلوا فرصة قلة عدد المعتصمين، وفوجئنا بالجيش، ومعه عدة مجموعات مدنية شنوا علينا هجوم مباغت بالنبابيت، والعصي الكهربائية، بين المدنيين المهاجمين تعرفت على عدد من مسؤولي اعاشة الاخوان، كانوا من يومان فقط معتصمين معنا في التحرير لإسقاط النظام، واليوم تحالفوا مع النظام طمعاً في السلطة، تم تكسير وحرق الخيام، وضربوا من فيها بحنان مبالغ فيه، مما أكد حدسي وشكوكي فيهم، بينما باقي المعتصمين في العراء سحلوا واصيبوا اصابات خطيرة، نجحت الحملة في فتح الميدان لسير المركبات، بعد أن أشبعونا ضربا مبرحاً بعصيهم وصواعقهم الكهربية، فضوا الإعتصام، وقناة الجزيرة بثت لقطات مباشرة للهجوم، افتضح الأمر، وغادر المقتحمين الميدان، بعد أن ألقوا القبض على عدد من الثوار، وسقط عشرات المصابين على يد الشرطة العسكرية والمدنيين، ألقوا القبض على كل من كانت اصاباته خفيفة، وتم نقل باقي المصابين إلى مستشفى القصر العينى، ثم أصدر الجيش بعد الفض بيان، حذر فيه المواطنين من التظاهر، لم أنجح في الفرار مع الفارين، كنت ضمن المصابين

الذين تم اعتقالهم، إقتادوني مع عدد آخر من المصابين، قام الجنود بضربنا بقسوة أثناء احتجازنا ونقلنا، تم الحكم علي بسنتين سجن في جلسة قضائية مدتها دقيقتان أمام محكمة عسكرية

بعد مرور خمسة أشهر من العذاب المتواصل والمعاناة في سجن عسكري، تمت اعادة محاكمتي ضمن مجموعة من الشباب، حصلنا على البراءة، والفضل يعود لعدد كبير من الشباب الثوري الحر وعلى رأسهم المدون والمفكر الثوري «رامي ضرغام»، فضحوا إجرام العسكر ومحاكماتهم العسكرية على صفحات الفيسبوك والمدونات وتويتر ويوتيوب

أثناء الشهور الخمسة التي أمضيتها في السجن الحربي، تعرفت على العديد ممن حوكموا عسكريا، بسبب تواجدهم في مظاهرات أو اعتصامات، ذات يوم قذفوا في عنبرنا بخمسة شباب، تم اعتقالهم أثناء فض التحرير يوم ٩ مارس ٢٠١١، كان الخمسة بلا استثناء أموات يمشون على أقدام، وجوههم وأجسادهم مختفية، خلف جروح بشعة، وإنتفاخات كالأورام، وخدوش كالأخاديد، وكسور متعددة في عظام صدورهم وأيديهم وأقدامهم، توطدت علاقتي بزملائي في العنبر، ضحايا مجلس طنطاوي وعنان، وقبيل إعادة محاكمتي أنا ومجموعة الشباب المتهمين معي في نفس القضية، كان العنبر الذي سجنونا فيه قد تكدس وإزدحم، بسبب توالي القاء المزيد من الشباب الذين إعتقلهم العسكر

بعد رجوعنا من جلسة إعادة محاكمتنا، أرسلونا لمكتب قائد السجن الحربي، هنأنا بالبراءة، وتمنى لنا التوفيق، وأثنى على ثوريتنا، وأقر بأن النظام تغير ومن حقنا أن نعبر عن آرائنا، لحظتها إحترمت الرجل، لكن بكل أسف تبين لي فيما بعد انه كان يتظاهر بالثورية، كان يطمئننا لكي نعود للميادين

رغم معارضة أبواي، إلا إني عدت من جديد إلى ميدان التحرير وشاركت في كل الفعاليات، ثم إكتشفت حقيقة الدور الذي يلعبه أدعياء الثورة والمندسين، والعملاء والأمنجية، والثورجية المرتزقة، في معارك شارع محمد محمود، تبين لي أننا مجرد ألعوبة بيد الجميع، حتى النخب الاسلامية الثورية كانت تتلاعب بنا، بنفس قدر تلاعب الدولة العميقة بنا

«لِيهَ يا حَازِم يا صَلاَحَّ، لِيهَ بتضيع الْكِفَاحَ»، كان هذا هو هتافنا في وجه حازم يوم جمعة المطلب الواحد في ١٨ نوفمبر ٢٠١١، بدأت الحكاية عندما كنت متواجدًا بالتحرير قبيل نهاية شهر أكتوبر، جاء إلى التحرير شاب مهذب، وتعرف علينا أنا والثوار المتواجدين، أخبرنا الشاب برغبة الشيخ حامد في الحوار مع ممثلي المجموعات الثورية في التحرير، بعد يومان وحسب الاتفاق، ذهبت أنا وخمسة شباب إلى مسجده الذي يلقي فيه خطبه ودروسه

جاء الشيخ حامد في موعده، وكان معنا في المسجد، عدد من مشاهير السياسيين، ومنسقي وقادة الائتلافات والحركات الثورية، صلينا مع الشيخ حامد، كان ضمن الحاضرين شابان مسيحيان، وبالطبع جلسا خلف الصفوف في انتظار فراغنا من الصلاة، بعد الصلاة، تحاورنا وتناقشنا مع الشيخ حامد، حول الأوضاع المأساوية التي نتجت من تلاعب المجلس العسكري، بالشعب والثورة والبلاد، اتفقنا على أن نقوم جميعا بحشد الشعب للعودة إلى التحرير يوم ١٨ نوفمبر، والاعتصام للمطالبة برحيل المجلس العسكري وتسليم السلطة للمدنيين

نجحنا في حشد أكثر من مليون مصري، وفي المساء ارتقى الشيخ حامد المنصة، وخطب معلنا انتهاء فعاليات اليوم وفض الاعتصام، غادر الميدان هو والشيخ حازم، واتبعهم أغلب أتباعهم ومؤيديهم، لم يتبقى منهم سوى أفراد قلائل بالكاد يتجاوز عددهم أصابع اليدين، كان إجمالي عدد المتواجدين في التحرير بعد انصراف الاسلاميين لا يتجاوز مئتا شاب، أقل من ربعهم من مصابي الثورة وأسرهم، كان الوضع كارثيا، كنا معرضين لهجوم القوى الأمنية بسبب ضئالة عدد المعتصمين، تخلى عنا حلفائنا

ونظرا لقلة أعداد المعتصمين لم نقوم بغلق الميدان، تركناه مفتوحاً لعبور السيارات، صباح اليوم التالي هجمت الشرطة علينا بوحشية، وأصابت وأعتقلت قرابة عشرين معتصم، وخلال عدة ساعات تدفق الآلاف على الميدان واستعدنا السيطرة عليه مجددا من الشرطة، هذه كانت مقدمة البداية لإشتباكات شارع محمد محمود، الذي كنا نقاوم في أمتاره، على مدار ستة أيام متواصلة محاولات اقتحام للميدان، كان هدف هجمات الشرطة بالطبع هو فض الاعتصام

خلال تلك الاشتباكات، إكتشفت حجم المؤامرة التي تحاك ضد الثورة والثوار، مجموعات صغيرة تبدأ بمناوشة الشرطة لتشجيع الثوار على الاشتباك، ثم بعد ذلك تنسحب تلك الجماعات الصغيرة، وتترك الثوار فريسة جاهزة للقنص والموت، والعمى والاصابات الجسيمة المستديمة، تذكرت ما شاهدته يوم مذبحة الأحد الدامي، عندما حرض القس «رافائيل وسيم» المسيحيين بهتافات مريبة، ثم اختفى قبيل المذبحة بدقائق

للأسف الشديد، سقط الكثير من القتلى والمصابين، وفقد الكثيرين عينا أو العينان، إكتشفت مدى خبث هذه المجموعات، لاحظت أن الضباط الحاملين لبنادق القنص والغاز يشيرون بأيديهم اشارات يكررونها قبل بدء كل هجوم يشنونه علينا، بعد تلك الاشارات، كانت المجموعات المندسة تنسل بهدوء إلى خلف الصفوف، أدركت أن تلك الإشتباكات كانت فخ محكم، ومصيدة لكل اصحاب التوجه الثوري، فإعتزلت مؤقتا شجاعتي التي إكتسبتها خلال الخمسة شهور في السجن الحربي، حينها لم أشارك معهم في أي اشتباكات مع الأجهزة الأمنية، ليقيني بأن تلك الاشتباكات هدفها القضاء على الثورة والثوار

لم يكن دور هذه المجموعات المندسة مساعدة الشرطة فقط في حربها على الثوار، بل كانوا يغتالون أي أصوات عقلانية بين الثوار، أحيانا داخل الميدان كما حدث للشيخ «عماد عفت»، وأحياناً أخرى خارج الميدان، حيث كانوا يتبعون من ينشر الوعي، حال مغادرته للميدان متجها لقضاء حاجة أو للاستراحة وتغير ملابسه في منزله، كما حدث لزميلي «طه تيتو»، الذي إغتالوه بالمدي والسكاكين، خلف المتحف أثناء توجهه إلى منزله، للاستراحة قليلا من وعثاء الميدان

بعد وصول محمد مرسي لكرسي الرئاسة، ظهرت الأسلحة النارية بين الثوار بكثافة، كان حملة السلاح يبررون موقفهم بأنهم يرغبون في حماية الثوار من بطش هجمات مؤيدي الإخوان

إحقاقا للحق، كان غباء وعنجهية وغطرسة وصلف وعجرفة وقسوة الاخوان ومؤيديهم، دافعا منطقيا كي نتجاوز عن حملة السلاح، أسلوب تعامل الاخوان مع معارضيهم مقزز ومخيف ومنفر وبشع، يعدونا كفار مناوئين لله ودينه وشرعه، وفوق

البيعة مخربين تحركهم إسرائيل لهدم جيش مصر، كان إذا وقع أحدنا في أيديهم عاملوه بوحشية تماثل وحشية حلفائهم العسكر والداخلية، ولا يتركوه إلا بعد أن يصيبوه بعجز تام، قتلوا منا الكثير، وقفوا بجانب وخلف الشرطة والجيش ضدنا في مواقف ومواقع كثيرة

لا أنكر أن بعضهم لم يطع قادته، وانضم لنا في كفاحنا، لكنهم كانوا أفراد لا يتجاوزون الخمسين على أفضل تقدير، من حوالي خمسة ملايين اخواني تزعم الجماعة انهم تعداد ابنائها، وقف معنا هؤلاء المنشقين إلى تم إجراء الانتخابات البرلمانية، فإنقلبوا علينا بعدها وصاروا ألد أعدائنا، أسكرتهم خمر السلطة

خلال اشتباكات محمد محمود ومجلس الوزراء، رصدت ثلاثة من أبرز قادة المجموعات الصغيرة المسلحة داخل فعالياتنا الثورية، «مصطفى ابو المكارم» ومدام «آلاء المصري»، و«شوقي يعقوب»

كان هؤلاء الثلاثة يستقطبون من يتوسمون فيه كراهية عميقة للاخوان، وكنت ولازلت أكرههم بشدة، وظهر ذلك في آرائي التي أتشدق بها، معللا كراهيتي للاخوان بسبب انتهازيتهم وسعيهم المريض للسلطة، وتحالفهم مع أعداء الشعب، صبية مبارك وأركان نظامه الذي لم نفلح في اسقاطه، بسبب الاخوان الذين وافقوا على قرار مبارك بتسليم السلطة لأعضاء المجلس العسكري

تقرب مني «شوقي يعقوب»، وناقشني عدة مرات، وعندما إطمئن لي جندني ضمن مجموعته التي جاوزت الخمسة عشرة ثوريا، كانوا يتسلحون برشاشات آلية ،وبنادق قاذفة للخرطوش، وطبنجات شعبية يطلقون عليها اسم الفرد [١٩] المحلي

شاركت في أغلب هجماتهم، في مناسبات ومواقف كثيرة أطلقت الرصاص على الإخوان، بسلاح الفرد المحلي الذي أعطاني إياه «شوقي»، كنت بينهم أتظاهر بالسذاجة والغباء، لكي أستفيد من شوقي يعقوب وأسياده، كنت أخادع نفسي، وأزعم أن تلك المجموعات هي حركات ثورية، رغم كل الشواهد التي تؤكد على عمالتهم لدولة مبارك العميقة، أهم هذه الشواهد هو غموض مصادر تمويلهم، وبذخ مسؤولي تلك الجماعات،

---

١٩ الفرد المحلي سلاح شبيه بالطبنجة يطلق طلقة واحدة أو طلقتان

وثقتهم اليقينية المطلقة بأنهم لن يخضعوا لأي إجراء قانوني يجرم افعالهم

في نهاية المطاف، وبعد مظاهرات ٣٠ يونيو وبيان ٣ يوليو ٢٠١٣م، إعتصم الإخوان حول مسجد رابعة العدوية بمدينة نصر، لكن كان السيف قد سبق العزل، مر على إعتصامهم أكثر من شهر، كنت آنئذ مشغولًا في التشطيبات النهائية للكافي شوب الذي ربحته بكدي وجهدي وطلقات رصاصي مع مجموعة شوقي يعقوب، وأَيضًا مشغولا بالظهور ضيفًا في البرامج التلفزيونية على القنوات الفضائية للترويج لحملة تمرد، ولإفحام أعوان الاخوان ومؤيديهم بجدل بيزنطي سفسطائي، تعلمته من الإخوان ذوي الجلود التخينة، وأجدته أيما إجادة

هاتفني شوقي أثناء اعتصام الاخوان، وطلب مني الحضور لملاقاته على مقهى شهير في عابدين، أوكلت إلى أبي متابعة ما يقوم مهندس الديكور بتنفيذه، وشراء ما يلزم من احتياجات لتجهيز الكافيه

في المقهى وجدت المجموعة بأكملها حاضرة مع شوقي، أبلغنا بأننا يجب أن نفض اعتصام الاخوان، وعلمت منه أنه قد قام بالتنسيق مع «مصطفى ابو المكارم»، لمساندتنا أثناء الهجوم على الإخوان من مدخل طريق النصر، مجموعة «مصطفى ابو المكارم» كان أبرز قادتها أحد ضباط ٨ إبريل، لقد خدعت فيهم كما خدع الملايين من المصريين، لم أكتشف حقيقتهم إلا بعد خروجهم من السجن، حارب بعضهم معنا الاخوان، ودربونا على تكتيكات قتال الشوارع، والآن يقفون معنا في صف السيسي صبي مبارك، ويدعمونه بكل إخلاص

كلنا مذنبون، كلنا بعنا أنفسنا، باع الاخوان أولاً فإقتدينا بهم وبعنا، فرطنا في الثورة الشعبية الوحيدة التي كان من الممكن أن تهدم منظومة فساد، وتبني دولة عدل وكرامة وعلم، بعضنا باع طمعًا في النفوذ والسلطة، مدفوعًا بحلم تطبيق الشرع، حتى ولو خالفه وخان رفاقه، بعضنا باع عندًا في من سبق وخانه، ورغبة في الانضمام للأقوياء المسيطرين، إنطلاقًا من مبدأ "إذا لم تستطع أن تهزمهم فانضم إليهم"، لكن بكل أسف، كلنا بعنا طمعاً في الثروة والعلو على ما سوانا، كنت أسعى لتحقيق العدالة التامة، ثم تبينت لي الحقيقة القبيحة التي غابت طويلا عن عقلي، وهي ان العدالة التامة لم ولن

توجد على الأرض، الحقيقة التي أدركتها أخيرا، هي ان «الْعَدَالَةُ التَّامَّةُ لَا تُوجَدُ سَوِيًّ فِي أطغاث أَحْلَامُ البلهاء وَكَتَبَ الأَدْيَانَ»

كانت خطة «شوقي يعقوب» بسيطة وسهلة التنفيذ، في البدء نهاجم مدخل اعتصام الاخوان، بالقرب من بوابة محطة بنزين يوسف عباس، ثم نفر للخلف، حتى مطلع كوبري اكتوبر أمام جامعة الأزهر، وهناك نصطاد ونقتل من طاردونا، عند التنفيذ إكتشفت وجود عربات مدرعة تابعة للشرطة، تقف أمام جامعة الازهر ومنصة الجندي المجهول، نفذنا الجزء الأول من الخطة، فررنا بنجاح، وعند وصولنا إلى الموقع الذي تتمركز فيه قوات الشرطة وعرباتها المدرعة، حينها أمرنا شوقي بالتمترس خلف عربات الشرطة

يا الله، كنت دوما من أشد المطالبين بالقصاص لدماء الشهداء، كنت من أعتى أعداء الشرطة والجيش، وأرى أنهم سبب كل ما نحن فيه من بلاء، ثم جاء اليوم الذي أجد فيه نفسي مصطفًا معهم، ضد عدو هو أساساً مني، نعم الإخوان رغم كل ما فيهم، وبرغم كراهيتي العميقة لموبقاتهم وخطاياهم لكنهم بالأساس مواطنين، نعم كانوا سيسومونا العذاب، ويكفرونا، ولكن كان هذا مجرد إفتراض إفترضناه، واستنتجناه من أسلوبهم الفاشي في الحوار مع من يخالفونهم في الرأي، نعم هم يكفرونا ويعتدون علينا ويقتلونا، ولكنهم أبدًا لم ينهبونا ويفقرونا ويقهرونا، كما فعل ويفعل العسكر والشرطة أولياء مبارك المخلصين

كرهت الموقف برمته، خفت من الانسحاب، نعم خفت، سبق أن فعلوها وقتلوا جيمي الذي انشق على مجموعة «مصطفى ابو المكارم» وفضح على الفيس بوك، علاقة قائدها بالمخابرات العسكرية وأمن الوطن

إنتهت موقعة المنصة، وقتلنا من الاخوان عدد كبير، وأصبنا عدد أكبر، طلبت من شوقي أن يساعدني، ويتوسط لي كي أحصل على قطعة أرض في القاهرة الجديدة، فوعدني بأن يفعل، لكنه طلب مني الانتظار قليلاً حتى لا يسأم مني المسؤولين، ويظنون بي الجشع والطمع، سبق أن منحوني مناقصة توريد أجهزة حواسيب وخوادم شبكات للجهاز المركزي للمحاسبات، سأصبر، لكني أريد أن انتفع وأتربح من مبادئي وقيمي التي

أهملتها وفرطت فيها، اريد أن أنام قرير العين، مطمئن على مستقبلي، بعد أن دفنت أحلامي وآمالي، ووأدتها مع ضميري المأسوف على شبابه

بأي حال، لم أكن أتخيل يوما ما أن اتحول لكل ما كنت أكرهه، كرهت نفاق وتلون وارتزاق الاخوان، ثم سرت على هداهم وفعلت كل ما فعلوه

أسباب كثيرة دفعتني لبيع نفسي والتفريط في مبادئي، أهمها عناد دفعنا إليه الاخوان دفعًا، ثم مذبحة الأحد الدامي التي تسبب فيها القس «رافائيل وسيم»، وأخيرا وليس آخرا مدونة «تلاطيش» التي يحررها المدون العريق «رامي ضرغام»، كنت منذ سنوات عديدة ولازلت أتابع ما ينشره على مدونة تلاطيش، فضح «رامي ضرغام» نظام «مبارك» منذ قرابة عشرة أعوام، أثبت بالأدلة القطعية، انتماء مبارك وأركان حكمه للمنظومة الماسونية الموالية لإسرائيل، نشر تحقيقا عن إغتيال السادات، كشف فيه بوضوح حجم المؤامرة، التي دبرها مبارك ومنظومة الماسونيين، قتلوا «السادات»، عقابا له على تجرأه بشن حرب أكتوبر على اسرائيل، في مقالات عديدة قبل الثورة بأعوام، ناشد «رامي» الشعب المصري بالتوحد ضد مبارك والثورة عليه، لإنقاذ مصر، وأثناء وبعد ثورة يناير، حذر الاخوان، من الوقوع في فخ الاستقطاب الذي سيضرب ثورة الشعب في مقتل، حذرهم رامي من نهاية كارثية، ستمحقهم وتمحقنا جميعا، إذا ما سقطوا في شباك مكيدة «العشرية السوداء»، التي سبق وأن طبقها عسكريين الجزائر في التسعينات، خدعوا خلالها الاسلاميين، ثم قتلوا الرئيس بوضياف اليساري، عندما حاول مواجهة الفساد في مؤسسات الجزائر السيادية، ساق رامي أمثلة تكاد تتطابق مع ما كان ولازال يحدث في مصر، نشر رامي مقالاته المسبوكة ببراعة صائغ تليد على مدونة تلاطيش، وعلى صفحته في الفيس بوك، وانتشرت مقالاته بين الثوار، ولكن عامة الشعب وعلى رأسهم الاخوان لم يعبأوا بمقالاته وتحليلاته الصائبة، مدونة تلاطيش أكدت لي أن هذا «شعب لا يقرأ، وان قرأ لا يفهم، وان فهم لا يطبق وان طبق فشل»، مقالات «رامي ضرغام» أثبتت لي أن الشعب الذي لم يستوعب تلك المقالات والأفكار العظيمة بسبب غبائه، وهو شعب لا يرتجى منه أي خير، فهو لن يفهم ولن يتوحد وسيظل ممزقا مستعبدًا أبد الدهر، ولأني مؤمن بأن الأحمق وحده هو من يناصر

الأغبياء الضعفاء البلهاء، لم أستطيع أن أهزم الخبثاء الأقوياء، فإنضممت لهم

أما مذبحة الأحد الدامي، فقد حدثت عقب قيام عدد من القساوسة بحشد المسيحيين في شبرا، للتظاهر والاعتصام أمام ماسبيرو، للتعبير عن غضبهم وإحتجاجهم على ما حدث قبل أيام قليلة في الصعيد، إستجاب المسيحيين لدعوات القساوسة، وانتفضوا في مسيرة كبيرة، توجهوا بها إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون، غضبا من قيام سكان من قرية المريناب بمحافظة أسوان، بإحراق كنيسة عمرها ثمانين عاما، أثناء قيام المسيحيين بإعادة بنائها، زعم أهالي القرية أن الكنيسة لم تحصل على تراخيص بالبناء، وكان السبب الأهم في مسيرتهم، هو الإحتجاج على تصريحات محافظ أسوان الذي صدر عنه تصريح مستفز، حيث قال «لا توجد أي كنيسة بالقرية كي يتم حرقها، وان ما حرق لم يكن إلا مضيفة، يستخدمها الأقباط للصلاة»، تضامن مع غضب واحتجاج الاقباط عدد كبير من ثوار التحرير، ذهبنا لمساندة المسيحيين في غضبتهم العادلة، خلال تواجدنا معهم في المسيرة، دهمتنا موجة هادرة من الذهول والدهشة والحيرة، تعجبنا مما يحدث، كان أحد القساوسة المشاركين في المسيرة يحرض المسيحيين بهتافات مريبة، القس «رافائيل وسيم» كان أحد القساوسة العديدين المرافقين للمسيرة، كان يهتف وخلفه أغلب الاقباط بأصوات هادرة، «ارفع راسك فوق انت قبطي»، و«بالطول بالعرض . احنا اصحاب الارض»

انسحبت حركة «اقباط بلا قيود» من المسيرة، احتجاجا على الهتافات الطائفية، التي تزيد من اشتعال الموقف، بدلا من استقطاب المسلمين للتعاطف مع المسيحيين، المعتدى عليهم ظلما وعدوانا، والمقهورين منذ أيام نظام مبارك، وقال المسيحين المنسحبين «لن نشارك في مسيرة يقودها الجلاليب السوداء [٢٠] »

في دقائق قليلة، تحولت مظاهرات وهتافات المسيحين، إلى فعالية عداء صريح، مع الأغلبية المسلمة من شعب مصر، النتيجة كانت مهزلة وكارثة شاهدتموها وسمعتموها، اعلاميين يناشدون المسلمين بالنزول لحماية الجيش من الأقباط، سلفيين وفلول وبلطجية وشرطة عسكرية ومدنية وجيش، هاجموا المسيحيين بوحشية، قتلوا العشرات وأصابوا

٢٠ كناية عن القساوسة

المئات، هتافات سلفيين واخوان تعبر عن غضبهم واعتراضهم على هتافات الاقباط الطائفية، رد عليهم السلفيين بهتاف طائفي معاند وزمجروا هادرين «إسلامية إسلامية» بقيادة الشيخ «محمد عواض» الذي كنت أبجله وفقدت احترامي له، بعد أن تبين لي انه مخبر من مخبرين الأمن تماما مثل بابا الاقباط، والاثنان وأشباههم من الشيوخ والقساوسة يجمعهم هدف واحد، ألا وهو بث الفرقة والشقاق بين المسلمين والأقباط ليأمن النظام ويسود مطمئنا

تحول احتجاج الأقباط إلى مذبحة بشعة، خطط لها من كلفوا القس «رافائيل وسيم»، بتضليل اتباعه والتضحية بهم، تمهيداً للمزيد من سفك الدماء، أدركت حينها مدى خبث ودهاء المسيطرين على زمام الأمور، يحركونها كيفما شاءوا، بإعلاميين أمثال تهاني القماش، وثوار مسلحين أمثال «مصطفى ابو المكارم» و«آلاء المصري» و«شوقي يعقوب»، وشيوخ أمثال الشيخ «محمد عواض»، وقساوسة أمثال القس «رافائيل وسيم»، ومدونين وثائرين أمنجية أمثال «زهرة الهلالي» التي فضحها رامي ضرغام، ولكي تتأكدوا من كلامي تابعوا ما كتبه المدون الداهية الأريب الفذ «رامي ضرغام»، عن مذبحة ماسبيرو، وعن محاصرة السفارة الاسرائيلية، وعن اشتباكات محمد محمود، وعن موقعتا العباسية الأولى والثانية وعن دعوات تمرد ليوم ٣٠ يونيو، وعن اعتصاما رابعة والنهضة ونصائحه القيمة للاخوان والتي لم يفهموها ويطبقوها الا متأخرا، وعن غيرها من المآسي والمهازل التي سقط فيها الشعب والثوار ببلاهة متناهية

لكل ما سبق إخترت الانضمام للاقوياء بمحض إرادتي، حتى لا أفني عمري في محاربة طواحين الهواء، كما يفعل الأريب العنيد «رامي ضرغام» القابض على مبادئه بإستبسال عجيب ومبهت





الاِسْمُ العَاشِرُ: العَنِيدُ

أرزع، .. وأرجع أرأع[21]

وما الحياة الدنيا إلا مَأْزِق غَاشِيَ، وَرْطَة مُهْلِكَة، بَلِيَّة رَزِيئَة، طامَّة فَادِحة، شِدَّة فَاجِعَة، كارِثَة فالِعَة، مُلِمَّة نائِبَة، مُصِيبَة طَارِقَة، مِحْنَة نازِلَة، نَقْمَة وَاقِعَة، نَكْبَة قاصِمَة، عُسْرَة مُعْضِلَة.... لا لست يائس بائس، أنا فقط أدركت مؤخرًا ما خفي على الآخرين، ورغم قسوة رأيي ومعتقدي في الدنيا، لكن لازال الأمل يغمرني، نعم عندي أمل، بل أنا بحر زاخر بالآمال والأحلام العظيمة، وها أنا ذا أبذل حياتي ونفسي وجسدي من أجل تحقيقها، آه .. معرفتكوش بنفسي، أنا «رامي ضرغام»، مواطن مغمور من بلد الغم والقهر والظلم والفساد والجهل، سوف أقص عليكم بضع محطات ولمحات من حكايتي مع الحياة الدنيا، وأرجوكم لا تتأثروا برأي «مؤلف الرواية» في شخصيتي، فهو يعدني مجرم كباقي شخصيات هذه الرواية، وسبب حكمه القاسي علي، هو آرائي في خالق الكون، أعظم الظالمين، ولكي أساعدكم على فهم طباعي وأخلاقي وأفكاري لابد أن أحيطكم علمًا بفترة طفولتي التي ساهمت بقسط كبير في تكوين شخصيتي

بعد أن انهيت إمتحانات الصف الثاني الإبتدائي، كان أبي يأخذني معه كل يوم خلال الاجازة الصيفية إلى مقر وظيفته في سنترال بنها، وهناك ولعت بالقراءة وأدمنتها، أول نص قرأته بخلاف الكتب المدرسية، لم يكن قصة مصورة، كما هو مألوف ومعتاد من كل الأطفال، جريدة «الأهرام» كانت بدايتي، ثم تلاها الجرائد اليومية آنذاك

---

21 لفظتان عاميتان لهما معاني عدة، منها قولهم «رزعته (أو رأعته) على وشه»، بمعنى صفعته على وجهه بقسوة، وقولهم «رزع (أو رأع) الباب»، بمعنى أغلق الباب بعنف شديد، كما تستخدم أحيانًا للتعبير عن فعل المضاجعة، والطبقات المهمشة عندما يغازلون غانية يقولون «أرزع (أو أرأع) بالقوي»، بمعنى أضاجعك ببراعة، ولفظة «أرجع» من الرجوع بمعنى أعود

«الاخبار» و«الجمهورية»، وحتى يتجنب أبي إهداري لوقته أثناء عمله، بأسئلتي التي لا تنتهي، عن معاني الكلمات الصعبة التي تواجهني في الصحف، لهذا قرر أبي أن يشتري لي بإنتظام، أعداد مجلات الاطفال الشهيرة، «ميكي» و«سمير»، لكي يشغلني بها عن الصحف، لكن شغفي بالقراءة كان أشبه بالإدمان، وتلك القصص التافهة المصورة، لم تشبع نهمي، نكصت موليًا لتصفح الجرائد من جديد، لم يعترض أبي خاصةً وأني لم أعد لعادتي بإلهائه عن عمله، باستفساراتي المتكررة عن معاني الكلمات المربكة، أحيانا كنت أسأل زملاؤه، لكن غالبًا لم أكن أستعين بهم، لأن عقلي تلقائيًا ودون تدخل مني، بدء يدرك ما إستغلق على فهمي، بتحليل الفقرة المحتوية على كلمات غامضة، وفهمها بموجب سياقها في الجملة

مواظبتي على القراءة في مقر عمل أبي، لم تكن كافية لإرواء نهمي للمعرفة، في البيت كنت أقرأ أي قصاصة يقع عليها بصري، نشرات أدوية، وأوراق ممزقة، وقراطيس فاكهة وغلال، مصنوعة من أوراق كتب وجرائد ومجلات

خلال تلك الاجازة، أضنيت والداي في منزلنا بالأسئلة عن معاني المفردات الغريبة، قرر أبي أن يتخلص من ازعاجي، اصطحبني لمكتبة عامة في قصر ثقافة بنها، ألحقني بها، خلال عامان فقط اِلْتَهَمَت كل أوراق المكتبة بشراهة ونهم، كجرادة خَمْصى لا تبقي ولا تزر، من وقتها لم أتوقف عن القراءة، مما أكسبني القدرة على الاستيعاب والفهم والكتابة، بل والمناقشة والتحاور مع من هم أكبر مني سنًا

خلال طفولتي لم يكن بنياني قوي، لكني كنت في المدرسة مميز بين أقراني، بسبب سرعة بديهتي وتفوقي في دراستي، خاصة في المواد الاجتماعية ومواضيع التعبير والخطابة والإذاعة المدرسية، وعندما كنت في الصف الخامس، تميزي ونباهتي ولباقتي تسببوا في نقمة زميلي في الفصل «سعد»، وهو طفل مشاغب وبليد دراسيًا، تشاجر معي «سعد» دون سبب وضربني، تمزقت ثيابي، عدت مشلفطًا مخرشمًا [٢٢] باكيًا لأبي، قصصت عليه ما حدث، تخيلوا ماذا فعل أبي؟!، هل يذهب إلى مدرستي ويشكو للناظر؟، أم يذهب لأهل زميلي «سعد» ويطالبهم بعقابه لتهذيب أخلاقه؟، لا هذا ولا ذاك، وضعني أبي في

٢٢ الشلفطة والخرشمة الفاظ عامية مصرية تطلق على الجروح والخدوش والكدمات

كيس وسادة وأغلقه بإحكام، ثم أحضر عصا كانت تستخدمها أمي في تقليب الملابس البيضاء عندما كانت تغليها في الماء لتنظيفها كعادة ربات البيوت في ذاك الزمان، ضربني أبي بتلك العصا بقسوة، تألمت صرخت بكيت، أخرجني أبي من كيس المخدة، ثم ابتسم في وجهي قائلًا

- العلقة دي أجمد ولا العلقة اللي خدتها من الواد اللي ضربك النهاردة

بالطبع كانت ضربات أبي مؤلمة ومؤذية وموجعة جدًا، مقارنة بضربات زميلي «سعد»، أمرني أبي أن أفعل شئ في غاية الغرابة، وإن عصيته فسيكون جزائي تكرار تلك العلقة يوميًا، أعاد علي أبي مرارا وتكرارا تفاصيل خطته التي طلب مني تنفيذها بحذافيرها يوميًا

صباح اليوم التالي ذهبت كالعادة إلى مدرستي، عندما دق جرس الفسحة، هبطت إلى فناء المدرسة مع زملائي، سبحت بعيناي بين أمواج التلاميذ المتلاطمة بحثًا عن «سعد»، عثرت عليه أخيرًا، كان يضرب طفل مسكين لينهب طعامه، توجهت نحو «سعد»، ابتسمت في وجهه

- صباح الخير يا سعد

- صباح النور

رد التحية دون اهتمام وهو يلتهم ساندويتش الطفل المغبون، إنهلت بالضرب على «سعد»، دون سابق انذار، دافع عن نفسه بحنكة، وتمكن من تكرار سيناريو الأمس، ضربني وتمزقت ثيابي، إتخرشمت واتشلفطت لليوم الثاني على التوالي، لكن كان الفرق بين علقة الأمس وعلقة اليوم كبيرًا جدا، بالأمس تألمت وبكيت كثيرًا، اليوم لم أبكي والألم كان أقل، والفضل كله لعلقة غطاء الوسادة التي نلتها من والدي عشية الليلة السابقة، داومت على تنفيذ خطة أبي يوميًا، لم أنجح قط في التغلب على «سعد»، كان قوي البنيان مقارنة بجسدي النحيف، كان من حي شعبي مجاور للحي المتوسط، الذي أقطن في احدى مبانيه، خبرة «سعد» بالشجار كانت كبيرة جدا على خلافي، أثناء تكراري لخطة أبي اليومية، التي أسميتها «أرزع ، وأرجع أرأع»، كنت أحقق ببطء تقدمًا ملحوظًا، أصبحت أكيل ضربات أكثر، وصارت نفسية «سعد» أضعف وأصبحت

ضرباته ولكماته أوهن، ذات يوم بكى ونحن نتبادل اللكمات، انهار تماما وتوقف عن لكمي وجلس على الأرض يبكي، توقفت عن ضربه، سألني «سعد» والدموع تغرق عيناه

- انت بتتخانق معايا كل يوم ليه من غير ما أكلمك ولا أضربك؟!

ذكرته بأنه هو من بدأ بضربي دون سبب، يوم أن أثنت مدرسة اللغة العربية على موضوع التعبير الذي نلت عليه الدرجات النهائية، اعتذر لي فتقبلت اعتذاره، صرنا أصدقاء مقربين جدًا خلال مرحلتي الطفولة والمراهقة

بالرغم من جسدي الهزيل، تسببت خطة «أرزع . وأرجع أرأع»، التي أجبرني عليها أبي في زرع الخشية والمهابة في نفس «سعد»، ترعرت شجاعًا قادرًا على الدفاع عن نفسي وكرامتي وتحدي الأقوي مني والصراع معه، وزعزعة ثقته بنفسه، حتى لو انتصر علي، تلك كانت طفولتي التي لم تختلف أبدًا عن مراهقتي وشبابي ورجولتي

وبرغم ما قصصته عليكم منذ قليل، إلا ان طفولتي لم تكن طفولة سعيدة على الاطلاق، كان أبي مزواجًا، وذوقه سيء في النساء، يختارهن لجمالهن وغنجهن، كل زوجاته بلا استثناء ناقصات عقل ودين، ومن أسر وضيعة، دائما ما يطلقهن ثم يعيدهن لعصمته، إلى أن يستنفذن الطلقات الثلاثة، لم تكن طفولتي مستقرة، تناوب على أمومتي خمسة نساء، إحداهن أمي البيولجية، وهي أكثرهن جنونًا وحقدًا

كنت متعلقا جدا بأبي، رغم قسوته وجديته وحزمه، إلا انه كان حنونًا بشكل كبير، أيضًا كان أبي ذكيًا شجاعًا متزنًا، يحترمه كل من حوله سواء زملاء العمل أو الجيران، لم يكن أبي مدخنا أو سكيرا، أو متعاطيًا للمخدرات، لكنه كان مدمنًا على النساء، وقد ورثت عنه ذلك، لم أراه يصلي إلا نادرا، وقد ورثت عنه ذلك متأخرا بعد ان أتممت الأربعين، عقب ان فقدت ثقتي في الله ونما في قلبي إحتقار وكراهية شديدة لخالق الكون المناصر للظالمين المفسدين، ولكن تلك قصة طويلة سأحكيها لكم ذات يوم، مات أبي قبل ان يتجاوز الخمسين بسنوات قليلة، كان عمري حينها خمسة عشر عامًا، بعد وفاته ذهبت مع أخي الأصغر للاقامة مع أمي، عشت معها خمسة أعوام وهم أغلب مرحلة مراهقتي، لم تنسى أمي قط أني كنت أحب أبي، وأفضله عليها، عاقبتني بتفضيل

أخي علي، لم يكن هذا يضايقني فقد كنت أحب أخي الاصغر، وأعتبره بمثابة ابني الذي لم أنجبه نتيجة نمو مشاعر أبوية داخلي، غالبًا ورثت تلك المشاعر من والدي الحنون الحازم، على الجانب الآخر قسوة قلب أمي كانت مغلفة بحقد مرضي، لم أرى مثيله في إنسان طوال سنوات حياتي الاثنان وأربعون، هذا هو عمري اليوم، كانت الملتاثة تألب شقيقي علي وتزرع في قلبه بذور الكره ما استطاعت لذلك سبيلًا، وقد نجحت الى حد ما في مهمتها الكيدية، بسبب صغر سن أخي الأصغر وحسن ظنه بأمه، أتعستني وأشقتني أمي فغادرت المنزل مرارًا وتكرارًا لهذا لم أكمل تعليمي الثانوي، عملت في مهن كثيرة منها التجارة، وظللت أقرأ بنهم خلال كل مراحل حياتي

جاء أوان تجنيدي، كان بإمكاني الحصول على تأجيل من التجنيد، كنت أكبر أبناء أمي الأرملة، وكان هذا التأجيل سيؤدي في نهاية المطاف لحصولي على اعفاء من التجنيد في الجيش، لكن بعناد اخترت ان أقضي مدة تجنيدي، بدلا من البقاء مع أم تعاملني كما لو كنت نهبت ميراثها، أو قتلت أبيها، ولها معي ثأر لم يوفى، الجيش كان تذكرة هروبي من جحيم أم حمقاء، ودخولي عالمي الخاص

أنا لا أغمط الحقوق أبدًا، عندما أنظر الآن إلى الماضي، أرى ان الله قد منحني عقل راجح وإرادة قوية، لكنه في نفس الوقت، أتى بي للدنيا من أم معقدة ملتاثة حقودة مشوهة نفسيًا، نجوت من عقدها وجنونها بأعجوبة، وبسببها صرت أبغض الظلم والظالمين، لا أظلم غيري، ولا أسمح لأحد بأن يظلمني، أو يظلم سواي، ما استطعت إلى ذلك سبيلًا

أثناء فترة تجنيدي في الجيش، تعثرت في كتب دينية، فبدأت في المواظبة على التفقه في ديني، وتحولت لمتعصب دينيًا نتيجة القراءة في تلك الكتب، أنهيت الجيش منتصف عام ١٩٩٧، وكنت خلال تجنيدي قد قرأت كتاب عن نظام التشغيل ويندوز ٩٥

بعد عودتي للحياة المدنية، حصلت على عدة دورات لتبسيط الكمبيوتر للمبتدئين، وكان لي بعض المال في حساب بنكي، ميراثي عن أبي، استخدمته وبدأت مشروع تجاري متواضع، إستأجرت دكان صغير، افتتحت مكتبة لبيع وشراء الكتب المستعملة،

ظللت أقرأ في مواضيع متنوعة بجانب الكتب الاسلامية

نمت تجارتي في الكتب المستعملة، اصبحت مكتبتي شهيرة بين أهالي بنها، خلال عام نجحت في توفير بعض المال بعد تزايد دخلي من المكتبة، وبمساعدة أحد عملائي استأجرت شقة صغيرة فوق سطح احدى العمارات العريقة المطلة على نيل بنها، الشقة مكونة من غرفة متوسطة الحجم، وصالة صغيرة، ومطبخ وحمام أشبه بعلبتا سردين، وكانت الشقة مخصصة لسكن البواب وأسرته، بمرور الزمن توفى البواب وتلته زوجته، وسافر ابنهم الوحيد لدولة خليجية، لم يهتم قاطني العقار بجلب بواب آخر يحل محل المتوفي ومن ثم تم عرض الشقة للايجار بثمن زهيد، فاستأجرتها من ابنة مالك العقار الطاعنة في السن، وفرشتها بسرير صغير، ومقعدان ومنضدة صغيرة من البلاستيك، واشتريت أيضًا جهاز كمبيوتر، الذي نجح تدريجيا في سحب البساط من تحت اقدام الكتب الورقية، تبين لي فيما بعد ان الانترنت والحاسوب، هما الأولى بإهتمامي لما يحتويانه من كنوز معرفية لا نهائية، كتب الكترونية ومنشورات ومقالات في المنتديات والمواقع العربية والعالمية، أجدت اللغة الانجيزية تدريجيا بعد أن امتلكت الحاسوب

وبرغم التزامي دينياً لكن جيناتي تكاد تماثل جينات أبي، لهذا انخراطت في علاقات جنسية مع عدد كبير من بنات حواء، كنت اضاجعهن منفردات في شقتي، لكني كنت احرص على الصلاة في جماعة، بالمسجد القريب من مكتبتي، لم انضم لأي جماعة اسلامية على الساحة، لا اخوان ولا سلفيين ولا جهاديين ولا سواهم، تعمقت ارائي السياسية بسبب قرائتي لصحف المعارضة، وكنت أناقش من حولي فأبهرهم دون ارادتي بغزارة علمي ولباقتي وشجاعتي في الحق

ذات يوم في بداية ديسمبر عام ٢٠٠٠، سمعت صوت رجل، في مكبر صوت على سيارة ربع نقل صغيرة يدور بها في شوارع بنها، كان الرجل يبشر أهالي بنها، بأن فضيلة الشيخ «محمد عواض» تكرم بزيارة المدينة، وسيلقي خطبة الجمعة في مسجد «السلف الصالح»، وبعد صلاة العشاء في نفس اليوم، سيلقي درس يعقبه تلقي استفسارات واسئلة المصلين، كنت وقتها أجل وأحترم الشيخ «عواض»، كما كان ولازال يفعل كل المخدوعين في ورعه الزائف، أديت خلفه صلاة الجمعة، وكانت الخطبة عن حسن

الظن بالله، أما الدرس الذي عقب صلاة العشاء فقد كان ملحمة هزلية من النفاق الرخيص لمبارك، استفزني الدرس، وعندما حان وقت أسئلة واستفسارات الحاضرين ابتدرت الشيخ بسؤال مباغت

- بغض النظر عن ان مبارك لا يطبق شرع الله، وبغض النظر عن افقاره للشعب المصري ومساندته لحفنة من رجال الأعمال الفاسدين الناهبين لخيرات مصر، لكنه يفعل ما هو اسوأ من هذا بكثير يا شيخنا المبجل، يحاصر الفلسطينين في غزة لحساب اسرائيل، فكيف وبأي وجه؟ ستبرر أمام الله ما قلته منذ قليل عندما نافقت مبارك، وطالبت الناس بالصبر عليه، ودعوت له بالصلاح؟!!!

فبهت الذي نافق، وأرغى وأزبد، وتشدق وتفيهق، واتهمني في ديني، انصرفت عن درسه، وبصوت جهور يسمعه الشيخ وجمهوره تضرعت إلى الله أن يقتص من كل عالم يبيع دينه بدنياه، تبعني بعض الحاضرين معظمهم شباب يافع بين العشرين والثلاثين، خارج المسجد وقف بعض الملتحين المنصرفين عن الدرس يناقشون الهراء الذي تبرزه عليهم الشيخ «عواض»، كنت قد ابتعدت عدة خطوات، أثنى أحدهم على سؤالي وشجاعتي، شعرت بخجل شديد عندما أثنوا على إيماني، تقدموا نحوي، وانضم لنا شابان غير ملتحيان، كانا قد غادرا المسجد بعد سؤالي المفخخ الذي أثار حنق الشيخ عواض، تناقشنا واقفين على الرصيف المقابل للمسجد لبعض الوقت، ثم اتفقنا على اللقاء في نفس المسجد، عقب صلاة عشاء اليوم التالي

وفي اليوم التالي أغلقت مكتبتي قبيل صلاة العشاء بنصف ساعة، وتوجهت لمسجد «السلف الصالح»، بحسب الموعد المتفق عليه، بعد الصلاة دعانا الأخ «خالد» أكبر الملتحين سناً لمنزله، كي نناقش أحوال المسلمين، جلسنا في غرفة صغيرة بمنزله، تدريجياً صارحنا الأخ «خالد» بأنه لابد من مقارعة هذا النظام الظالم بالسلاح، كنت مؤمنا بضرورة الجهاد ضد مبارك، فقد كنت عضواً في كثير من المنتديات الجهادية وعدد آخر من منتديات فصائل المقاومة الفلسطينية، لم أعترض على ما قاله الشيخ خالد، كنا ثمانية أفراد نشرب الشاي ونتحاور، في الغرفة المحتوية على كتب تراثية وفقهية كثيرة، خمسة ملتحين، وثلاثة غير ملتحين، تهرب اثنان من الملتحين من اقتراح الجهاد بحجج

وأعذار واهية، قام الشابان من مجلسهما، واستئذنا بالانصراف، صرنا ستة أفراد، منهم ثلاثة ملتحين، وكان اكبر الموجودين سنا هو «خالد» كان في الخمسين من عمره، أنا كنت في السابعة والعشرين وغير ملتحي، والأربعة الباقين تتراوح اعمارهم بين العشرين والثلاثين : «أيمن» طالب في كلية الهندسة وملتحي؛ و«عبد الرحمن» طبيب بشري غير ملتحي؛ و«ياسر» خريج تجارة جامعة الازهر عاطل وغير ملتحي؛ و«مصيلحي» حداد مسلح حاصل على دبلوم صنايع وملتحي؛ كنت في هذا العام سأخوض امتحان الثانوية العامة منازل، ليس رغباً في الحصول على شهادة، وانما لأجل إرضاء المجتمع الذي يقيم البشر بشهاداتهم وثرواتهم

تحاورنا وتجادلنا لبعض الوقت، وأصابتني دهشة وحيرة عارمة، عندما أصر الشيخ خالد على ان تكون أول عملية مسلحة، هي الهجوم على دكان جواهرجي مسيحي، وبثمن الذهب الذي نبيع به غنائم الهجوم نشتري سلاح، اعترضت بشدة على تلك الفكرة

كان اعتراضي مبني على أسباب منطقية عقلانية : لماذا الاصرار على ان يكون مسيحي، ولماذا لا نهاجم جواهرجي مسلم، اللهم إذا كنا مجرد لصوص تبحث عن عذر ومبرر تدافع به عن نفسها أمام ربها، ولماذا لا نهاجم بنكا وهو ملك للدولة وبذلك لن نضر مواطن سواء مسلم أو مسيحي فيكرهنا الشعب، وبالهجوم على بنك سننال عطف المواطنين الخفي، وشماتتهم في النظام الذي سنهاجمه، وهذا افضل من ايذاء ونهب اموال المواطنين، سواء مسلمين أو اقباط؛ و لماذا نسرق بنكا أو جواهرجيا من اجل شراء أسلحة تساعدنا على مقارعة جنود مبارك وأعوانه؟!، أليس الأجدى أن نهاجم نقاط حراستهم وأهدافهم الضعيفة بغتة؟!، ونحصل على أسلحتهم بالخداع والحيلة، وبهذا نكون قد حصلنا على السلاح اللازم لشن هجمات قوية وفعالة على أهداف أقوى

غزت عقلي الشكوك بسبب اصرار الشيخ خالد على رأيه، وتسفيه ردودي واعتراضاتي، صار عدائيا معي دون سواي، رغم أني لم أسفه اقتراحه ولم اتهمه بأي تهمة، كل ما فعلته هو طرح أفكار عقلانية بأدب ولطف، مع تزايد حدة انتقاده لشخصي، اضطررت ان أغادر شقته، اقتنع بآرائي «أيمن» طالب الهندسة الملتحي، و«عبد الرحمن» الطبيب البشري الغير ملتحي، وغادرا معي

ظهيرة اليوم التالي أثناء جلوسي في مكتبتي، اقتحم دكاني قوات خاصة تابعة للشرطة وتم اعتقالي بعنف غير مبرر، أركبوني سيارة ميكروباص زرقاء اللون، كانت ضمن حملة مكونة من سبعة سيارات : ناقلة جنود، وثلاث سيارات ربع نقل -البوكس المعتاد-، وميكروباصان، وسيارة نجدة باللون الأبيض، كان مشهدا هزليًا برغم كونه مرعبًا ومفزعًا، سبعة سيارات وعشرات الاشخاص المدججين بالسلاح، للقبض على مواطن أعزل ضعيف البنية، داخل الميكروباص ألبسوا رأسي كيس قماش أسود، وانهالوا عليَ بالضرب والسباب ونعتوني بالإرهابي المجرم

لحظتها وبرغم عجز بصري عن الرؤية، إلا ان بصيرتي أدركت ما خفي على بصري من قبل، كان درس الشيخ عواض بمنزلة شرك أُحْبُولي خبيث لإستفزاز الحاضرين بنفاقه المفضوح لمبارك، وما ان يسقط أحدهم في المصيدة ويمتعض أو يعترض حتى يتم رصده ومراقبته، ثم يأتي دور الشيوخ الذين باعوا أنفسهم للنظام أمثال الشيخ خالد، الذي يتظاهر أولا بتأييد المعترضين، ثم يقوم بخداع المتحمسين للاسلام، الراغبين في اصلاح الأوضاع المقلوبة، ويغرر بهم ويورطهم في هجمات مسلحة يستفيد منها النظام بأساليب عديدة : يتم تخويف الشعب بالارهاب، وينال النظام دعم الغرب سياسيا وماديا بحجة مواجهة الارهاب، ويبرر تدني الأوضاع المعيشية والفقر، للمواطنين، وبذلك يتم تخدير الشعب بذريعة ضياع موارد الدولة في مقاومة الارهاب، ياله من نظام خبيث غادر، وياله من شعب غرير ساذج

في عام ٢٠٠٩م كانت مدونتي على الانترنت المسماة «تلاطيش» قد اصبحت شهيرة جدا بعد أربعة اعوام من اطلاقها، كنت انشر فيها مقالات وتحليلات غاية في السداد والعمق، بشهادة تعليقات كثيرة من الزوار، حينها كان مصدر الدخل الوحيد المتاح لي هو اعلانات انشرها في الصحف المبوبة، عن نشاطي في برمجة أجهزة الرسيفر وفك شفرات القنوات، لجأت لتلك الوسيلة العجيبة لإكتساب الرزق بعد ان انهالت علي رأسي في مكتبتي قضايا عجيبة، لمخالفات إدارية اختلقها النظام، احداها قضية تهرب ضريبي، بعد أن أطلقوا سراحي منتصف فبراير ٢٠٠١م أفلسني النظام ممثل في خنازير أمن دولته، أغلقت مكتبتي بعد ان بعت محتوياتها من الكتب بثمن بخس لصاحب

مكتبة بوسط مدينة بنها، دفع فيها أقل من ربع ثمنها

قبل نهاية ديسمبر عام ٢٠٠٩ هاتفني زبون، استدعاني إلى شقته ذات الدورين بشارع معز الدولة بمدينة نصر، لكي اعيد برمجة أحد أجهزة استقبال القنوات الفضائية العديدة بالشقة، كنت حينئذ ولازلت أقيم بالقاهرة، اللوحة الصغيرة على باب الشقة كان مكتوب عليها، «عادل موسى» عميد بالقوات المسلحة، هكذا دون تحديد للسلاح التابع له، خلال قيامي بضبط وبرمجة الريسيفر، كان عادل موسى يثرثر معي في مواضيع سياسية متنوعة، نسيت ان أخبركم انني اعتقلت وعذبت مرتان، الأولى في ديسمبر عام ٢٠٠٠، عقب اكتشافي لخبث وفساد طوية الشيخ خالد، والثانية في منتصف سبتمبر عام ٢٠٠٩، بعد قيامي بمشاركة بعض المدونين والسياسيين في كسر حصار غزة، بتهريب دقيق وزيت وأرز وصلصة وغيرها من المواد الغذائية عبر الأنفاق في مدينة رفح المصرية

بعد إطلاق سراحي في اكتوبر عام ٢٠٠٩ قامت الأجهزة الأمنية بزيادة إحكام حصارها علي ومنعتني من العمل بإستثناء مرات قليلة، حوصرت تماما في رزقي الذي صار بأيدي أعدائي وهم أعداء مصر، لكن هذه قصة تفاصيلها طويلة سأرويها لكم ذات يوم

بعد ان سدت ابواب الرزق في وجهي، حتى بعد ان استغليت خبراتي في التعامل مع الرسيفر، وطورت معلوماتي وخبراتي بقراءة العديد من المقالات والشروحات، المنشورة على منتديات ومواقع الانترنت العربية والاجنبية، واعلنت عن نفسي في الصحف الاعلانية، كانت الأجهزة الأمنية تقوم بمنع الاتصالات من الوصول لهاتفي

ذات يوم في بداية ديسمبر ٢٠٠٩ ذهبت لزيارة شقيقي الاصغر في شقة أمي اللدود، أخبرني شقيقي بأنه حاول مهاتفتي مرات لا تحصى دون جدوى، الشبكة تخبره دوما بأن هاتفي مغلق، تحريت الأمر بنفسي، وتأكدت مما يحدث، طلبت منه أن يتصل بهاتفي واستمعت لرد الرسالة كما أخبرني اخي، رغم ان الهاتف كان غير مغلق كما أراه بأم عيني، وبعد خروجي من عندهم اتصلت برقم هاتفي من كابينة رينجو، واستمعت لنفس الرسالة المسجلة من الشبكة تعلنني بأن الهاتف مغلق، بالرغم من اني

كنت أمسك الموبايل في يدي، وأرى شاشته تعمل، وعلامات الشبكة مكتملة أي ان ارسالها قوي، اختبرت رقم هاتفي عدة مرات على مدار أيام كثيرة من أماكن مختلفة، وتكرر سماعي للرسالة ذاتها، «الهاتف الذي تحاول الإتصال به مغلق أو خارج نطاق التغطية برجاء معاودة الاتصال في وقت لاحق»، حينها كانت الأجهزة الأمنية تعيد تشغيل خط هاتفي، فقط عندما تكلف بعض اتباعها بالاتصال بي بين الفينة والاخرى، للاستعانة بخدماتي في اعادة برمجة ترددات القنوات، ربما رغبة من تلك الأجهزة بمحاورتي وسبر أغوار نفسي، وربما لأسباب أجهلها، داخل شقة العميد «عادل موسى» شاهدت ابنته «سارنور» للمرة الأولى والأخيرة، هاتفتني بعد ذلك مرارا وتكرارا وبالطبع لم تعترف بشخصيتها، لكني عرفتها من حرف الغين المميز في نطقها للكلام بلهجة لا تنسى بسهولة، كانت لهجتها مشوبة بلكنة لبنانية، هي فتاة رائعة الحسن واناقتها ملفتة للنظر، تتصرف وترتدي ملابسها كما لو كانت شاب وليس فتاة، حتى شعرها صففته كالرجال، خمنت انها شاذة جنسياً

تعجب العميد «عادل» من ضياع معظم ترددات القنوات على الريسيفر، برغم إغلاقه للشقة، قبيل سفرة مع أسرته إلى فرنسا منذ سبعة أشهر، أعلمته أن القنوات الفضائية، أحيانا تقوم بتغيير تردداتها، ولهذا لم تعمل أغلب القنوات على الريسيفر، علمت منه انه يعمل ملحق عسكري في فرنسا، وانه حصل على اجازة شهر وعاد مع أسرته لزيارة الأهل والمعارف، حتى لا يحضر اعياد الكريسماس بصخبها ومجونها في باريس

وكما لو كان يختصني بمعلومة خطيرة، باح لي العميد «عادل» بحادثة رهيبة تعرض لها «جمال» إبن الرئيس «مبارك»، ترتب على تلك الحادثة فضيحة قاصمة حولت جمال إلى كائن مشوه، بسبب تضرر تام حدث في منطقة الحوض وفقد جمال رجولته بعد الحادث المؤلم، في البداية تعجبت في نفسي عن اسباب تمرير هذا السر الخطير لشخص مغضوب عليه مثلي، وبديهي أني سأنشر السر على مدونتي، التي أمارس فيها الخطة التي علمها لي أبي ذات يوم واسميتها «أرزع . وأرجع أرأع»، والتي أقوم فيها بتكرار الهجوم على العدو القوي مهما كانت الخسائر التي تصيبني، كان تحليلي الوحيد لتصرف العميد

عادل معي وتسريبه لذاك السر العجيب، هو ان العسكريين كارهون أو معارضون، لمخطط توريث الحكم بعد «مبارك» لإبنه «جمال»، كانت الحكاية التي رواها لي العميد عادل، بذرة ونواة بدائية جيدة قد تساعدني في مهمتي المقدسة بإثارة الشارع المصري ودفع الشعب لمقاومة وتغيير النظام الرابض على أنفاس مصر منذ سنوات طوال، لكن كان ينقص تلك النواة الفضائحية الكثير من التفاصيل، وتخلوا تماما من الابعاد الإنسانية

أنضجت البذرة في عقلي بعد ان عدت لمنزلي، كتبت مقال عن تلك الحادثة أثريته بتفاصيل واقعية توصلت إليها بالتفكير، كما أضفت البعد الإنساني والأحاسيس لتلك الحكاية، نشرت المقال على مدونة «تلاطيش» فإنتشر على الانترنت انتشار النار في الهشيم، تناوله الكثير اما بالتأييد والاقتناع واما بالتشكيك والرفض، وبغض النظر عن التأييد والتشكيك، الانتشار الساحق للحكاية كان بمنزلة ضربة مؤلمة لمبارك ونظامه، كان الأغلبية من القراء يعلقون على المقال بتلك الحكمة الشعبية العبقرية الرائعة "مفيش دخان من غير نار"، بينما أنا كنت استخدم تكتيك الحكمة الشعبية الأكثر من عبقرية (العيار اللي ميصيبش يدوش)

ومع ذلك كانت وقتها الشكوك والظنون تمرح داخل رأسي بدأب، ارتبت في مصداقية ذاك السر الخطير، الذي اختصني به العميد «عادل موسى»، الذي كنت متيقنا بأنه يعمل في احدى الأجهزة الاستخباراتية العديدة في مصر



١٣

الاِسْمُ السَّادِسُ: قَائِدٌ عَسْكَرِيٌّ

الدَّاهِيَةُ يَنْتَفِعُ مِنْ كُلِّ الأَحْدَاثِ، بِمَا فِيهَا المَصَائِبُ، وَيُحَوِّلُهَا لِصَالِحِهِ

رسخ في وجدان المصريون صورة مغلوطة لشخصية رجل المخابرات، فهم يتوهمون أن ضابط المخابرات يماثل شخصية العميل «٠٠٧» الشهير بجيمس بوند، يقضى أوقاته في مطارد الأعداء وقتلهم واعتقالهم، لكن واقع الحال معاكس لما انغرز واستقر في أذهان الناس، أنا شخصيا لم أحمل طبنجتي بعد تسلمي لعملي في المخابرات الرئاسية منذ اثنين وعشرين عامًا، وبالرغم من مكانتي البارزة الآن في المخابرات العسكرية التي أشغل فيها منصب مدير فرع التحقيقات، لكني مع ذلك لا أحمل أي سلاح

الشيء الذي لا يعلمه الناس هو أن عملنا يعتمد في المقام الأول والأخير على العقل، فالتباهي بالقوة هو سلوك الشباب الغر المختال بنفسه، ضابط المخابرات المحنك لابد أن يكون حازم رزين رصين وقور، لماذا نتسلح ورهن إشارتنا مئات الآلاف من الجنود المدججين بجميع انواع الأسلحة الفتاكة، ثم إن الطبنجة تافهة إذا ما قورنت بنفوذنا اللانهائي، بالإضافة إلى أن المشاركة في كل الأحداث دون سلاح، يسبغ على ضابط المخابرات هالة اسطورية بين أعوانه، إذ يخشونه كما لو كان مسلحًا بسلاح غامض مهلك

ضابط المخابرات، أو الاستخباراتي الناجح، نادرًا ما يلجأ للقوة في التعامل مع أعدائه، لماذا تجهد نفسك في قتال أعدائك بينما بإمكانك ان تجعلهم يهلكون أنفسهم بأيديهم، بعدما نرصد عدو سواء كان فرد أو شرزمة أو عصبة، يكون خيارنا الأول هو ان نتلاعب بهذا العدو، ولا نلجأ للقوة إلا إذا فشلنا في تضليل أو اختراق العدو وتوجيهه لتحقيق اهدافنا، وعندما نضطر إلى استخدام القوة لا نتورط في عملية التنفيذ وتوابعها، محال أن نشارك بالاقتحام والهجوم لكي نقتل ونأسر الأعداء، حسبنا الاشراف من علو

على المعركة وادارتها من شاهق، وبهذا يزداد سمو شموخنا، ونتفاقم مكانتنا وأبهتنا في قلوب وعيون جنودنا وأعواننا، وتتجذر هيبتنا ووقارنا في أعماق نفوسهم

بالطبع نستخدم أساليب متنوعة للسيطرة على الخصم ودفعه في المسار المطلوب، منها المراقبة والحصار والتعذيب بالطبع، لكن الاستخباراتي الأريب يستخدم أساليب وإستراتيجيات ناعمة وتأثيرها في غاية القوة أهمها : نقاط التلاقي، والحرمان، والنقائص

نقاط التلاقي هو ان نستغل أي غاية أو هدف نتشاركه مع الخصم، وندعمه كي يحقق تلك الغاية لننتفع من جهوده، استخدمنا هذه الاستراتيجية مع «رامي ضرغام» وغيره، أيضًا نستفيد من حالة الحرمان التي يعاني منها الخصم المستهدف، وقد استخدمنا هذه الاستراتيجية مع المذيعة المغمورة «تهاني القماش»، التي حققنا لها احلامها في الشهرة والثروة، نفذنا تلك الاستراتيجية مرارا وتكرارا على كثير من الاعلاميين المغمورين، الذين صعدناهم على شاشات الفضائيات، وصفحات الصحف، ومواقع الانترنت، بعد تنحي مبارك، أما النقائص التي نرصدها ونوثقها على المستهدف، فنستخدمها للضغط عليه كما فعلنا مع الناشطة «زهرة الهلالي»، التي كانت بعد طلاقها وعودتها لشقة أبيها قد انزلقت في علاقة جنسية محرمة، مع أبيها شاعر الربابة «مخيمر الهلالي»، وقد سيطرنا على زهرة وأبيها، لم يكن أمامهم سوى ان يعملا لصالحنا، خشيا أن نفضح تلك العلاقة ونزلزل صورتهما في عيون الناس، بنشر الثلاثة فيديوهات، التي صورتها لهم سرًا منذ بضع سنوات، وحدة تقنية من وحدات مباحث أمن الدولة

وبالطبع يمكن تنفيذ أكثر من استراتيجية على المستهدف، على سبيل المثال خلال فوران أحداث ٢٥ يناير، استخدمنا الأساليب الثلاثة على الاخوان والسلفيين، لكي نتمكن من تحقيق هدفنا بعرقلة المد الشعبي الغاضب، ومنعه من زلزلة وهدم أركان النظام الحاكم بأكمله، كان الاخوان والاسلاميين عامة يكرهون مبارك ونحن لا نكرهه، ولكن كانت تجمعنا بهم رغبة في إفشال مشروع مبارك لتوريث ولده، وهذه نقطة التلاقي، وكان الإخوان والإسلاميين يعانون من التهميش السياسي، وهنا كان الحرمان، أضف لذلك اننا كنا محيطين بكل زلاتهم ونقائصهم ومثالبهم التي تمكنت أمن الدولة من توثيقها ليوم الحاجة، وهذه هي النقائص

وسأوضح لكم الآن تفاصيل تلك الاستراتيجيات الثلاثة ، حدث منذ بضعة أعوام وأثناء قضاء أجازتي المعتادة خلال رأس السنة في مصر، هاتفني صديقي وابن خالتي «كريم سليمان»، وكنا آنذاك أنا وهو على رتبة عميد، أنا في المخابرات الرئاسية التابعة شكليًا للحرس الجمهوري والجيش، وهو في أمن الدولة التابع شكليًا للداخلية، هنأني «كريم» بسلامة الوصول لمصر، وتمنى لي أجازة سعيدة، ثم طلب مني التعامل والاتصال بمدون معارض لمبارك، ومناقشة أفكاره وآراءه، ودحضها خلال لقائي معه، اتصلت بالمدون، اسمه «رامي ضرغام»، قبل مهاتفتي له، قرأت مدونته المسماة تلاطيش لم يعجبني مضمون المقالات رغم أسلوبه الرائع في الكتابة بعامية مضفرة في فصحى ببراعه لم أراها من قبل، تسللت لنفسي مشاعر التقدير والاندهاش من فصاحته وكياسته وفطنته وشجاعته، لكن الاعجاب شيء والتأييد شيء آخر، لست مؤيدا لأفكاره التي تهدم دولة بأكملها، بتحريض وتأليب المواطنين على نظام حكمهم الراسخ المتين، هاتفت المدون بعد ان بعث لي كريم رسالة قصيرة بها أرقام هواتفه، أخبرت رامي بأني قرأت اعلانه في الصحيفة الاعلانية، وان جهاز استقبال القنوات الفضائية في شقتي يحتاج لإعادة ضبط تردداته، حضر إلى شقتي في الموعد المتفق عليه، وبالفعل كان محترفا، وأعاد ضبط وبرمجة كل القنوات ببراعة وفي وقت قصير، كانت القنوات قد اختفت من الريسيفر بأيدي فني صيانة، أرسله لي كريم قبيل حضور رامي بساعات قليلة

خلال اصلاحه للريسيفر تحاورت مع رامي، ازداد اعجابي به، لكنه لازال خصمي، لم أقابل شخصية مماثلة لهذا الشاب، داهية متمكن، وراسخ متزن، وشجاع حازم، ومرح وقور، لعمري لو كان «رامي ضرغام» ضابط مخابرات، لصار أنجب وأنجح استخباراتي في الدنيا بأسرها، لكن كما ذكرت سابقًا، شتان بين الاعجاب وبين التأييد والموالاة، يفصل بينهما بون شاسع وهوة سحيقة

سبق أن أخبرتكم بعظيم توقيري واحترامي وتقديري للرئيس مبارك، لكني ككل العسكريين في مصر لم نكن نوافق على تصعيد نجله جمال لكي يرث الحكم، معظم العسكريين في مصر يكاد يكونوا متفقين على رفض تولي شخص مدني لمنصب الرئاسة، تلك عقيدة ثابتة لا نتزحزح عنها مهما كان الثمن، مستحيل أن يؤدي ضابط جيش التحية

لشخص مدني، لهذا استغليت فرصة حديثي مع رامي ضرغام وسربت له معلومات تلوث وتدمر سمعة جمال مبارك، ولا يعني هذا بأي حال من الأحوال إستصغاري لمبارك أو هوانه على نفسي، هو فقط طعن في السن وزاغت بصيرته وطاشت حكمته

في اليوم التالي قرأت على مدونة تلاطيش مقالة رائعة عن حادثة ابن مبارك، دبجها وسطرها رامي بعامية فصيحة وباسلوب شيق جذاب

عصر ذاك اليوم تلقيت إتصال تليفوني من ابن خالتي كريم سليمان، استقبح واستبشع ما أنبأته لرامي، تظاهرت بأني لم أفهم مقصد كريم، فطلب مني قراءة آخر موضوع في مدونة تلاطيش التي يحررها المدون رامي الذي استقبلته في منزلي بالأمس، أنبأني كريم بمحتوى المقال بما فيه من تشويه فاحش ذميم لسمعة جمال مبارك، أظهرت دهشتي لما يرويه كريم، وأخبرته بأن هذه هي المرة الأولى التي اسمع فيها مثل هذا الهراء الذي نشره رامي، أرغيت وأزبدت ولعنت رامي ضرغام، وتعجبت لكريم متسائلًا عن اسباب إغفال وإهمال القبض على رامي وتركه حرًا طليقًا، رغم قيام مباحث أمن الدولة بمتابعته ومراقبته ليل نهار، برر كريم ترك رامي حرا دون اعتقال بأسباب لم تكن غائبة عني، عذبوه كثيرًا دون ان يظهر لهم أي انكسار أو خضوع، هددوه بأهله فرحب بتعذيبهم كما لو كانوا أعدائه لا أقاربه، هددوه بالإغتصاب فألجمهم بدهاء وشجاعة وبجاحة لم تخطر على عقولهم، أجبروه على مشاهدة مجريات التحقيق مع الفلسطيني يوسف أبو زهرى، شقيق سامي أبو زهرى، المتحدث الرسمي لحكومة حماس في غزة، لفظ الفلسطيني يوسف أنفاسه تحت وطأة شدة التحقيق أمام بصر رامي، الذي لم تختلج جفونه خلال مشاهدة كل تلك الفظائع، كان رامي ثابت الجنان بشكل لم يعهدوه في أمن الدولة أو المخابرات من قبل، سجنوا رامي في قبر فرفض تناول طعامه كي يفشل مسعاهم بإذلاله

ذاك الـ«رامي ضرغام» نسيج وحده، ربما كان كلامه صحيحا عندما قال للمحققين الذين يستجوبونه كما علمت من كريم «ربنا خلقني مخصوص بالصفات والمميزات دي عشان الكفرة أمثالكم يعرفوا حجمهم الحقيقي، اخْسَئُوا فِيهَا ولن تعدوا أقداركم»

تبين لهم أنه غير قابل للكسر، وان دفعه للانهيار أو الجنون دونه خرط القتاد، لم يكن أمامهم سوى أن يقتلوه، أو يطلقوا سراحه، ويخضعوه لرقابة تامة وحصار مستديم،

على أمل أن يدفعوه للجنون أو الانتحار، بالطبع إغتيال وإستئصال رامي لم يكن ليشفي غيظهم ويزيل سخطهم بعد ان فشلوا في اذلاله وكسر ارادته، كان هدفهم من إطلاق سراح رامي هو معاقبته خفية من وراء ستار كثيف، قصة رامي كانت ولازالت مشهورة جدا في مسامرات العاملين بالأجهزة الأمنية داخل اجتماعات مجمع حكماء مصر

مراقبة وحصار رامي كان محاولة طفولية للانتقام لكرامتهم المهدرة تحت أقدام رامي الراسخة المتجذرة. الغيظ والحنق والكيد كان دافعهم لتنفيذ استراتيجية الحصار المكلفة المنهكة مقارنة بالقتل السهل، أعترف لكم بأني لم ألتقي طوال سنوات خدمتي بشخصية كشخصية رامي ضرغام، ولكن أعلم بأن أمثال تلك الشخصية موجودة بشكل نادر، العالم الروسي بافلوف اكتشفها قبل قرن من الزمان

من ضمن تجاربه المتنوعة، قام العالم الروسي بافلوف [٢٣] ، بإجراء تجربة على مجموعة من الكلاب بهدف دراسة ردود الافعال على التعذيب الشديد، أغلب الكلاب استقبلت التعذيب بسلبية تامة، وكبتت كل انفعالاتها واذعنت تماماً، بالطبع اختلفت توقيتات استسلامهم، أغلبهم استسلم مبكرا على مرحلتين أثناء لحظات التعذيب الأولى وقد صنفهم بافلوف تحت تصنيفان هما، «الوديع» و«الهاديء»»، تأخر صنف ثالث في الاستسلام وأظهر عدوانية تجاه القائمين على تعذيبه، لكن في نهاية المطاف استسلم وأذعن كالصنفين المذكورين سابقا، أطلق بافلوف على هذا الصنف، «الحاد الدموي»»، في تجربة اخرى رغم نجاح بافلوف في السيطرة على كل الكلاب، إلا انه ظهر له صنف رابع لم يستسلم مطلقًا واستمر يزمجر بأنيابه وينبح بوحشية على معذبيه، وكلما زادوا من تعذيبه ازدادت وحشيته وعدائيته، فشلت كل محاولات اجبار الكلب على الاستسلام والاذعان، أطلق بافلوف عليه تصنيف، «الناري»»، لم يسيطروا على هذا الكلب العنيد سوى بتخديره بعقار الدوبامين، في تجارب بافلوف اللاحقة، كان يقوم بدارسة سلوكيات

---

٢٣ ولد إيفان بتروفيتش بافلوف عام ١٨٤٩ وتوفى عام ١٩٣٦، إشتهر بولعه وشغفه بالابحاث العلمية، وفي مستهل حياته أجرى دراسات على عملية الهضم عند الكلاب، ثم توالت ابحاثه على الكلاب بغرض دراسة ردود افعالها، وضع نظرية الاستجابة الشّرطية التي نالت تقدير العلماء، ابحاث بافلوف على الكلاب تعد الأساس العلمي لدراسات علم النفس الماّدي، نال بافلوف جائزة نوبل عام ١٩٠٤، العديد من علماء الغرب اتهموا بافلوف بالسادية

الكلاب قبل تعريضها للتعذيب، لكي يتعرف على نوعية النفوس القابلة للانهيار، ونوعية النفوس المقاومة للانهيار، ونوعية النفوس الغير قابلة للانهيار، تبين لبافلوف [٢٤] ان جميع النوعيات تذعن بتفاوت في سرعة الاستسلام، ولاحظ ان الكلاب الشرسة المؤذية لأقرانها يكون انهيارها غالبا أسرع من سواها، كما لاحظ ان النوعية الغير قابل للانهيار لا تظهر إلا من وسط الكلاب المرحة الودودة النشيطة، لكن هذا لا يتعارض مع حقيقة ان الأغلبية من هذه النوعية انهارت بعد دقائق من التعذيب، واذعنت صاغرة دون ابداء اي مقاومة، أرجع بافلوف الأمر إلى ان النوعية النارية الرافضة للاذعان تميل لإستخدام كروموزوماتها الدفينة في اعماقها، وتستدعي ردود افعال الذئاب، أسلافها القديمة

وبحسب أبحاث تعذيب الكلاب التي أجراها بافلوف، فشخصية رامي تكاد تتشابه مع ردود افعال الذئاب، فقد رفض بثبات عجيب أن يستسلم وينهار ويذعن للأقوى بعد كل ما تعرض له من إيذاء، وبادلهم عدائهم بعداء لا يكل ولا يمل، وعلى الرغم من شخصيته القوية وصلابته، لكني طبقت على رامي استراتيجية نقطة التلاقي ونجحت في استغلاله بدهاء، وحققت أهدافي بسلاسة متناهية، وجعلته يشوه صورة جمال مبارك بين الشعب، طبقنا أَيضًا استراتيجية نقطة التلاقي على الشعب المصري بأكمله عندما دفعناهم للثورة على الاخوان يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣، كما شاهدت أو ربما تكون قد شاركت بنفسك مع الأعداد الهائلة التي كانت لا تدري بأنها مجرد دمى نحركها

٢٤ بعد نجاح الثورة البلشفية عام ١٩١٧ وتولي فلاديمير لينين مقاليد السلطة واجهته مشاكل كثيرة في اقناع جموع الشعب بدعم الدولة السوفيتية، قام لينين بدعوة بافلوف إلى الكريملين وطلب مساعدته، سبب الاستعانة ببافلوف تحديدا هو شهرة ابحاثه وتجاربه على ردود الافعال الشرطية، كانت تجاربه كلها على الكلاب، اعاد تصميم سلوكهم الغير واعي من خلال عدة انواع من المحفزات، وقام بقياس ودراسة مختلف النشاطات العضوية والنفسية لدى الكلاب، أثناء وبعد تعريضهم للاجهاد البدني، كان هدف لينين هو الاستعانة بابحاث بافلوف للسيطرة على عقول الشعب، وتطويع ارادته، أجرى بافلوف ابحاث جديدة ودبج تقرير بعد ثلاثة شهور أهداه إلى لينين، استفادت روسيا من تلك الابحاث وطبقتها على معارضين النظام، بعد عدة سنوات تبعها كل دول العالم تدريجيا، بافلوف القيصري عدو الثورة البلشفية لم يعترض على تطبيق ابحاثه على الإنسان، وقد كرمه لينين. جوزيف ستالين خليفة لينين استفاد من الابحاث، وأثناء ما سمي «عملية موسكو»، جرت محاكمات لمنافسي ستالين من قادة الحزب الشيوعي، وجهت لهم تهم ملفقة، نتيجة التعذيب قال ادوارد هولتزمان أحد المتهمين في المحكمة «نحن لسنا قتلة فقط، وانما قتلة فاشيست»، متهم اخر طلب من القاضي السماح له بإطلاق النار على رفاقه المتهمين، ومن بينهم زوجته، في حين ان البعض الاخر طالبوا القاضي بأن يحكم عليهم بأقصى العقوبات، وشكروه بحرارة عندما حكم عليهم بالموت.

بخيوط خفية

أَيضًا بدهائنا المعهود استغللنا الاخوان لعرقلة الثورة، مؤكد انكم لا تعلمون ان الدَّاهِيَةُ يَنْتَفِـعُ مِنْ كُلِّ الأَحْدَاثِ، بِمَا فِيهَا المَصَائِبُ، وَيُحَوِّلُهَا لِصَالِحِهِ، حينما تداعت وانهارت الشرطة المصرية وفقد مبارك ذراعه الباطشة، كانت تلك ضربة قاصمة للنظام، لكن بدهاء ومكر استطعنا الاستفادة من تلك الكارثة وانتفعنا بها، وها نحن عدنا من جديد بعد ان جعلنا الشعب لا يكره الثورة وحسب، بل صار يبغض مجرد التفكير في التغيير، اتذكر الآن تلك الحكمة الرائعة، التي علمني اياها استاذنا الاعظم «داوود سرحان»، يوم ٨ فبراير ٢٠١١ عقب انتهاء اجتماعنا للتشاور في مرحلة ما بعد مبارك التي سنضطر فيها للاستعانة بالاخوان، الذين كنت اخشى الاستعانة بهم لوأد مظاهرات يناير ٢٠١١م، فقال لي داوود

- يا عادل إذا أردت الظفر والنصر على عدوك أو فريستك بسهولة، فليس أمامك حل سوى أن تخدعها وتتظاهر بأنك أغبى منها وتقنعها بدهائها الاسطوري

وهذا ما فعلناه في الاخوان في البدء خدعناهم كما يخدع الصياد فريسته وتظاهرنا بأننا أغبى وأضعف منهم، ثم سحقناهم كما شاهدتوا بأنفسكم

إنتهزنا زوال سطوة مبارك الذي فقد ذراعه الباطشة ممثلة في الشرطة، ولا مفر من الاعتراف بأن الظروف القاسية التي تلت انهيار الشرطة ساعدتنا كثيرا، استغللنا تلك الظروف وضغطنا بنعومة ورفق على مبارك، لكي ندفعه لوداع ومفارقة حلمه بتوريث ابنه جمال، استقطبنا الاخوان المحرومين من السلطة، وعدناهم ومنيناهم بالحكم، وعندما خلقنا ظروف مواتية اغتنمناها، وعدنا لكراسي الحكم مجددًا

اما استراتيجية الحرمان فهي من أنجح الاستراتيجيات المخابراتية، توسعنا في تطبيقها بعد وكسة يناير، أثناء أحداث يناير احترقت وجوه أغلب الاعلاميين في مصر، وهنا ظهر احتياجنا لوجوه جديدة، من يعاني من الحرمان لديه استعداد كبير للعبودية المطلقة والطاعة العمياء نظير اشباع رغباته

بمعاونة « كريم سليمان» وزوجته المذيعة «رنا وجدي» اشرفت شخصيا على استقطاب

تهاني القماش ودفعها للعمل معنا، حيزبون متصابية، علاقاتها الجنسية لا تعد ولا تحصى، وقد صورت الوحدات الفنية بأمن الوطن فيديوهات فضائحية عديدة لتهاني مع عشاقها، لم نحبذ استخدام أسلوب الضغط بالنقائص معها

الترغيب أجدى مع اماني من الترهيب، فأمثالها لا تخيفهم الفضائح، كانت مجرد مذيعة ربط نكرة لا يعرف المشاهدين اسمها وليس لديها ما تخسره، وعدناها بالشهرة والثروة فإستجابت دون تردد، زرعناها في وسط المتمردين المخربين، نجحت في أداء مهامها بكفاءة منقطعة النظير، كافئناها وجزيناها خير الجزاء، اليوم أصبحت تمتلك برنامجها الخاص، تعاقد معها رجلنا المخلص «وديع برسوم»، بعقد قيمته خمسة عشر مليون جنية سنويا، مقابل تقديمها لبرنامج حواري عبارة عن «لت وعجن» وثَرْثَرَة لا طائل من ورائها سوى بلبلة وتضليل المشاهدين، وفي منتصف برنامجها يتم استضافة أحد رجالنا المكلفين بتطهير وتنقية أفكار المواطنين، صارت تهاني اليوم تمتلك فيلا في التجمع الخامس وقد أوشكت على تشطيبها والانتقال إليها من شقتها القديمة في مدينة نصر

اما إستراتيجية النقائص فهي تقريباً أهم وأخطر إستراتيجية إستخباراتية، نقوم باستغلال نقيصة موثقة على المستهدف ونهدده بفضحه على الملأ، فيضطر مجبراً للتعاون معنا، صحيح أغلب المتعاونين بإستخدام هذا الأسلوب لا يعملون معنا بحماس كما يفعل سواهم ممن تم استقطابهم باحدى الوسائل الأخرى، لكن بعضهم يتعاون معنا بحماس متناهي، زهرة الهلالي وأبيها مخيمر الهلالي على سبيل المثال كانا يقومان بتنفيذ كافة مطالبنا باخلاص نادر، لهذا كافئناهم بإسباغ المال عليهم

بالطبع زملائنا ضباط أمن الدولة لهم علينا أفضال كبيرة في تحقيق وإنجاح معظم استراتيجياتنا وأهدافنا، حيث أمدونا وأطلعونا على كافة التقارير والتحريات التي قاموا بها قبل وكسة يناير، لكنهم لم يتعاونوا معنا من تلقاء أنفسهم وإنما أجبرناهم على التعاون

في شهر مارس ٢٠١١م كلفنا عملائنا ومخبرينا المندسين في التحرير وعلى الفيس بوك بحشد الناس، ومحاصرة مقرات أمن الدولة، انخدع بتلك الدعوات الكثير من المتمردين المخربين، وحشدوا الناس مع عملائنا بحماس متناهي، استجاب لتلك الدعوات آلاف من المصريين، خاصة في القاهرة والاسكندرية والمنصورة والشرقية والسويس،

حاصروا مقرات أمن الدولة وحاولوا اقتحامها، تحركت قوات من الجيش واستلمت مقرات أمن الدولة، واعتقلت الضباط لحمايتهم من بطش الجموع الغاضبة، بعد القبض على ضباط أمن الدولة أصبحوا لعبة بأيدينا، خاصة بعد ان اعتقلنا مديرهم وكبار معاونيه ومنهم ابن خالتي كريم استعدادا لمحاكمتهم، كانت بالطبع محاكمة صورية، الهدف منها هو دفعهم للاستسلام والتعاون التام مع النظام الجديد الذي أزمعنا تشييده، استغللت نفوذي وأطلقت سراح كريم ابن خالتي وعاد لمنصبه دون أن يخضع لتلك المحاكمة الوهمية التي اكتفينا فيها بمدير الجهاز وبعض مساعديه وأعوانه الغير مؤثرين، فيما بعد حصلوا جميعا على البراءة من جميع التهم الهزيلة التي نسبت اليهم دون اي دليل سوى القال والقيل

سبحان من له الدوام، زالت دولة أمن الدولة وقامت دولتنا، نفذنا عملية حصار مقراتهم لعدة أسباب، أهمها بالطبع ان نضع أيدينا على ملفاتهم، ومن ثم نتحكم في كل أركان الدولة، وأيضًا كنا نختبر ولاء الاخوان عندما طلبنا منهم أن لا يشاركوا في هذا الحصار، أطاعونا رغم ماضيهم ومآسيهم ومعاناتهم من قسوة أمن الدولة، ثم أخيرا كنت وأغلب قادة الجيش نريد ان نرتقي بمكانتنا داخل مجمع «حكماء مصر»، وقتها كانت ولازلت منزلة «كريم سليمان» أعلى من منزلتي داخل مجمع «حكماء مصر»، لازال يفوقني برغم صعود نجمنا وأفول نجم أمن الدولة، ألم أحدثكم من قبل عن مجمع «حكماء مصر» هذا الصرح الخطير الذي يحكم مصر من خلف ستار سميك

دعوني أحكي لكم ما حدث خلال أحداث ٢٥ يناير، بعد سفري لفرنسا مع أسرتي منتصف شهر يناير استدعاني مبارك كما استدعى كل العاملين في الخارج من ضباط المخابرات الرئاسية، تنفيذا لأوامر مبارك قفلت عائدا إلى مصر، لكني رجعت دون أسرتي، هبطت في مطار القاهرة ظهر يوم ١ فبراير، ورابطت مع كل رجال مبارك الاوفياء لمتابعة مجريات وأحداث نكسة ٢٥ يناير، ثم في يوم ٨ فبراير ٢٠١١ تلقيت استدعاء لحضور جلسة إجتماع طارئة في المقر الأعظم لمجمع «حكماء مصر» بمدينة القاهرة الجديدة ويطلق عليه اسم «**The Grand Lodge of Egypt sages**»، داخل قاعة رمسيس «**Ramesses hall**» التي يجتمع فيها مجلس الاساتذة الكبار في

مصر، انقسم الحاضرين على أنفسهم، بين مؤيد لاستمرار مبارك ومعارض، يومها كانت منزلة كريم في المجمع تعلوني بأربعة درجات، وبتوجيه من السيد «داوود سرحان» «السيد الاعظم» لحكماء مصر ، تغلبت كفة العقلاء داخل الجلسة، وتم الاتفاق على رحيل مبارك الذي أظهر بعض العناد في بداية النقاش ثم بعد عدة ساعات تفهم الطرح العقلاني الذي عرضه السيد «داوود سرحان»

وقتئذ تباينت السيناريوهات المطروحة لحد كبير، لكن السيناريو الذي حظى بالاجماع هو الاعتماد على القوة الوحيدة المتبقية من دولة مبارك، كان الجيش هو المعقل الأخير، لكن وقتها لم تكن لدى قادته اخواننا في مجمع «حكماء مصر» سيطرة مطلقة على أغلب ضباطه خاصة ذوي الرتب الصغيرة، لم يكن قادة الجيش أو ضباطه، يرغبون في ان يحلوا مكان الشرطة، ويساعدوا أمن الدولة، بسبب ممارساتهم التعسفية داخل المجتمع المصري، والتي لم تفرق في القمع بين مواطن عادي وبين ضابط أو صف ضابط جيش، وبالتالي كانت مشاعر كره وبغض أمن الدولة هي السائدة داخل الجيش

أما المخابرات العامة برئاسة «عمر سليمان»، فقد رفض كبار قادة الجيش وقتها مجرد التفكير في التعاون معها، كانوا يخشون «عمر سليمان» أكثر من خشيتهم للموت، شخصيته الدموية المرعبة كانت تثير الذعر والفزع والهلع والخوف في نفوس كبار قادة الجيش

لم يتبق سوى المخابرات العسكرية، التي أجمع الحاضرين بالجلسة على تكليفها بتحمل مسؤولية العمليات السرية، بدلا من أمن الدولة والمخابرات المقوتتان من ضباط الجيش، على ان يتم تجاوز ضعف امكانيات المخابرات العسكرية البشرية، وتدني كفائتها بدمج ضباط ووكلاء المخابرات الرئاسية لها، ومعظمهم سبق ان خدم بها من قبل، وأيضًا لتقوية الجهاز الجديد تم تطعيمه وحقنه بعدد كبير من عملاء وضباط المخابرات وأمن الدولة، بشرط ان يعملوا تحت إمرتها

بعد ان تم إلحاق عدد كبير من ضباط ووكلاء المخابرات وأمن الدولة للمخابرات العسكرية، تضاعف حجمها وقدراتها، بعد تنحي مبارك نفذنا خطة لتطهير الجيش، أرسلنا

عدد من صغار ضباطنا إلى التحرير لاستقطاب ضباط الجيش المعارضين للنظام، لم يستجيب لتلك الدعوات سوى شرزمة مشاغبة بعدد أصابع يد واحدة، حاكمناهم مع ضباطنا الذين أرسلناهم للتحرير كنواة تجتذب الضباط المشاغبين في الجيش

بعد فض التحرير فجر ٩ ابريل ٢٠١١ تم رفعي لدرجة أعلى داخل مجمع حكماء مصر، ومن ثم تضائل الفارق بيني وبين اللواء «كريم سليمان» ابن خالتي إلى ثلاثة درجات، وهو عضو في مجلس التسعة عشر حكيما الذي يعقد اجتماعاته داخل قاعة سايتَن شِمحَازي «Satan Shemhazai hall»، لم ادخل تلك القاعة من قبل لكن يوما ما سأرتقي وادخلها، مكانة كريم العظيمه، نالها بسبب الخدمات الجليلة التي قدمها للمجمع، على سبيل المثال «كريم» لديه القدرة على استخدام أقصى درجات القسوة أثناء التحقيق مع مذنب، بينما أنا لم اتورط بإستخدام القسوة سوى مرات قليلة قبل أحداث يناير، خبراتي السابقة كانت المراقبة والمضايقة فقط لاغير، لم اكتسب القدرة على ايذاء المذنبين، إلا بعد تعرض ابنتي «سارنور» نهاية عام ٢٠١٠، لمحاولة اختطاف بغرض الاغتصاب، حدثت تلك الواقعة أثناء قضائي لأجازة رأس السنة في مصر، قبل أحداث ٢٥ يناير بشهر، لم تكن لدي اي خبرة في التحقيقات، فتعلمتها في الشباب الثلاثة الذين اختطفوا ابنتي من أمام فندق شهير بشارع الطيران بمدينة نصر بعد ان غادرت مع صديقتها صالة الديسكوتيك [٢٥] بالفندق

اعتدت الحصول على اجازة لمدة شهر في اعياد رأس السنة والكريسماس منذ ان تم تكليفي بالعمل في فرنسا، وقد وصلت مع أسرتي للقاهرة منتصف ديسمبر ٢٠١٠ كالعادة، بعد خمسة أيام اتفقت سارنور مع صديقتها وانتيمتها «وفاء» لتمضة سهرة في سندباد ديسكوتيك، وامضيتا ليلتهما في الرقص والمرح داخل صالة الديسكو، حميمية العلاقة بين ابنتي وصديقتها أثارت ثلاثة من الشباب أخفقوا طوال السهرة ولم يتمكنوا من التعارف ومصادقة ابنتي وصديقتها، خرجت الفتاتان من صالة الديسكو بالفندق قبيل الفجر بقليل، غادرتا باب الفندق السياحي الشهير، واتجهتا نحو سيارة سارنور المنتظرة في شارع مجاور للفندق، ولم تنتبه الفتاتان للأقدام الأربعة التي تلاحقهما

٢٥ ملهى ليلي تعزف فيه فرقة موسيقى غربية، او يكون فيه دي جيه لتشغيل الاغاني الصاخبة، يرقص ويسكر فية الرجال والنساء طوال الليل وهو مكان للتعارف والترفية

فجأة ظهرت سيارة وانقض الشابان اللذان كانا يلاحقان الفتاتان، بفظاظة حاول الشابان إقناع الفتاتان بالذهاب معهما في سيارة صديقهما الثالث، صرخت وفاء بهستيرية بينما حاولت سارنور الدفاع عن نفسها بضرب الشابان بإستخدام خبراتها في الكاراتية والتايكواندو، تمكن الشابان من إحكام الخناق على عنق سارنور وأجبراها على ركوب السيارة بالقوة، أثناء ذلك كانت صديقتها وفاء قد فرت موليه وجهها نحو الفندق، خلال فرارها كانت تصرخ بفزع وهلع جنوني، الشارع كان خاليا من المارة في هذا الوقت، آثر الخاطفين الاكتفاء بسارنور وهربوا بسيارتهم، لم يطاردوا وفاء، حتى لا يلفتوا أنظار الناس إليهم، خاصة بعد ان أطلت رؤس بعض السكان من النوافذ، رغبة في معرفة مصدر وسبب ذاك الصراخ الهستيري في هذا الوقت المبكر

من أمام الفندق اتصلت وفاء بزوجتي هاتفيا وقصت عليها ما حدث، ايقظتني نهلة من نومتي، بجزع واضطراب وذعر وعيون ممطرة أبلغتني زوجتي بما حدث لابنتي سارنور، هاتفت كريم ابن خالتي لأستعين به هو وضباطه في أمن الدولة، بعد الفجر بقليل كنا نطرق ابواب شقق عمارات الشارع ونستجوب سكان شقق الشارع بأكمله، أخبرنا بعضهم بأنهم شاهدوا سيارة تفر مسرعة بعد سماعهم للصرخات وكانت السيارة لونها نبيتي غامق مماثل للون علبة السجائر الدانهل كما قال أحدهم، لكنهم اختلفوا في تحديد ماركة السيارة، حالة وفاء النفسية كانت سيئة ولم تساعدنا كثيرا، الصدمة أفقدتها القدرة على الانتباه لأرقام السيارة، لكنها تذكرت ملامح وجه أحد الشباب، الذي أمسكها من معصمها لثواني، قبل ان تركل سارنور وجه شريكه في الاعتداء بقدمها، انشغل الشاب بمساعدة زميله الذي كاد يسقط ارضا، وصفع الشاب ابنتي لكي يسيطر عليها، وبالتالي اضطر أن يترك معصم وفاء لثواني، وقد استغلت الفتاة الملتاعة الوجلة الفرصة وفرت متوجهه نحو الفندق

طلبنا من وفاء مرافقتنا لبعض الوقت إلى مقر أمن الدولة، أحضرنا تسجيلات ثلاث كاميرات من الفندق، احداهما كانت على مدخل صالة الديسكو تعرفت وفاء على أحد الشباب الثلاثة في عدة مشاهد من تسجيلات الكاميرات، كما خلال ذلك قد أحضرنا كل العاملين بالديسكو من منازلهم قرابة الثامنة صباحا، تعرف بعضهم على الشباب في

الفيديوهات، علمنا منهم ان أحد الخاطفين تربطه علاقة بفتاة من العاملات بالديسكو، استجوبنا الفتاة المرتعشة وجلا وهلعا، فأخبرتنا بإسم صديقها ومهنته، لكنها لم تكن تعرف عنوان سكنه، فلم تكن تخرج معه إلا في سيارته فقط ولم تذهب لشقته، أخبرتنا الفتاة ان صديقها يعمل محاسب في شركة صرافة بميدان سفير بمصر الجديدة، توصلنا لمعرفة شخصية الشاب قبيل الظهر بقليل بعد ان زرنا مدير الشركة بمنزله وأمدنا بعنوان اقامة الشاب الذي ألقينا القبض عليه داخل شقته وقت آذان صلاة الجمعة، حوالي الثانية بعد الظهر، تمكننا من القبض على شريكاه في منازلهم، حررنا ابنتي من الفيلا التي كان يشرف على تشطيبها أحدهم، ومهنته مهندس ديكور، ثالثهم الفقير الذي كان صديقهم في الدراسة الثانوية، حاصل على معهد تجاري ويسكن في عزبة الهجانة، كان صديقاه يصرفان عليه في الديسكو مقابل اعتمادهم على قوته البدنية وتهوره وخبراته في التعامل مع النساء بعنف واجبارهن بالقوة على تنفيذ رغباته هو وصديقاه

اعلمتني سارنور بما حدث تفصيليا، قائد السيارة التي اختطفوها بداخلها كان المحاسب، الشابان الآخران أجلساها بالمقعد الخلفي وأحاطا بها، قام أحدهم بإخراج عضوه من سرواله، كان زميله المهندس قد تمكن من ثني ولف معصما سارنور خلف ظهرها، وبيد واحدة قبض على المعصمان ليعيق مقاومتها، وباليد الاخرى كان يسيطر على عنقها ويحتضنها من الخلف بقدميه ليمنعها من الانفلات، وضع الآخر عضوه بفم ابنتي عنوة، فصعقت مما يحدث وأصابها اشمئزاز وتقزز، كانت تلك المرة الأولى التي ترى فيها زب رجل على الطبيعة، لم تكن حينها تراه فقط بل أذاقوها اياه بالقوة، شعرت سارنور بغثيان وتقيأت على الشاب وعضوه

وصلوا الى الفيلا وأدخلوا السيارة الى حديقتها المكتظة بالكراكيب والمعدات، وحبسوا سارنور في غرفة تخزين صغيرة أسفل السلم الداخلي بالفيلا، حاولوا اغتصابها لكنهم لم ينجحوا بسبب حالة القرف التي أصابتها، استمرت في تقيأ كل ما أكلته وشربته، وحين صار ما تلفظه دم فقط، خشي الخاطفين تدهور صحتها، وانصرفوا عنها وتركوها تستريح

ذهبوا لمنازلهم لكي ينالوا قسط من النوم، بعد ان اتفقوا على العودة إلى أسيرتهم

عقب صلاة العصر، قبضنا عليهم قبل ان ينالوا راحتهم، أو مرادهم من ابنتي، داخل غرفة من غرف التحقيق في أمن الدولة انتزعت بنفسي زب الشاب الذي آذي به ابنتي وبترته بمقص حدائق، بناء على طلب سارنور الراسخة كأبيها وربما أشد، والتي كانت تشاهد ما نفعله في خاطفيها من خلف زجاج مخصص لمراقبة ما يجري داخل غرفة التحقيق، اما الاثنان الآخران، فنجيا من التحقيق بسبب تحريات كريم عن أسرتهما، كانا من عائلات عريقة وغنية، لم نحقق سوى مع الفتوة التافة، القاطن بمنطقة عزبة الهجانة، أو التبة العشوائية بنهاية شارع مصطفى النحاس بمدينة نصر، أطلقنا سراح الطبيب والمهندس بعد ان احتجزناهم قرابة شهر نالوا خلاله شلالات من الضرب والاذلال والتجويع، بالاضافة لإخفاء مكان اعتقالهم عن اقاربهما

في منتصف ديسمبر ٢٠١١ أي بعد عام أطلقت بنفسي سراح الشاب الذي بترت عضوه، بعد ان تأكدت من اصابته بجنون لا شفاء له، والفضل الأكبر لتوجيهات ومساعدة كريم وضباطه، لم يعود الشاب لبيته قط، بل هام على وجهه في الشوارع، ربما تكونوا قد رأيتموه ذات يوم في شارع حسن المأمون بمدينة نصر الذي ينام حاليا في الجزيرة الوسطى به، إذا صادفتموه في ذاك الشارع سوف تتعرفون عليه من ملابسه القذرة ورائحته العفنة، ولحيته التي طالت وغطت صدره، وهذيانه ولغوه وتعتعته، وجزعه وفراره من البشر، وربما حالفكم الحظ وتشاهدونه وهو يقتات طعامه من صناديق الزبالة التي تتكوم داخلها فضلات المطاعم وباعة الفاكهة في الشارع، حيث يتخلصون من بضائعهم بعد تلفها وفسادها

تلك كانت أولى تجاربي في التحقيق بقسوة، خبراتي قبل تلك الواقعة لم تتجاوز ضرب المذنب بعنف، لكني لم أرق قطرة دم قبل ذلك، بعد نقلي إلى المخابرات العسكرية، عقب أحداث يناير، حققت مع أعداد كبيرة من المذنبين، وأرقت دمائهم

لكن إحقاقاً للحق، لم اصل لتلك المرحلة التي وصل إليها كريم سليمان من اللامبالاة أثناء التحقيق مع مذنب، كثيرا ما تغزوني وتحتل روحي جيوش من الوهن والاشمئزاز أثناء وبعد إجراء تحقيق قاسي مع مذنب، داخل نفسي لم اكن مرتاحا ومتصالحا مع ما أقوم به من تعذيب، ربما هذا هو الفارق الوحيد بيني وبين ابن خالتي كريم، انتظروا لقد

تذكرت، هناك فارق آخر بيني وبينه، أعرف ان الله موجود، كريم مقتنع تمام الاقتناع بأن الكون تكون ونتج بعد انفجار عظيم دون ان يخلقه أحد، ربما هذا هو سبب مكانته العالية داخل مجمع حكماء مصر، كلما كنت محايدا وغير منحازا كلما ارتفعت مكانتك بينهم، لازال بي بعض الانحياز لفكرة وجود إله خالق، وهذا ما يجعلني غير محايد بشكل أو بآخر، بل ويجعلني أضعف نفسيا من كريم وأمثاله، الذين تمكنوا من السيطرة على أنفسهم وتحرروا من كل القيود، لكن لا مفر من الاعتراف بأني لن اكون مثلهم، ربما يكون ايماني بفكرة وجود إله سببا في نجاتي إذا ما قرر هذا الإله ذات يوم ان يحاسبنا

نادرا ما تجد بين كبار الحكماء من يحتفظ بخط رجعة مع الله ويؤمن بوجوده، الأغلبية تؤمن بعدم وجود خالق وعلى رأسهم : ابن خالتي «كريم سليمان»، و«داوود سرحان» «السيد الاعظم» لحكماء مصر، وأيضًا المذيعة اللعوب «تهاني القماش»، التي تطل بوجهها الآن من شاشة التلفزيون بملامحها المثيرة ونظراتها الشبقة، وتؤجج مشاعر الشعب ضد الاخوان، خلال مناقشتها وتحليلها لحادث كمين البرابرة في حلقة برنامجها

أستحيكم عذرا لأن لدي موعد معها الآن، ولهذا سأترككم وأذهب لشقتي القديمة بمدينة نصر، لكي أذوق عسيلة «تهاني القماش» طوال الليل





الاِسْمُ الثَّانِي: مُذِيعَةٌ

المَالُ لَا يَشْتَرِي السَّعَادَةَ، بَلْ تَأْتِي مَعَهُ مَجَّانًا

مُتَّعَ الدُّنْيَا، كَالمَرْأَةِ الفاتنة، يَرْغَبُهَا الجَمِيعُ سِرًّا، وَيَلْعَنُهَا الجَمِيعُ عَلَنًا، ولا أخفي عليكم كلفي وعشقي للرفاهية والرخاء، والنعيم والثراء، والجنس والأناقة، والبهجة والبهاء، وجميع متع الحياة، لم تخطو قدماي يوما على دروب المنافقين المخادعين الذين يخفون رغباتهم، خلف ستائر التواضع المصطنع، والتبتل الزائف، والخشوع المفتعل، رباني أبواي على الصدق، وبرغم وضوحي وسطوعي، إلا ان الكثير من الحقراء يكرهوني، يزعمون انه من الأفضل ان أستتر خلف جدران الغش، وأنزوي تحت حوائط الزغل، فعندما أتلألأ بروحي في سنا النور، يزعجهم وضوحي، ويطالبوني بالإدلهمام في سدف الظلام، تبا لهم ولمبادئهم ومعتقداتهم وعقولهم المتهافتة السقيمة، سأظل واضحة فلست أنا المعيبة الذميمة، بل من يهجر النور إلى الظلام هو المعتل العتل الزنيم

كعادتي في الصراحة والوضوح سأخبركم اين كنت منذ قليل، غادرت لتوي شقة مسؤول كبير، قلت لكم من قبل اني لن أذكر إسمه، ولا داعي لذكر تفاصيل الملحمة التي خضناها وعركناها أنا وهو على سريره، لأن مؤلف هذه الرواية سيستغل تلك التفاصيل لتشوية صورتي في أعينكم، من أمام عمارة في شارع معز الدولة بمدينة نصر استقليت سيارتي الجديدة التي اهداني اياها هذا المسؤول الخطير منذ ثلاثة أشهر، ليكزس إل إكس ٥٧٠، لونها فضي، سيارة دفع رباعي أنيقة وقوية، مكافأتي على جهودي في توعية المصريين، وعلى ولائي وطاعتي المتناهية، مع الأخذ بعين الإعتبار ان هديته الغالية ليست سوى إعتراف وتقدير لبراعتي الهائلة وحنكتي الواسعة في الفراش

قبل عام من الآن، كان نفس المسؤول قد أهداني قطعة أرض، مساحتها ستمائة متر

بموقع مميز في كمبوند ديار المخابرات بالتجمع الخامس في القاهرة الجديدة، أنشأت عليها فيلا رائعة، نلت أخيرًا ما اشتهي، لكن بعد لأي وضنك وعناء، عقب تنحي مبارك نزلت على رأسي أول قطرات الغيث ثم انهمرت الخيرات، وتضاعف دخلي آلاف المرات، فقبل وكسة يناير كان مرتبي الشهري عن عملي كمذيعة ربط في التلفزيون المصري، لا يتجاوز الخمسة آلاف جنية سوى بجنيهات قليلة، لا يكاد يكفي مصاريفي الأساسية، وانتقالاتي في سيارتي العقيمة القديمة، لم يكن ذاك المرتب الهزيل يتيح لي شراء متطلبات وظيفتي وأنوثتي من الملابس والأحذية والشنط الأنيقة، ولا حتى البارفانات ومستحضرات التجميل التي تليق بغنجي ودلالي

دخلي حاليا يجعلني أحيا في نعيم مقيم، والفضل في تلك النقلة الكبيرة يعود لزميلتي وصديقتي المذيعة «رنا وجدي»، صباح يوم ٩ فبراير ٢٠١١ في ذروة انفعالنا بما يحدث في مصر، أخبرني أحد الزملاء بأن رنا وجدي تنتظرني في مكتبها، ذهبت إليها، حدثني قليلا عن الأوضاع التي كادت تصبح فوضى جارفة، سيترتب عليها استيلاء المتمردين على مبنى الإذاعة والتلفزيون، وربما قتل، أو على أفضل تقدير طرد العاملين به، تغللت لنفسي مشاعر الخوف والفزع من المستقبل المجهول الذي ينتظرني

لم تكن أسرتي موسرة مثل رنا التي يمتلك والدها شركة بترول كبيرة ويشارك في مشاريع عديدة مع كبار المسؤولين، ولست متزوجة من ضابط أمن دولة نافذ مثلها، رنا متزوجة من كريم باشا سليمان، أما أنا فأسرتي متوسطة الحال، أبي مجرد فني اضاءة بالتلفزيون، وقد ساعدني بالتوسط لدى عدد من رؤسائه لكي يتم يتعيني كمذيعة عقب تخرجي من كلية الاعلام - جامعة القاهرة، وبالفعل تم تعيني، ولكن موقعى كان غاية في الضآلة والصَغَار، مجرد مذيعة ربط تظهر بين الفقرات والبرامج، رغم جمالي ولباقتي لم يخصصوا لي برنامج، أو يضموني إلى أي برنامج قائم

شعرت بعد حديث رنا معي يومها، بالذعر والخوف على وظيفتي، رغم تفاهتها، وراتبها الضعيف، نجحت رنا في زرع الرعب في نفسي خشية الإملاق، سألتني هل ترغبين في امتلاك برنامج يعده ويخرجه محترفين ويتضاعف دخلك عشرات المرات، بالطبع كانت اجابتي نعم ومليون نعم، أخبرتني رنا بأن تحقيق الاماني الغالية، يتطلب

تضحيات كبيرة وطاعة تامة، وسألتني هل انت مستعدة للتضحية وتنفيذ ما يطلب منك

- طبعا مستعدة يا استاذة رنا

- شوفي يا تهاني، هعمللك اختبار بسيط، لو نفذتيه، يبقا فعلا عندك استعداد للتضحية والطاعة، وأبشرك قريب جدا هيبقا ليكي مستقبل هايل

- أؤمريني يا أستاذة أنا من إيدك دي لإيدك دي

- تروحي دلوقتي ميدان التحرير، وتقفي أودام المنصة، وتشرحي للناس الظلم اللي وقع عليكي هنا، وتقولي ان الفساد استشرى في التلفزيون، ولأنك معندكيش واسطة ولا ليكي اقارب ومعارف من المسؤولين الكبار، عشان كده مضطهدينك ومانعينك من الظهور على الشاشة عشان متفضحيش كذبهم وتشويههم للمعتصمين في التحرير، تعرفي تعملي كده؟

انفعلت مندهشة

- طب ازاي يا استاذة رنا!

- ما قلنا من الأول، تضحيات كبيرة وطاعة تامة، شكلك مش هتنفعي يا تهاني

- أنا بس مش فاهمة ليه أعمل كده؟

- الطاعة التامة ملهاش أي معنى غير الطاعة التامة، حتى لو معرفتيش السبب اللي ورا الأوامر المطلوب تنفيذها، أنا من الأول قلت إنك مش هتنفعي، يالا روحي شغلك عشان عندي هوا كمان شوية

تحولت ملامح وجهها للصرامة تدريجيا خلال كلامها، خرجت من مكتبها اضرب أخماس في أسداس، هل رنا تدعم المخربين الراغبين في تدمير مصر واسقاط مبارك!؟، لكنها من أسرة ثرائها بَاتِق غزير، مستحيل ان تكون من كارهي مبارك، فأبيها تربطه علاقات متشعبة مع كبار أعوان مبارك المقربين، قررت ان أعود لمكتبها بعد انتهاء برنامجها الذي كان يبث لحظتها على الهواء، قررت ان أطيع رنا، فليس لدي ما اخسره

داخل غرفة مكتبها، أنبأتها بإستعدادي لتنفيذ ما تطلبه، رغم خوفي من النتائج التي ستترتب على ما سأفعله، سأشوه في عيون الناس صورة النظام الذي أؤيده، ابتسمت رنا وأخبرتني ان النظام قد شاخ وطعن، ومساحيق التجميل لم تعد مجدية لإخفاء

شماطته وتغضن ملامحه، وان قريبا جدا سوف أستوعب وأفهم ما استغلق على عقلي

ذهبت للتحرير، وقفت أمام المنصة، رفعت أمام صدري لوحة ورقية بيضاء، اعطتني اياها رنا مطوية قبل مغادرتي غرفة مكتبها، كان مكتوبا على الورقة بخط اليد

(((أنا تهاني القماش مذيعة ربط بالتلفزيون المصري ومؤيِّدة لثورة شعب مصر المسؤولين في التلفزيون منعوني من الظهور على الشاشة بعد ان رفضت بث اكاذيبهم)))

أجرت معي قناة فضائية حوار أمام المنصة، كنت محاطة بخضم بشري متلاطم، شباب ورجال وجوهم مغبرة وروائحهم عطنة، نتيجة اعتصامهم على أديم التحرير، نجحت في مهمتي وتقمصت الشخصية ببراعة، رغم كراهتي وبغضي لما أفعله نفذت المطلوب، هاتفتني رنا بعد العصر بساعة، أخبرتني ان أحد المسؤولين سيهاتفني بعد قليل من رقم مخفي، وسيطلب مني طلبات ويجب ان أنفذها بدقة، قبيل المغرب بقليل جائني اتصال من رقم خفي، بصوت وقور هادئ عبر المسؤوول عن تقديره لشجاعتي، وأمرني أن أطلب من أحد الواقفين على المنصة، ان يسمح لي بالصعود عليها والقاء بيان عن فساد مسؤولي التلفزيون المصري، الذين يجبرون العاملين على الكذب وتضليل الشعب، كان الرجل بحسب ما وصفه لي ذاك المسؤول يرتدي جاكيت قطيفة أسود، ويقف ضمن آخرين على المنصة، كان ينظر تجاهي وكأنه كان يعرف ما سأفعله، وبمجرد ان طلبت منه الصعود وافق، ارتجلت بيان قصير تظاهرت فيه بالثورية، نالت كلماتي استحسان الموجودين، وتعالت عقيرة شرزمة شباب أسفل المنصة تهتف بإسمي، استعاد الرجل المندس بين الثوار والتابع للمسؤول الميكروفون وأثنى على شجاعتي، وناشد باقي العاملين الأحرار في التلفزيون بالانضمام لثورة شعب مصر في التحرير

لن أنكر أن خلال وجودي على المنصة اجتاحتني مشاعر النشوة والفخر كإعصار باغت داهم، تقدير الحاضرين لشخصيتي وهتافهم بإسمي أسكرني لوهلة، تماسكت واستمريت في تمثيل دوري، أكرموا وفادتي على المنصة، ثم هبطت من عليها وتجولت بين المعتصمين وامتزجت معهم ليألَفوا وجهي كما أمرني المسؤول في الهاتف، هاتفت رنا قبيل منتصف الليل بقليل بعد ان بلغ مني التعب مبلغه، أخبرتها بما أعانيه من اجهاد وبرغبتي في العودة لمنزلي، طلبت مني ان انسل خلسة، عدت لشقة أسرتي في

الملك الصالح، اندهش أبواي مما فعلته في التحرير بعد ان شاهدوني اخطب على المنصة في بث قناة فضائية معادية لمصر ونظامها، قرعني وعنفني أبواي على ذهابي للتحرير، طمأنت أبي وأمي

صباح اليوم التالي ذهبت لغرفة مكتب رنا في التلفزيون، هنأتني على نجاحي، وبشرتني بتقدير السادة الكبار لما فعلته، وطلبت مني المثابرة على الذهاب للتحرير يوميا، كما نصحتني بطاعة الرجل الذي يهاتفني من رقم غير معلوم، داومت على التواجد بالتحرير إلى ان اذيع بيان تنحي مبارك، خلال تواجدي بالتحرير تقمصت تماما شخصية المذيعة الثورية، طارت شهرتي داخل الميدان وعلى شاشات الفضائيات، تذوقت لذة الشهرة للمرة الأولى في حياتي، لم أتذوق لذة الثراء والرخاء إلا بعد تنحي مبارك بإسبوعين، حين وجدت اسمي في كشف المكافآت والحوافز في سابقة لم تحدث من قبل، أول الغيث كان عشرون ألف جنية، ليس مبلغ هينا، كان يوازي مرتبي عن أربعة أشهر حينها

بعد عدة شهور تعاقدت على تقديم برنامج في قناة فضائية جديدة، كان المسؤول المخابراتي الكبير وراء هذه القفزة الهائلة، عقدي مع تلك القناة كان بمبلغ ثلاثة ملايين جنية سنويا، واستمر انهمار الغيث، تعاقدت منذ شهران مع قناة فضائية اخرى بعقد قيمته خمسة عشر مليون جنية سنويا، تعرفت على المسؤول الخطير الذي هاتفني في التحرير بعد تنحي مبارك بشهر، حين استدعتني المخابرات العسكرية أنا وعدد من الاعلاميين الصاعدين، وهناك استقبلنا مسؤول كبير، بعد هذا الاجتماع استبقاني المسؤول، وتحدث معي عن زميلتي رنا زوجة قريبه كريم باشا سليمان، شرح لي سيادته بعض وليس كل ما أجهله، بشرني بأن كل من يتعاون معهم ينال كل ما يشتهي، كانت رنا قد سبقته بتوضيح ذلك لي من قبل، بعد ان أكرمتني بشرف الانضمام فعلياً، لمجمع سادة مصر منتصف فبراير ٢٠١١، عندما طلبت مني حضور اجتماع تعقده لجنة إعلاميين داخل شقة فسيحة بوسط البلد، سألتها

- اللجنة دي تبع اي حزب؟

- تبع مجمع حكماء مصر، وكل ما تثبتي ولائك أكتر، كل ما هتعرفي اكتر

أذهلتني اجابتها المحيرة، حضرت الاجتماع وواظبت على حضور كافة اجتماعاتهم،

ونفذت توجيهاتهم وطلباتهم بكل حماس رغبة في نيل المزيد من المكافئات، أثبت ولائي وعرفت أكثر، لكني لازلت أجهل الكثير، لكن أهم مكسب أحرزته من انضمامي لجماعة حكماء مصر، بعد الشهرة والثروة، هو تأكدي من صحة نظرية الانفجار العظيم، التي نتج عنها الكون،وأيضًا تيقني من أن الإله المزعوم لم يخلق بعوضة، ولا يدير الكون، ليس ثمة إله في الواقع، عكس ما يظن أغلب البشر، حكماء مصر هم من يسيطرون على كل شئ في مصر، حتى أقدار الناس، بإمكانهم ان يحيوا من يشَاءُوا ويميتوا من يشَاءُوا، يذلوا من يشَاءُوا ويعزوا من يشَاءُوا، سيدهم وأستاذهم الاعظم هو المهيمن القادر ولا راد لقضائه

بعد انضمامي لهم، تيقنت من سذاجة وعبثية وبلاهة المؤمنين بوجود إله [٢٦] ، أنا أعلم أن فكرة التقرب إلى إله، تطورت وتحورت على مر التاريخ، أسباب متعددة دفعت البشر منذ القدم لاختراع آلهة، أهمها الخوف من الظواهر الطبيعية، برق، رعد، رياح، عواصف، أمطار، زلازل، براكين، ضواري، أمراض، أعداء، كل هذه المخاطر وغيرها هددت الإنسان بقسوة، وأربكته منذ نشأته الأولى على سطح الأرض، كان الإنسان حينها تائها، جاهلا بكل ما حوله، تطور البشر، وتطورت معهم افكارهم عن الإله، كانت دياناتهم الأولى طوطمية عبارة عن أفكار ورموز وطقوس، تجاه الظواهر والمظاهر الطبيعية كالرياح والنار وغيرها من المقدسات البربرية، التي كانت بالأساس تمثل تهديدا على الإنسان البدائي، تطورت المقدسات بتطور البشر، صارت آلهة مجسدة، وأقيمت معابد لتلك الآلهة التي إبتكرها البشر، والتي نحتوها بنفس مقاييس صورهم البشرية، حدث ذلك في مصر واليونان وفارس، وغيرها من الحضارات القديمة، ثم إختلق الفراعنة بدعة جديدة، دمجوا القدرات الخاصة بكل إله من الآلهة المتعددة، وجمعوها في إله واحد هو آمون، الذي كان الطبعة الأحدث من الإله وقتها، ويتضح من الإسم ان الخوف كان دافع الإنسان الأساسي للبحث عن إله يشمله بأمنه

وبحسب رؤية الفراعنة لذاك الإله، كان آمون وفق ديانتهم إله خفي لا تراه العيون، خلق نفسه بنفسه، ولديه قدرات مطلقة، ثم جعلوه يتحد مع آلهة أخرى، أشهرها رع إله

٢٦ الآراء والأفكار التي ستذكرها شخصية المذيعة خلال السطور القادمة لن تخرج عما يروجه الملحدين من الفلاسفة والمفكرين، الذين عجزوا عن إدراك الله بقلوبهم وعقولهم

الشمس، فعلوا ذلك الدمج لكي يجسدوا إلههم آمون ويصطنعوا له مظهر يتيح لعباده عملية تصوره والخشوع له، يتضح ان البشر حينها كانوا أسرى لماضيهم القديم، ولديهم حنين لعبادة شئ يرونه بأعينهم، لهذا دمجوا آمون الخفي، مع رع المشرق الساطع طوال النهار

الهنود أيضا قلدوا الفراعنة، وابتكروا براهما معبودهم الممثل في الشمس، براهما إله الهندوس الذي فقد قدراته بعد ان خلق زوج آلهه، أحدهما للخير والآخر للشر، يعد آمون هو إرهاصة البداية لبذرة التوحيد، سارت على نهجه آلهة الديانات الابراهيمية الشهيرة، اليهودية والمسيحية والاسلام، تباينت وتضادت رؤية الاديان الثلاثة لهذا الإله

إبتكر اليهود يهوه الإله الذي يتميز بأنه قبلي أُمي طائفي عنصري دموي، يأمرهم بشن الحروب، وقتل وتدمير وسرقة غير اليهود، يهوه إله خاص بأبناء يعقوب (اسرائيل) الاثنى عشر وهو إله لليهود [٢٧] فقط ، بمرور الزمن حن اليهود لتجسيم الاله المزعوم، جعلوه يتجسد في صورة بشر ويصارع يعقوب [٢٨] ، وفي التلمود حولوا الإله إلى كائن هزلي تافة يلهو ويلعب مع الحوت ملك الأسماك، وجعلوه يلطم ويبكي كل يوم

التريبل، أو الإله الثلاثي عند المسيحين المعاصرين، يعد انتكاسة لصورة الإله الواحد الذي تطور على يد الفراعنة واليهود فأعاده المسيحيين إلى الماضي، وحولوه إلى إله مركب من أقانيم متعددة أو آلهة متعددة متحدة، في البدء كان إله المسيحين فردا واحدا، ثم بعد ثلثمائة وخمسة وعشرين عاما في مؤتمر نيقية، حولوه إلى ثلاثة آلهه، ولم يكتفوا بذلك بل زادوا وجسدوا الإله الثلاثي في انجيلهم على شكل خروف بسبعة قرون وسبعة عيون يجلس على العرش [٢٩]

الملحوظ ان حتى داخل الدين الواحد، يتطور ويتحور مفهوم الإله عبر الزمن، حدث هذا قبل المسيحية عند كهنة آمون، الذين دمجوه مع رع وغيره، وأيضًا مع براهما إله الهندوس، الذي جعلوه يخلق إلاهان يساويانه في البداية ثم تفوقا عليه في النهاية، أما الإله عند المسلمين، فحكايته لن تختلف عن حكايات سابقيه، ربما هو أقرب ليهوة إله

٢٧ التوراة، سفر الخروج الإصحاح الثالث، الآية ١٥
٢٨ التوراة، سفر التكوين الإصحاح الثاني والثلاثين، من الآية ٢٤ إلى الآية ٣٠
٢٩ الكتاب المقدس العهد الجديد، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، الإصحاح الخامس آية ٦

اليهود، بإستثناء أن مبتكر هذا الإله كانت تحذوه رغبة ملحة في توسيع دائره عبيد الإله، لجعله إله متسامح ومحب لجميع البشر سواء عرب أو عجم

وكعادة اي مؤلف مبتدئ، ارتكب مبتكر ومخترع إله المسلمين هفوات وزلات لا تغتفر، فصنع إله متناقض مع نفسه، على سبيل المثال يأمر الناس بالعدل بينما يظلم دون رحمة، ويأمر بالتواضع ويتكبر بجنون عاتي، حتى أوصله جنونه [30] إلى ابادة جميع مخلوقاته، حتى حملة عرشه واقرب أعوانه لم يسلموا من جنونه، ثم تصيبه حالة صرع جنوني ويصيح بصراخ مجلجل في الفراغ والخراب ويقول: أنا الجبار، أنا الجبار، أنا الجبار، ثم يهتف صاخبا: لمن الملك اليوم؟، لمن الملك اليوم؟، لمن الملك اليوم؟، ثم يجيب على نفسه بجنون مطبق، ويقول: لله الواحد القهار. هل هذا إله؟!، أم مخبول معتوه متكبر متعجرف متغطرس نرجسي عاشق لذاته؟.

في مواضع كثيرة من قرآن المسلمين، الذي يتحدث بلسان الله، نرى الكتّاب يصور الإله ككائن ظالم لا يعدل بين خلقه، فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ويغني من يشاء ويفقر من يشاء، يرزق من يشاء الحكم ولا تعترض على حكمه حتى لا تكفر بذاك الإله الظالم، على سبيل المثال في الآية رقم ٨ في سورة فاطر جاء فيها، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وفي الآية رقم ٢١٢ عشر من نفس السورة يقول، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وفي الآية رقم ٢٤٧ من نفس السورة يقول ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ وفي سورة المائدة الآية رقم ٤٠ يقول، ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾، وفي الآية رقم ١١١ بسورة الأنعام يعلنها واضحة صريحة صادمة بأنك لن تستطيع ان تؤمن بهذا الاله المزعوم إلا إذا شاء هو ان يجعلك تؤمن به حيث يقول، ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وفي الآية ٤٩ بسورة الشورى يقول، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ

٣٠ في الفقرة التالية ستقوم المذيعة بتشويه حَدِيثُ الصُّورِ وهو حديثٌ ضعيف ذكره ابنِ كثيرٍ في كتاب البداية والنهاية ثم علق عليه بقوله "هَذَا حَدِيثٌ مَشْهُورٌ، رواه جماعةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي كُتُبِهِمْ، كَابْنِ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، والطَّبَرَانِيِّ فِي الطِّوَالَاتِ وَغَيْرِهَا، وَالْبَيْهَقِيِّ فِي كِتَابِ: الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَالْحَافِظُ أَبِي مُوسَى الْمَدِينِيِّ فِي الطِّوَالَاتِ أَيْضًا مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ قَاصِّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ تُكُلِّمَ فِيهِ بِسَبَبِهِ، وَفِي بَعْضِ سِيَاقَاتِهِ نَكَارَةٌ وَاخْتِلَافٌ"

لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [٣١]

فيما يبدو ان حكماء مصر استعاروا أغلب صفات وقدرات الإله المزعوم، حتى التحكم بنوع المولود صار بأيديهم، أحكموا سيطرتهم التامة على من حولهم، وتحولوا إلى آلهة في أرض الواقع لا في اساطير وخيالات المغيبين

ما فعله هؤلاء السادة العظام إبان أحداث وكسة يناير، هو خير دليل على قدراتهم اللانهائية، تزايدت يومياً أعداد المخربين والغوغاء، فقد النظام السيطرة على زمام الأمور، قرر السادة الانحناء أمام العاصفة مؤقتا، رضخوا للغوغاء ودفعوا مبارك للتخلي عن منصبه، أصدر الجيش بيان انشائي بليغ، أعلن عن تفهمه لمطالب الغوغاء

استغل السادة الحكماء أعوانهم المندسين بين الغوغاء، وتم زرع الفرقة والشقاق بينهم بعدة طرق، منها استقطاب الاخوان والسلفيين ومعهم قطاع كبير من النشطاء المحرضين، ومنها قيام العملاء بتأليب الغوغاء على التظاهر لتحقيق مطالب فئوية، وبدلا من توحد الغوغاء على هدف موحد، انقسموا على أنفسهم، وتفرقت جموعهم في تظاهرات هنا وهناك، بعيدا عن التحرير الذي كان وقتها مصدر قوة الغوغاء والمخربين

تلاعب النظام بالجميع ونجا من السقوط، إلى ان حانت اللحظة المناسبة وعاد للنهوض والسيطرة، في يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣م حين قام حكماء مصر بحشد اتباعهم الذين اكتسبوا شعبية وسط الغوغاء، بإعتبارهم معادين للنظام وطالبوا بسقوط الاخوان، فما كان من الغوغاء والمخربين من الشعب المصري العبيط، سوى الاقتداء بأعوان النظام، تمردنا على الاخوان وأسقطناهم بسهولة، والفضل الأول والأخير في هذا النجاح يرجع لدهاء سادة مصر وخططهم الجهنمية

أطعنا حكماء مصر بإخلاص متناهي، نفذنا مطالبهم عندما طلبوا منا أن نحمل على العسكر ونهاجمهم، ونعارض حكمهم، وعندما أمرونا بتأييد الاخوان أيدنا، وعندما كلفونا بانتقاد الاخوان انتقدنا، ولحظة الصفر ألزمونا بالتظاهر والتعاون مع الجيش

٣١ كلام المذيعة في الفقرة السابقة، لا يعدوا كونه مجرد اجتزاء وتحريف للآيات، وكل تلك الشبهات الضعيفة وغيرها تم دحضهم، في الكتاب الموسوعي المسمى "موسوعة بيان الإسلام الرد على الإفتراءات والشبهات" الذي يحتوي على ٢٤ مجلد من منشورات دار نهضة مصر، وتوجد نسخة على الأنترنت متاحة للتحميل مجانا

والشرطة لحماية مصر من فساد وفشل الاخوان السياسي، أنا ومعي الآلاف من الاعلاميين والسياسيين، والشباب النشطاء المتمردين، كنا ولازالنا خير سند لحكام مصر، استمر بعضنا في تأييد النظام بعد بيان ٣ يوليو ٢٠١٣، بينما رفضه البعض، استمر البعض يؤيد فض رابعة والنهضة بالقوة، بينما رفضه البعض

أنا بالطبع من المؤيدين للنظام حتى اليوم، وحتى من رفض الاستمرار في تأييد النظام فهو يؤدي دوره المطلوب منه، سادة مصر وحكامها يوزعون الأدوار على الأتباع ببراعة متناهية

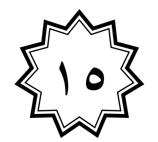
حتى المعارض للنظام له دور في غاية الأهمية، فحين يكاد يسقط النظام، يكون هؤلاء سببا في نجاة النظام بل ويعاونوه سرا للعودة من جديد، لأن مكانتهم كمعارضين تكسبهم ثقة الناس، ولا يمكن ان يخطر على قلب أحد انهم مجرد ادوات وعرائس ماريونيت [٣٢] ، وحينما يطلب من أحدهم أمر ما، ينفذه دون ادنى تردد

بنجاة النظام وبعودته للسيطرة التامة لم احتفظ بوظيفتي كإعلامية فقط، بل حققت مكانة أعلى من ذي قبل، ونلت ما أشتهيه، الشهرة والمال والسعادة، خدعوك فقالوا ان السعادة في راحة البال ولا يشتريها المال، معهم بعض الحق، المَالُ لَا يَشْتَرِي السَّعَادَةَ، بَلْ تَأْتِي مَعَهُ مَجَّانًا

وعلى ذكر السعادة، أقود الآن سيارتي الليكزس في شارع مكرم عبيد بمدينة نصر، بعد ان غادرت شقة المسؤول الكبير، تقودني جوارحي إلى فيلا «شوقي يعقوب» في أرض الجولف، لكي أمضي بقية سهرتي بين أحضانه، لقد أخبرتكم من قبل بأني ماكينة جنس لا تكل ولا تمل ولا تفتر، لهذا سأشبع رغباتي الجنسية، للمرة الثالثة، اليوم عصرا ضاجعت مدحت مخرج برنامجي، ثم ضاجعت المسؤل الكبير قبل منتصف الليل بقليل، ثم ها أنا أختم ليلتي بمضاجعة «شوقي يعقوب»



٣٢ عرائس ودمى تصنع من مواد مختلفة ويقوم فنان خفي بتحريكها بخيوط دقيقة بالعروض المسرحية، ويعتبر أوبريت الليلة الكبيرة أشهر عرض مسرحي عربي للماريونيت



الاِسْمُ الأَوَّلُ: بَلْطَجِيٌّ

الإِخْوَةُ وَالصَّدَاقَةُ وَكَافَّةُ الْمَشَاعِرِ الإِنْسَانِيَّةِ، رَوَابِطُ وَاهِيَةٌ، عَكْسَ رَوَابِطِ المَصَالِحِ، قَوِيَّةٌ لَا تَنفَصِمُ عُرَاهَا

لكل إنسان ثلاثة شخصيات : شخصيته الحقيقية، وشخصيته التي يظهر بها أمام الناس، وشخصيته التي يعتقدها في نفسه، شخصيتي الحقيقية عزيزة النفس وأحلامها بسيطة، وشخصيتي التي أظهر بها بين اتباعي هي شخصية صلبة وقاسية لا نتورع عن القتل، وشخصيتي التي اؤمن بها هي شخصية الشجاع الذكي عاشق النساء، إعتاد أغلب ذكور مصر ان يعشقوا كرة القدم و يشجعوا اللعبة الحلوة، أنا على خلافهم أشجع اللقمة الحلوة والموززة الحلوة، أتناول وجبة عشائي الآن مع زوجتي الفاتنة «ثامار زكريا جدعون»، التي تزوجتها العام الماضي بعد ان عرفني عليها كريم باشا، كالعادة كان عشائنا «تيك اواي» من مطعم شهير بمصر الجديدة، فزوجتي شابة صغيرة لم تتقن بعد التواجد في المطبخ، أسمع رنين خافت منبعث من جهاز الإنذار، ينبهني بولوج أحدهم إلى مكتبي، الواقع بالدور الأرضي من هذه الفيلا، ولهذا المكتب مدخل مستقل عن بوابة الفيلا، لابد انها «تهاني» قد حضرت فهذا أوان أوبتها، أنهيت عشائي، أخبرت زوجتي بأني ربما سأتأخر في السهر كالعادة مع أصدقائي في المكتب، تململت ثامارا قليلاً كعادتها، فلم تكن من هواة النوم المبكر، أعلمتني ثامارا انها ستخرج لتقضي بعض الوقت في صالة ديسكو باراكودا بفندق ميرديان هيليوبليس، وافقت كالعادة حتى أنال بعض حريتي

قضيت سهرة ممتعة مع تهاني، لم يعكر صفوها إلا بزوغ شمس النهار، وحالة الانهاك والارهاق الجسدي، المترتبة على مضاجعة استمرت أربع ساعات، أشعر بامتنان وتقدير

عظيم لقرص دواء الـ«سيالس» البرتقالي اللون الذي يدوم تأثيره لستة وثلاثين ساعة من الانتصاب المتواصل ويتفوق على الحبة الزرقاء التي لا تدوم سوى لست ساعات، ميزة السيالس بالاضافة لتأثيرها الطويل هي انها لا تتأثر بالطعام والخمور على عكس الحبة الزرقاء

تركت «تهاني» مخمورة منهكة في سرير غرفة النوم الصغيرة بمكتبي، اغتسلت في حمام مكتبي لكي اقلل من تأثير الخمر على عقلي وايضا لإزالة آثار انصهار وتلاحم جسدي بجسد تهاني، عدت إلى غرفة نومي بالفيلا، لم ترجع زوجتي بعد، رغم بزوغ شمس الصباح، ألقيت بجسدي على الفراش الوثير وكخرقة مهترئة سقطت في هوة النعاس، صحوت عصرا على صوت مؤذن المسجد القريب من فيلتي، وجدت «ثامارا» زوجتي نائمة بجواري، لم أشعر بعودتها، مؤكد أنى نعست كجثة هامدة، نهضت من سريري وفي نيتي التجهز للقاء «كريم» باشا حسب اتفاقي معه بالأمس، سوف نناقش ما سنفعله مع «وديع برسوم»، في المرحلة القادمة في حالة لو لم يتصل بي ليستعين بخدماتي لحمايته

لم أقص عليكم من قبل كيف تعرفت على كريم باشا، هل تذكرون ما أخبرتكم به عن دفاعي عن نفسي وقيامي بقتل «حمدي ستالين» البلطجي الشهير، تلك كانت الظروف التي تسببت بتعرفي على كريم باشا

منذ خمسة عشر عاما، كنت وقتها أعمل سكرتير ومدير أعمال لراقصة شهيرة، في يومي الثالث من العمل مع الراقصة «نعمات»، وأثناء تواجدي في الملهي الليلي الذي ترقص فيه كل مساء، كنت أجلس مع بعض أقراني، حول منضدة صغيرة في ركن منزوي بعيد، كانت ادارة الملهى قد خصصت تلك المنضدة لأمثالنا من مساعدي الفنانين، أثناء جلوسنا، إقترب من منضدتنا عملاق فطحل وأمرني بجلافة فجة

- قوم يا بني كلم حمدي باشا عايزك

- حمدي باشا مين

رددت عليه مستفسرا وممتعضا من أسلوبه الفظ فألجمني متهكما

- حمدي باشا ستالين انت جديد هنا ولا ايه؟! في حد ميعرفش حمدي ستالين يا ننوس!

خلال اليومان السابقان كنت قد سمعت من أقراني، حكايات تشيب لها الولدان، توضح مدى حقارة ووحشية وإجرام حمدي ستالين، البلطجي الذي يفرض سطوته على ملاهي وكباريهات وكافيهات وراقصات وبغايا شارع الهرم

غادرت منضدتي، وسرت خلف العملاق المارد إلى منضدة تتوسط مقدمة صالة الملهى، يجلس حولها حمدي ستالين وخمسة عمالقة، وأمامهم كؤوس وزجاجات الخمر، وصحون متنوعة من المزة، أمرني حمدي بالجلوس بجواره فإنصعت راضخًا

- اسمك ايه يا شاطر

- شاطر ايه بس يا باشا أنا مش عيل أنا عندي تلاتين سنة، اسمي شوقي ابراهيم

- بطل لماضة يا شاطر واسمعني كويس، لو عايز تعيش وتحافظ على لقمة عيشك مع نعمات، لازم تعرف انها بتطلع أربع حفلات لحسابي كل شهر، حفلة كل اسبوع فهمت يا شاطر ولا افهمك بطريقة تانية، وحسك عينك تقولي مشغولة أو تعبانة أو تتحجج بأي حجة فاضية يا سكرتير الست، مفهوم يا شاطر

صمتت لوهلة غاضبا مندهشا مرتبكًا، ثم سألت ستالين عن كيفية تحديد مواعيد تلك الحفلات وهل تعلم نعمات بما يجري، فأخبرني بأنها تعلم علم اليقين ان أي تقاعس عن الذهاب لحفلات ستالين، معناه تشويه وجهها وجسدها، وحرمانها للأبد من بحور الاموال التي تسبح فيها، مد ستالين يده ونزع من الجراب المعلق بحزام سروالي هاتفي الحديث وقتها وكانت ماركته اريكسون ٦٨٨، رن منه على هاتفه وسجل رقمي فيه، طلب مني العودة لمنضدتي، والتنبيه على نعمات بعد انتهاء فقرتها الراقصة بأن ستالين يخبرها بالتوجة الليلة، لفيلا بالمعادي لاحياء حفلة خاصة، لشخصية خليجية هامة

داخل غرفة ملابس نعمات أخبرتها بما قاله ستالين، لم تتذمر فقد كانت معتادة على احياء أربع حفلات شهريا لصالح حمدي ستالين، لم تكن قد أخبرتني بهذه التفاصيل من قبل، تأكدت نعمات من ان حمدي قد أعطاني عنوان مكان الحفل، وطلبت مني قيادة سيارتها، والتوجة بها لفيلا المعادي، وانتظارها حتى تنتهي من تلك الحفلة

استمر الحال على هذا المنوال لمدة خمسة أشهر، تحاشيت خلالها التعامل مع ستالين قدر استطاعتي، بسبب غلظة طباعة واستهزائه بي، أضمرت في نفسي كراهية حارقة

وغضب عاتي تجاه هذا العتل الزنيم، إلى ان حدث الصدام القدري الدامي مع ستالين وطغمته ليلة الكريسماس ٣١ ديسمبر ١٩٩٩

كنت قد تعاقدت بمبلغ خيالي مع ثري خليجي على حفل خاص، ترقص فيه نعمات بقصر الثري في المريوطية بالهرم، بمناسبة عيد ميلاده الذي يوافق الكريسماس كما زعم لي، ثم فاجأني ليلتها ستالين بأن لديه حفل خاص، أمير خليجي يرغب في مشاهدة رقص نعمات في حفل خاص يقيمه بقصره في حي مصر الجديدة إحتفالا بقدوم عام ٢٠٠٠م

أخبرت ستالين بإستحالة احياء تلك الحفلة التي يريد ان يرسل نعمات اليها، وطلبت تأجيلها للغد، متعللا بأني تقاضيت عربون من زبون آخر، وستنشغل نعمات في حفلته طوال الليل، ثار ستالين في وجهي

- رجعله فلوسه يا روح أمك، ولا قول له يأجل الحفلة لتاني يوم عشان الست تعبانه

- ليه الغلط بس يا باشا، وايه لازمة سيرة أمي في كلامك

- تعرف لو ما مشيتش وغورت من وشي الساعة دي، همسح بكرامة كسمك أرض الكبارية، وقول لنعمات تجيب معاها البت مايس......

لم يكمل كلامه، فقد كانت الدماء قد ثارت وماجت في عروقي، ودون أدنى تفكير تناولت بيداي قارورتا خمر من على منضدة ستالين وأعوانه، قطعت كلامه، وعاجلته بضربة من الزجاجة التي في يدي اليمنى على رأسه فشججتها، تحطمت الزجاجة وظل عنقها بيدي، ثم نزلت على رأسه بضربة أخرى من الزجاجة الثانية، التي كانت بيدي اليسرى، تدفقت الدماء من رأس ستالين كشلالات حمم بركانية حمراء، طمرت وغطت عيناه وملامح وجهه باللون الأحمر القاني ولطخت ثيابه، حدث هذا في لمح البصر، هب ستالين وأعوانه من مقاعدهم بصخب كما لو كانوا ثيران هائجة يريدون الفتك بي، اضطربت وذعرت، طعنت ستالين المترنح في عنقه ببقايا الزجاجة الأولى في يدي اليمني، وطعنت أقرب أعوانه مني في وجهه برقبة الزجاجة الثانية، التي كانت بيدي اليسرى، ما حدث في تلك الثواني القليلة غير حياتي للأبد

انهار الدماء الغزيرة، وقسوة نظراتي الجنونية، وطوفان الغضب الذي تمكن مني، دفعا باقي أعوان ستالين لتجنب النظر نحوي، كما لو كنت طاعون فتاك، تشاغلوا بمساعدة زعيمهم، الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، بعد ان مزقت شظية الزجاجة أوردة وشرايين عنقه، وشقت حنجرته، انشغل الأعوان عني بزعيمهم المحتضر بسكرات المنية مختنقًا بدمائه، وانشغلوا أيضًا بزميلهم الذي انسابت الدماء من عينه، حيث غرست بقايا القارورة داخل مقلتها

تسللت من الملهى بهدوء ولم يعترض طريقي أحد، قبضوا علي في منزلي فجر ذاك اليوم الأول من يناير عام ٢٠٠٠م، انهارت والدتي فزعًا على مستقبلي، تماسك أبي كعادته، وسعى بدأب للبحث عن مخرج لورطتي، تواصل مع جميع أقاربه ومعارفه، إكتشفت للمرة الأولى في حياتي، أن أسرتي متوسطة الحال تنتمي لعائلة كبيرة وعريقة، تضم بين طياتها عدد لا بأس به من صفوة المجتمع في مصر، على رأسهم فريق أول جيش متقاعد، ولواء شرطة، وخبير استراتيجي، وقاضي بالمحكمة الدستورية، ورئيس وزراء سابق، وسفير سابق، ورئيس جامعة حالي، ونجوم ونجمات سينما وتلفزيون ومسرح، ومعلق رياضي، وصاحب مجموعة قنوات اعلامية شهيرة، وداعية اسلامي معتدل، ومالكة شركة انتاج وتوزيع سينمائي، أحيانا تنشر مقالاتها في الصحف، وبين الفينة والأخرى تطل بوجهها على الناس بأدوار في افلامها التي تنتجها

أغلب اقاربنا وقفوا مع أبي في محنته، تعرفنا حينها على المقدم كريم سليمان، تلك كانت رتبته وقتها، وبرغم انه مسلم إلا ان والدته تربطها صلة قرابة بعيدة لوالدي، أكثر من نصف مشاهير أقاربنا مسلمين، بينما الفروع الفقيرة والمتوسطة تتبع الديانة المسيحية، لكن القاسم المشترك لأغلب أسر العائلة هو احجامهم وتقاعسهم عن ارتياد الكنائس والمساجد

تعاطف كريم باشا مع ورطة أبي، وأعطاه كارت توصية إلى صديقه المستشار السابق والمحامي الشهير «مجتبى تيمور»، الذي ترافع عني ببراعة، دون مقابل مادي، إكراما لصديقه كريم باشا سليمان، بعد الحكم علي بالحبس لمدة عام، استغل كريم باشا نفوذه وأرسلني إلى سجن مزرعة طرة لأقضي عقوبتي، وعندما تزوجت شقيقتي «راحيل»

في نهاية شهر مايو، أي في منتصف عقوبتي، أخرجني كريم باشا من السجن بحراسة، وحضرت حفل زفاف شقيقتي الوحيدة «راحيل»، وقتها شعرت بدين كبير في عنقي تجاه هذا الرجل الكريم العطوف، الذي ساعدني ووقف معي في محنتي، وطمأن أبي علي ولده المسجون

خرجت من السجن عصر يوم ١١ اكتوبر عام ٢٠٠٠م، بعد انتهاء فترة حبسي، عقب خروجي بأسبوعان شرفني كريم باشا بزيارتنا في شقتنا بالعمرانية وهنأني بالخروج من السجن، وسألني عن مؤهلاتي الدراسية وإستفسر عن خبراتي العملية، تحدث معي بلطف مغلف بوقار اصحاب النفوذ الطاغي، ثم عاتبني مؤنباً على عملي مع راقصة ساقطة، وتحدث معي عن عراقة عائلتنا الضاربة بجذورها في اعماق التاريخ، ونبهني بأن حفيد العلامة الشهير «أبو الحسن اللاوي [٣٣] » الطبيب الفيلسوف والشاعر الاندلسي الكبير، لا يصح ان يعمل قوادا وسكرتيرا لراقصة مستهترة

بشرني كريم باشا بأن لديه فرصة عمل، أفضل من تلك الوظيفة الوضيعة المهينة، ودعاني لزيارته بعد يومان في فيلته بمدينة نصر، لمناقشة تفاصيل عملي الجديد، ذهبت في الموعد المحدد واستقبلني بترحاب ومودة، مغلفين بغلالة من العظمة والسيادة، وجلسنا معا في غرفة مكتب انيقة داخل الفيلا الفخمة، وتناولت معه فنجال قهوة لازال طعمها في فمي حتى اليوم، وباغتني بسؤال مبهج

- تحب تشتغل مع الدكتورة آمال عثمان وزيرة الشؤون الاجتماعية السابقة وتساعدها في الانتخابات اللي هتتم كمان اسبوعين؟

- يا ريت يا باشا، بس اساعدها ازاي أنا معنديش خبرة بالانتخابات

٣٣ الحاخام يهوذا بن شموئيل اللاوي الأندلسي، ولد ١٠٧٥م، وشهرته أبو الحسن يهوذا اللاوي، أو يهوذا هاليفي، طبيب و فيلسوف و شاعر أندلسي، تتلمذ على يد أبي هارون موسى بن يعقوب بن عزرا، و إسحاق الفاسي، درس الأدب العربي والعلوم والطب والفلسفة اليونانية التي كانت متوفرة باللغة العربية، لمع اسمه في الطب وهو لا يزال شاباً، في نهاية حياته وبسبب مضايقات حكام طليطلة المسيحيين وتوتر الاجواء في الاندلس الاسلامية عامة، قرر يهوذا اللاوي ان يهاجر مع أسرته إلى المشرق حيث الوضع اكثر أمناً، وصل الإسكندرية، ثم ذهب إلى دمياط حيث مكث بها عامين يعمل بالتجارة، ومنها سافر إلى القاهرة التي خلبه جمالها وكتب قصائد في وصفها، ترك يهوذا أسرته في القاهرة وسافر الى فلسطين في عام ١١٤١م، وتوفي بعد شهور في صيف تلك السنة بالقدس، وكتابه الرد والدليل في الدين الذليل «الكتاب الخزري» يعده المعاصرين أول دعوة صريحة لليهود بالهجرة الجماعية إلى بلاد الشام وفلسطين

- طبعا انت متصيت دلوقتي في منطقتك وفي الجيزة كلها بعد ما قتلت حمدي ستالين أشهر بلطجي في شارع الهرم

- مظبوط بس أنا مش عايز ارجع اتسجن تاني يا باشا

- متقلقش يا شوقي، اللي بيشتغل مع الحكومة عمره ما بيتهان، تقدر تجمع شوية صيع من العمرانية وشارع الهرم؟

- دي حاجة سهلة جدا، بس هجمعهم أعمل بيهم ايه، وهقبضهم ازاي ومنين؟

- متقلقش هفهمك كل حاجة، بس عايزك تركز معايا قوي عشان لو نجحت في تنفيذ اللي هقول لك عليه هكافئك مكافئة مكنتش تحلم بيها، وهخليك من رجالتي، انت قريبي وأولى من الغريب يا شوقي

شرح لي كريم باشا المطلوب مني بالتفصيل الممل، سوف أعمل مع منفذي القانون، وسوف أكون فوق القانون، كانت مهمتي أنا ومن أجندهم، هو ان نقوم بالتصدي لمندوبي وأعوان المرشح المنافس للدكتورة «آمال عثمان»، وكذلك منع الناس من دخول لجان الانتخابات، حتى لا يعطوا أصواتهم لمرشح الاخوان المنافس للدكتورة، وهو عضو سابق في مجلس الشعب عن دائرة الدقي، اسمه «مأمون الهضيبي»، وكان وقتها نائب مرشد الاخوان والمتحدث الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين، ولمن لا يعرف فمأمون الهضيبي هو ابن مرشد الاخوان السابق «حسن الهضيبي»، وقتها كان «مأمون الهضيبي» يزعج الحكومة بطلباته واستجواباته المحرجة في مجلس الشعب السابق، ولهذا قررت الحكومة التخلص منه في المجلس الجديد، لم يشفع لمأمون انه في عام ١٩٧٨ بايع الرئيس مبارك، مع اعضاء مجلس الشعب من الاخوان، وسجلت المبايعة في مضبطة الجلسة

رشحت الحكومة ضد مأمون الهضيبي وزيرة سابقة، لتنافسه على مقعد الفئات بدائرة الدقي، إقترحت على كريم باشا ان أستعين ببعض الساقطات، لمساعدتنا في السيطرة على النساء الناخبات، ومنعهن من الدخول إلى اللجان، استحسن كريم باشا الفكرة، وأثنى على اقتراحي ونباهتي

نفذت مهمتي ببراعة واتقان، جندت حوالي سبعين بلطجيا وعاطلا من منطقتي بحي

العمرانية بالجيزة، وبمعاونة كريم باشا جندت أقل من ثلاثون عاهرة من الخاضعات للمراقبة في اقسام الجيزة، وعن طريق معارفهن أصبحن فيلق صغير مكون من حوالي خمسون ساقطة، وزعت جنودي المخلصين على اللجان الانتخابية، في الدقى والمهندسين والعجوزة وبين السرايات

وقتها كانت أقصى يومية للبلطجي أو العاهرة هو مائة جنية، ووجبتان، وعلبة سجائر، وأقل أجر للتافهين أو ما يطلق عليهم كمالة العدد، كان خمسون جنيها بالاضافة طبعا للطعام والسجائر، تضاعف هذا الأجر في انتخابات عام ٢٠٠٥، ثم تضاعف مجددا في انتخابات عام ٢٠١٠

خلال انتخابات عام ٢٠٠٠ مزقنا الأربعة فرد كاوتش الخاصة بسيارة «مأمون الهضيبي» أثناء دخوله لمتابعة احدى اللجان حتى نعطله ونحبطه، ضربنا أعوانه المرافقين له بالشوم، شججنا عدة رؤوس، وكسرنا اذرع وضلوع، تغاضت الشرطة عنا كما لو كنا اشباح لا تدركها الابصار، منعنا مراسلة وكالة «فرانس برس» من دخول لجنة الاقتراع المخصصة للنساء، وتعاونت معنا قوات الشرطة المكلفة بحراسة اللجنة، ضربنا مصور قناة «الجزيرة» الفضائية «حسام ابو المجد» بهراوة معدنية على ساعده فانكسرت يده، ضايقنا مندوبا صحيفة «نيويورك تايمز» المصور «نوربرت شيلير»، وتحرشنا بزميلته الصحفية «عبير علام»، ولم ينجحا في دخول اي لجنة من لجان دائرة الدقي، وأستولت احدى عاهراتي على المسجل الخاص بمراسلة إذاعة «راديو فاتيكان» في القاهرة وتعدت بالضرب عليها، اسم تلك المراسلة على ما اذكر «دالي كافلاك»، نجحت مهمتي وفازت الوزيرة بكرسي البرلمان، نشرت عدة صحف المعارضة وقتها بعض تلك الحوادث

انهالت على رأسي المكافئات التي دشنها كريم باشا بنفوذه، خمسون فدان في الحزام الاخضر المحيط بمدينة اكتوبر، حديثة النشأة آنذاك، تم تخصيصها لجمعية تنمية عمرانية وزراعية وهمية، أشهرتها خلال اسبوع واحد بمساعدة كبيرة من كريم باشا

تضاعفت مساحة الأرض المخصصة لتلك الجمعية عشرات المرات خلال عدة شهور، بعد ان قرر كريم باشا ان يجعلني واجهته وشريكه الاقتصادي، بجانب وظيفتي كشريك تنفيذي في حفظ أمن النظام، بمعنى أصح صرت بنطلون، أو محفظة كما يطلقون على

أمثالي، بعد خمسة شهور صارت مساحة الأفدنة التي خصصتها لنا وزارة الاسكان وهيئة المجتمعات العمرانية ألف وثلثمائة فدان، نصيبي كان مائتا فدان، قمت ببيع نصف الافدنة التي أملك التصرف فيها بينما آثر كريم باشا أن لا يبيع الألف ومائة فدان التي يملكها، تراوح سعر بيع الفدان الواحد وقتذاك بخمسين ألف إلى مائة ألف جنية، بحسب تميز الموقع، في نهاية عام ٢٠٠١ كان رصيدي في البنوك وقتها قد بلغ سبعة ملايين جنية مصري ثمن بيع مائة فدان، منذ عدة شهور قمت ببيع ستين فدان من أراضي الحزام الاخضر بمبلغ خمسين مليون جنية

أثناء ذلك وفي منتصف عام ٢٠٠١ وجهني كريم باشا نحو المقاولات، وحصلت في نهاية عام ٢٠٠١ على تراخيص رسمية لشركة العمرانية المصرية للمقاولات، وبدأت تنهال علي الشركة عشرات العقود مع الوزارات بمبالغ ضخمة، بعد الفوز بمشروع أقوم بإسناد تنفيذه إلى أحد المقاولين من الباطن، عرفني عليهم كريم باشا، من فروق الاسعار تضاعفت ولازالت تتضاعف ثروتي، كنت شبه عاطل تقريبا وأعتمد على نصيبي من تلك المقاولات، والتي كانت تعادل فرق السعر بين ثمن تنفيذ المشروع من الوزارة، وبين ما أدفعه لمقاولي الباطن فعليا لتنفيذ نفس المشروع، نسبتي من صافي أرباح شركة المقاولات كانت خمسة عشرة بالمائة ثم صارت حاليا خمسة وعشرون بالمائة، باقي صافي الأرباح بالطبع من نصيب كريم باشا

خلال الفترة بين انتخابات عام ٢٠٠٠ وانتخابات عام ٢٠٠٥ كلفني كريم باشا ببعض الأعمال الأمنية، على سبيل المثال اختطاف كاتب معارض لمشروع التوريث عام ٢٠٠٤، قمنا بضربه لتعليمه الادب كي يرتدع ويتوقف عن سب وانتقاص أسياده، بعد الثورة استقطبه كريم باشا وضمه تحت جناحه، وكذلك بمساعدة أعواني أفشلت العديد من مظاهرات حركة كفاية أهمها مظاهرة دار القضاء العالي يوم ٤ ديسمبر ٢٠٠٤، ومظاهرة يوم ٢١ مارس ٢٠٠٥ في ميدان التحرير، ومظاهرة يوم ٢٧ ابريل ٢٠٠٥، ومظاهرة يوم ٢٥ مايو ٢٠٠٥ يوم الاستفتاء على الدستور، ومظاهرة يوم ١ يونيو ٢٠٠٥ بنقابة الصحفيين، ومظاهرات تأييد القضاة يوم ٢ اغسطس ٢٠٠٥

وبنمو ثروتي تزايدت سطوتي بين الناس، وتشعبت وتجذرت علاقاتي بأسياد مصر،

استأجرت ملهى ليلي في شارع الهرم، احدى الفتيات التي استمرت في العمل معي بعد انتخابات عام ٢٠٠٠، طلبت مني ان اساعدها في تحقيق حلمها بالتمثيل في السينما، وعدتها بتحقيق حلمها، طلبت من كريم باشا ان يتوسط لتلك الفتاة لكي تشق طريقها في الوسط الفني، أرسلني كريم باشا إلى صديقه، المنتج السينمائي المشهور بالأفلام التافهة، تصادقت مع المنتج وحقق للفتاة أمنيتها، صارت اليوم نجمة مشهورة من ممثلات الصف الأول في السينما، ترسخت مكانتي في قلوب أتباعي، الذين اصطفيتهم وعينتهم في الملهى بمرتب شهري سخي، استعنت بهم في وظائف متنوعة، مثل الجاردات والأمن والجارسونات وفتيات الصالة المسؤلات عن ترفية عملاء الملهي، وأَيضًا طارت شهرتي بين بلطجية وعاهرات مصر، بسبب خدماتي ومعارفي وإجزال العطاء بسخاء لكل من يعمل عندي، الإِخْوَةُ وَالصَّدَاقَةُ وكَافَّةُ الْمَشَاعِرِ الْإِنْسانِيَّةِ، رَوَابِطُ وَاهِيَةٌ، عكْس رَوَابِطِ المَصَالِح، قَوِيَةٌ لَا تَنْفَصِمُ عُرَاهَا، علاقتي بأعواني بنيتها على أساس المصالح لتكون قوية راسخة

في انتخابات عام ٢٠٠٥ كنت أُشرف على خمس لجان انتخابية بالقاهرة الكبرى، احدى تلك اللجان كلفني بها شخصيا وزير الداخلية وقتها اللواء حبيب العادلي، الذي استدعاني في مكتبه بالوزارة بعد ان بلغته معلومات وافية عن ولائي وكفائتي

نجح جميع من وقفت معهم بسهولة ويسر في تلك الانتخابات، بعد ان منعنا الناس من دخول اللجان الانتخابية، وملأنا أوراق الانتخابات بأنفسنا لصالح مرشحينا تحت سمع وبصر القضاة وضباط الشرطة، وفي انتخابات عام ٢٠١٠ اشرفت على اكتر من ثلث اللجان الانتخابية في عدد كبير من محافظات مصر، بجانب القاهرة الكبرى، اشرفت على لجان انتخابية مهمة للنظام، بالاسكندرية والمنصورة والسويس والشرقية والغربية والمنوفية وكفر الشيخ والاسماعيلية وأسيوط وبني سويف

صرت أشهر من نار على علم، أنا الرجل الذي ينفذ ما تتحرج أو تعجز عن تنفيذه أجهزة النظام الأمنية، أنا بكل تواضع كنت ولازلت صمام أمان، ورمانة ميزان، النظام السابق الحالي

بعد انتخابات عام ٢٠٠٥ تضاعفت ثروتي عدة مرات وصارت أكثر من مائة

مليون جنية سائلة بخلاف ممتلكاتي الشخصية من عقارات وسيارات، كافئوني بمائة فدان استصلاح زراعي جنوب بورسعيد، وكافئوني بسبعين فدان في محافظة مرسى مطروح بعضها للاستثمار السياحي على شاطئ البحر المتوسط في الشريط الساحلي بين الاسكندرية ومطروح، وأغلبها في مناطق متنوعة للاستثمار الزراعي والعقاري بالقرب من مدينة مطروح، للأسف الشديد اندلعت مظاهرات وكسة يناير عقب انتخابات ٢٠١٠ مباشرة، ومن ثم لم أتقاضى أجرا على جهودي خلال تلك الانتخابات التي أبدعت فيها أيما ابداع، ولكن جائت الرياح بما لا تشتهى السفن

يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ كنت وقتها في دبي برفقة احدى عاهراتي، كانت رحلة عمل للاتفاق على توريد مائة فتاة مصرية للعمل في منشآت سياحية وترفيهية في دبي، هاتفني كريم باشا يوم ٣ فبراير وطلب مني سرعة الحضور لمصر، لم اتشرف بالمشاركة في موقعة الجمل الشهيرة، لكني شاركت بحشد أعواني ومعارفهم للتظاهر في عبد المنعم رياض تأييدا لمبارك أيام ٥ و٦ و٧ فبراير ٢٠١١، ثم دفع بي كريم باشا إلى التحرير حيث تظاهرت مع المتظاهرين، وبنفوذ كريم باشا سجلت مع قناة فضائية حديث قصير داخل التحرير كي أثبت انتمائي للثورة، لم يكن لدى القيادة السياسية والعسكرية وقتها رغبة ملحة في دعم مظاهرات تأييد مبارك التي تجاهلتها وسائل الاعلام العالمية، كان تركيز الاعلام الغربي على متظاهري التحرير وتجاهلوا تماما مظاهرات دعم مبارك، لهذا أمرني كريم باشا بالانضمام لمتظاهري التحرير، تنحى مبارك وانفض أغلب المتظاهرين وغادروا الميدان، ثم طلب مني كريم باشا معاونة الشرطة العسكرية، أثناء اقتحامهم لفض اعتصام المخربين المرابضين في التحرير، للمطالبة برحيل المجلس العسكري الذي كلفه مبارك بإدارة شؤون مصر

انضم لنا بعض السلفيين والاخوان أثناء اعتدائنا على المعتصمين، هذه الدنيا غريبة وعجيبة، أعداء ما قبل ٢٥ يناير صاروا حلفاء لنا ضد المخربين بعد ٢٥ يناير، خلال عاما ٢٠١١ و٢٠١٢ شاركت مرارا وتكرارا في معاونة الشرطة العسكرية والداخلية أثناء صدامهم مع دعاة التخريب في التحرير والعباسية وشارع محمد محمود، إما بالتواجد بينهم لخداعهم وايقاعهم في شراك الشرطة والجيش لتصفيتهم في العباسية ومحمد محمود، أو

بمواجهتهم والتعدي عليهم وهذا ما كنت أقوم به في الثلاثة شهور الأولى في التحرير عقب تنحي مبارك، تعاون معنا وقتها الكثير من شباب الاخوان والسلفيين دون أجر بالطبع، فقد كانوا ينفذون أوامر قادتهم عن طيب خاطر، على عكس أعواني الذين تضاعفت اجورهم اليومية فوصلت ربيع عام ٢٠١٢ إلى الف جنية لقادة المجاميع حاملي الخرطوش، وخمسمائة جنية لحاملي الأسلحة البيضاء، ثم تضاعفت مرة اخرى حينما آن أوان التخلص من الاخوان، في مستهل عام ٢٠١٣، وما تلاها من تظاهرات ومصادمات معارضة لنظام الاخوان، حاصرنا رئيسهم في قصر الاتحادية، وهاجمنا مقراتهم وحرقناها ونهبناها، وحاصرناهم في مقرهم بالمقطم

بخلاف نشاطي في المظاهرات شاركت في تخليص مصر من شرور المخربين، اختطفت واغتلت وقتلت عشرات الشباب المخربين، الداعين للفوضى والمظاهرات، ماتوا بحوادث سير مفتعلة وبطعنات غادرة، أو بإلقائهم من شرفات مساكنهم بعد التأكد من وجودهم منفردين داخلها

اغرب ما قمت به خلال مسيرتي في دعم النظام المصري، هو تلفيق قضية سرقة لمدون انترنت، نذر نفسه لانتقاد النظام، وتأليب الناس على الانترنت ضد مبارك وضد النظام المصري، ذات يوم استدعاني كريم باشا لمكتبه، وأعطاني فلاشة عليها صور وفيديوهات لشاب اسمه «رامي ضرغام»، طلب مني كريم باشا ان أبحث عن طريقة لتلفيق قضية سرقة لهذا الشاب، اقترحت ان اغتاله كما فعلت مع غيره من المعارضين والمخربين، رفض كريم باشا فكرة الاغتيال، أو حتى الايذاء البدني لهذا المدون، أخبرني ان الهدف من تلفيق قضية السرقة لهذا المدون هو ان يعيش ما بقي من حياته كمجرم لإذلاله وإرغام أنفه في الوحل، نفذت أوامر كريم باشا ولفقت تهمة سرقة للمدون «رامي ضرغام»، علمت فيما بعد انه قد نال حكما بالسجن ستة شهور في أول درجة تقاضي، ثم نال البراءة بعد معارضته للحكم، مافهمته من كريم باشا ان الهدف ليس القاء «رامي ضرغام» في السجن، بل ان يسجل كسوابق في ملفات في وزارة الداخلية، ويحيا باقي حياته مشوه نفسيا نتيجة توقيفه بين الحين والآخر في الأكمنة الشرطية، وتنغيص حياته بالقبض عليه وارساله إلى النيابة بحجة الاستعلام عن قضيته، دفعني

الفضول لتصفح مدونة «رامي ضرغام»، ليتني ما فعلت، لو كان الأمر بيدي لقتلت هذا المتهور دون تردد، مدونته المسماة تلاطيش بها ما لا يقل عن خمسمائة من المنشورات والمقالات، جلها يحتوي على اشاعات وتحريض سافر على النظام، آخر منشوراته منذ يومان احتوى على أكاذيب عجيبة وأراجيف مريبة، يتهم صراحة النظام بأنه المنفذ والمستفيد من مجزرة كمين البرابرة، لو كان الأمر بيدي لقطعت أوصال هذا المأفون، أمثال «رامي ضرغام» يجب إجتثاثهم من على وجه الأرض





الاِسْمُ العَاشِرُ: العَنِيدُ

وَيْلٌ لِشَعْبٍ يُسَوسُهُ وَيَحْكُمُهُ ثُلَّةٌ مِنْ أَسْمَاءِ الإِجْرَامِ

تقول الاسطورة المجهولة، إذا اجتمع عشرة يابانيين أو ألمان اخترعوا آلة مفيدة للبشرية، وإذا اجتمع عشرة إسرائيلين أنشؤوا مستوطنة وتآمروا على إبادة البشرية، وإذا اجتمع عشرة أمريكان إخترعوا سلاح مدمر وأهدوه إلى الاسرائيليين العشرة، وإذا اجتمع عشرة مصريين ابتدعوا عشرة مذاهب، واختلقوا عشرة أحزاب، وتنافسوا وتباروا على تكفير وتعهير وتحقير بعضهم

تقول نفس الاسطورة انك إذا وضعت شخصية شهيرة ذات نفوذ مع أولئك المصريين العشرة، فسوف ترى العجب العجاب من تسابق وتزاحم هؤلاء المصريين على لعق حذاء ذو النفوذ، واتحادهم وتوافقهم على إرضائه والخضوع لآرائه، خطرت تلك الاسطورة على بالي الآن، بعد ان رأيت تعليقات المصريين على مقالتي الأخيرة في مدونة تلاطيش، كشفت بالأدلة المنطقية في تلك المقالة حقيقة المنفذين لمذبحة كمين البرابرة، كعادتي كنت أحرث في البحر

أنا على دراية تامة بنفوس وعقول من أكتب لهم مقالاتي، وأعرف طبيعة الشخصية المصرية الميالة للتنافر والتعارض مع أي فكر أو رأي يصدر من شخص مغمور مثلي، فلهذا كانت تعليقات القراء على تلك المقالة، تتنافس على معارضة وانتقاد الأدلة القوية التي أبلجتها، والبراهين التي حصحصتها، توضيحاً وتجلية لحقيقة أن المستفيد من مجزرة كمين البرابرة هو النظام وحده، وبالتالي هو المنفذ الخفي لتلك الحادثة المروعة، تنافس المصريين في تعليقاتهم على وصمي بأني تابع من أتباع الاخوان، وبأني إرهابي، صدق الشاعر عمرو بن معد يكرب حين قال في إحدى قصائده تلك الحكمة السديدة

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

لو نار نفخت بها أضاءت * ولكن أنت تنفخ في رمادِ

وبرغم إدراكي لصعوبة مهمتي بل ربما استحالتها، لكني عازم على مواصلة توعية هذا الشعب، حتى لو أمضيت وأفنيت عمري دون تحقيق مهمتي المقدسة، بتوعية المصريين وتنوير عقولهم، ودفعهم للثورة لكي يخسفوا ويسقطوا منظومة الفساد والإجرام والعمالة، عن سدة الحكم في مصر، ويقيموا دولة عدل وعلم وحرية ومساواة واستقلال، ولعمري إنها غاية ربما لن أحققها في حياتي، لكن ما قيمة الإنسان دون أهداف جليلة، ومقاصد سامية، ونوايا شريفة، وغايات باسقة

سأظل وفيا لأهدافي، حتى لو إضطررت إلى إلتقاط وجمع ألومنيوم عبوات المشروبات الغازية من الشوارع وصناديق النفايات، وبيعها بالكيلو لأقتات من ثمنها، بعد أن أفلسني وحاصرني خنازير النظام في رزقي، ومنعوني تمامًا من العمل، لكي يدفعوني للجنون أو التسول، سأظل وفيا لأهدافي وغاياتي، برغم اكتشافي لتعارضها مع إرادة الله، الذي يدعم ويساند المجرمين ويمد لهم في طغيانهم [٣٤] ، ويزيد من سطوتهم وبطشهم وتجبرهم، معللا موقفه بأنه إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وانه يُمْهِلُ الظَّالِمَ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ

للأسف الشديد أهدرت أغلب سنوات عمري مخدوعًا في الله، آمنت به وقدرته حق قدره لعشرات السنين، لم أكتشف حقيقته إلا منذ عامان تقريبًا، هل تذكرون ما أخبرتكم به من قبل عن حادثة إعتقالي الأول، نهاية عام ٢٠٠٠م، وقتها كنت على أتم

٣٤ في الفقرات التالية سيتحدث المدون عن الذات الإلهية بوقاحه متناهية، ورغم أن ايمانه بالله لا يقبل الشك، إلا انه لم يدرك الحكمة من الابتلاءات التي أنزلها الله عليه لإختباره، وبديهي انه ليس أفضل من أنبياء الله الذين امتحنهم الله بفتن وبلاءات لا مثيل لها، وأشهرهم أيوب و يونس عليهما السلام، وفي الحديث ((عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أيُّ الناس أشد بلاءً ؟، قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد صلابة، وان كان في دينه رقة خفف عنه، ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض ما له خطيئة)).، وقد تنوعت ابتلاءات الأنبيَاء في أنفسهم أو في أهليهم أو في المحيطين بهم، بالخير والشر، فمنهم من ابتلي في جسده بشتى الأمراض ومسه كل أنواع الضر لمدة طويلة، ومنهم من ابتلي في دين ولده أو والده، ومنهم من ابتلي من أتباعه فعانى منهم أيما معاناة، فاجتمع عليه معاناته مع خصومه ومعاناته من قومه، ومنهم من قتلوه، ومنهم من أخرجوه حتى التقمه الحوت، ومنهم من ألجئوه لصنع سفينة في الصحراء للنجاة ومنهم من نفوه خارج وطنه

إستعداد للتضحية بنفسي ومالي في سبيل الله، إعتقلوني لقرابة ثلاثة أشهر، أرادوا أن يلفقوا لي جريمة لم أرتكبها، كانوا يعاقبوني على نقائي، بعد أن فضحت خداع وتضليل الشيخ خالد عميل أمن الدولة، اعتقالي الأول كان في ديسمبر عام ٢٠٠٠م، اعتقلوني من مكتبتي، بقوة تعدادها تجاوز الخمسة وعشرين مسلحا، إقتحموا المكتبة على حين غرة، بطحوني أرضا، وقيدوا يداي من الخلف بأصفاد حديدية، سحلوني على الأرض وقذفوا بي داخل ميكروباص كان ضمن سبعة سيارات متنوعة هم مركبات الحملة البربرية، ساقوني إلى مكان مجهول، أشبعوني سبا وضربا وامتهانا خلال نقلي لمقرهم بعد أن أسدلوا على رأسي غرارة قماش سوداء، أنزلوني من الميكروباص، جرجروني إلى مكان مجهول، وهم يتنافسون على ركلي وضربي وسبي ولعني، نزعوا عني حذائي وتركوني حافيا ورفعوا كيس القماش الأسود عن رأسي، وجدت نفسي في غرفة فارغة متوسطة المساحة إضائتها شاحبة حد العمى، غادروا الغرفة وتركوني وحيدا، لوهلة حاول الخوف ان يتسلل لنفسي فإستبدلته بالغضب والكره والعناد وهما أفضل البدائل للخوف

تلفت حولي أتفحص الغرفة بصعوبة شديدة بسبب الاضاءة الخافتة، بلاط سيراميك رخيص، وحوائط أسمنتية ملوثة بعبارات كتبها معتقلين سابقين، أغلب تلك العبارات مطموس بفعل فاعل، وبقية العبارات تبدو باهتة وقرائتها في تلك الاضاءة الخافتة تتطلب تدقيقا مجهدا، قرأت على الحائط سؤال إستغاثي «أين انت يا الله؟» كتبه أحدهم بسخام أسود باهت ربما يكون من بقايا سجائر محترقة كتلك التي أراها منثورة على أرضية الغرفة، إستغفرت ربي في نفسي فقد تأثرت بتلك العبارة البائسة

جلست على الأرض بصعوبة فقد كانت قيودي الحديدية لازالت تحيط بيدي، مرت قرابة ساعة تدبرت خلالها ما حدث لي، أدركت أن سبب اعتقالي هو فضحي ورفضي لخطة الشيخ خالد، الذي أراد مني أن أشارك في قتل ونهب جواهرجي مسيحي، تيقنت انه عميل لأمن الدولة، مرت ساعة اخرى، إسترجعت فيها ما سبق لي ان قرأته في منتديات المجاهدين الفلسطينيين، عن تجاربهم في أسر قوات الاحتلال الاسرائيلي، ضممت يداي المقيدتان إلى صدري واضطجعت على ظهري مستلقيا فوق

البلاط البارد، تظاهرت بأني قد غفوت، لبعض الوقت مطمئن البال، رافعا ساقا على ساق، أعلم انهم كانوا يراقبوني، ولهذا توخيت أن أبعث لهم رسالة بمعالم شخصيتي، ثابت النفس غير خائف مما قد يحدث، ولا أبالي بحياتي، ولا أكترث بسطوتهم وجبروتهم

اعلم ان في مثل هذه الظروف ينهار الجميع، لكني أبدا لم أكن يوما أشبه الاخرين، بعد ساعتان تقريبا قضيتها في تلك الغرفة وعقب دقائق من استلقائي مضطجعا، انفتح الباب فجأة واقتحم الغرفة ثلاثة رجال ملامحهم شيطانية تزيدها ظلال الضوء الشاحب إجراما وأبلسة

- انت جاي تنام هنا يا ابن المتناكة، فاكرها استراحة كسمك

أمطروا جسدي المضطجع بشلال من الركلات، لم أستطع النهوض من ضجعتي فتكومت على نفسي متألما دون صراخ، اعترضت على ما يحدث وان هذه معاملة لاإنسانية، زجرني أحدهم، وانتقصني وقال لي بأني هنا لست إنسان، وان اسمي هو تسعمائة وسبعة عشر، وتوعدني بالويل والثبور ان نسيت اسمي الجديد وذكرت الاسم الذي أطلقه عليَ أهلي، دخل رجل رابع إلى الغرفة وكان يبدو من مظهره أنه ضابط، أستغثت به من بطش أعوانه وأنا احاول التماسك، وسألته عن سبب إلقاء القبض علي، باغتني بأني متهم بتنفيذ هجوم ارهابي على متجر مصوغات في حي الزيتون بالقاهرة، ترتب عليه قتل الجواهرجي المسيحي مالك ذاك الحانوت، ونهب محتويات دكانه من الذهب، طلب مني رابعهم الضابط الاعتراف بالتهمة لأحافظ على سلامتي، طبعا أنا لم أشارك في أي حادث ارهابي لا قبل تلك اللحظة، ولا بعدها، لهذا دافعت عن نفسي وقلت بلهجة بها الكثير من العناد والتحدي

- أنا بريء وانتو متأكدين وعارفين كده كويس، أما لو كنتوا مش عارفين تقدروا تسألوا جيران مكتبتي، هيقولوا إني بفتح المكتبة سبع أيام في الاسبوع وبقعد فيها بنفسي طول اليوم، ومبقفلهاش إلا وقت الصلاة، وبالليل بروح أنام في شقتي الصغيرة وتقدروا تسألوا جيراني، يبقا ازاي وامتى روحت القاهرة وسرقت وقتلت الراجل اللي بتقولوا عليه؟!

ابتسم الضابط ببرود واستهزاء، ثم وبخ أتباعه على فشلهم في تهذيب تسعمائة وسبعة

عشر، يلمزني بالإسم الذي أطلقه على أحد أعوانه منذ قليل، أمرهم بإكمال ما كانوا يقومون به، تنافس الشياطين الثلاثة على ضربي بغيظ وحقد بعد أن وبخهم سيدهم وبكتهم بسببي، بتأثير آلام ضرباتهم المبرحة أمطرتهم بسيول من السباب واللعنات، إستمروا يضربوني ساعة أو أكثر، تمزقت ثيابي وتلوثت بدمائي، فقدت الوعي من قسوة ركلاتهم وضرباتهم المؤلمة، ولم أفقد تماسكي وثباتي وعنادي

إستعدت الوعي بعد فترة أجهل مدتها، جسدي بأكمله يئن من آلام رهيبة، للوهلة الأولى لم أتذكر ما حدث ولا أين أنا، ثم ببطء بدأت أستعيد الوعي تدريجيا بمكاني، لم أفتح عيوني بسبب تورهما، أعملت الفكر لتحليل موقفي، قررت أن أصمد حتى لو فقدت حياتي، لن أسمح لهؤلاء الأوغاد بالانتصار علي، سأسخر منهم قدر استطاعتي لأهزمهم نفسيا كما سيهزموني جسديا، هم بالفعل يقبضون على جسدي ويسيطرون عليه، لكنهم لن يسيطروا أبدًا على روحي ما كنت حيا

تململت في رقدتي بتأثير الآلام المبرحة، حاولت تحسس جسدي للتعرف على مدى الضرر الذي أصابني، انفتح باب الغرفة فجأة ودخل رجلان، بالطبع كنت تحت الرقابة ولاحظوا أني استعدت الوعي بعد تململي في رقدتي، سألني وغد بلهجة عنيفة

- أخيرا صحيت يا كلب، تقدر تمشي ولا نجرجرك

- الكلب أفضل وأطهر مليون مرة من كل الخنازير اللي شغالين في المكان النجس ده

اكتفيا بالبصق علي، وتوعدي بالويل والثبور وعظائم الامور، يبدو انهما لم تصدر لهما أوامر بضربي، وليست لديهما صلاحية لاتخاذ مثل هذا القرار، صرخ أحدهم بوحشية مرعبة

- قوم فز يا لمض ولا تحب نقومك بطريقتنا

حاولت النهوض من رقدتي، أعاقني القيد الذي لازال يحيط بمعصما يداي، نجحت في النهوض فوضع أحدهم كيس قماش أسود على رأسي، وسحبني من رقبتي وأخرجني من الغرفة، سار بي في عدة ممرات وهو يدور بي في دوائر ليوهمني بفساحة وضخامة مكان اعتقالي، ثم أدخلني لمكان آخر، نزعا الكيس عن رأسي وغادر الرجلان، كانت غرفة

أكبر من التي أخرجاني منها منذ دقيقة، تشبهها في الضوء الحالك، وتختلف عنها بأن بها مكتب صغير، وعدة مقاعد متناثرة، وفي أحد اركانها سرير معدني غريب الشكل، وبجواره جهاز يشبه أجهزة اللحام بالكهرباء، وموصول بمخرج الكهرباء بالحائط، ويتفرع منه عدة كابلات غليظة تشبه كابلات اللحام الكهربائي

إنفتح الباب مجددا بمجرد جلوسي على أحد المقاعد، ودخل خمسة رجال، خمنت ان أوسمهم ضابط، ملابسه انيقة بعكس الأربع جلاوزة المرافقين له، هؤلاء الأربعة وأمثالهم من الجلاوزة معاوني الضباط أذواقهم في الملابس كأذواق سائقي النقل الثقيل، وملامح وجوههم قاسية ونظرات عيونهم شيطانية، شعرت بالغيظ والكره نحوهم، وهو شعور معاكس لما يشعر به اي إنسان في مثل هذا الموقف، غيري كان سيضطرب خوفا وهلعا، ربما تتعجبون مما أحكيه وربما لا تصدقون ما أقوله، لكن الفضل لثباتي وجرأتي يرجع لأبي الذي زرع في نفسي منذ صغري خوف من نوع غريب، حولني أبي لإنسان يخاف ان يشعر بالخوف، بعد ان توسعت مداركي بقراءاتي المتنوعة في القرآن والتفسير والفقة والحديث صرت اخاف من الله وحده، ولكن شجاعتي وثباتي و"لاخوفي" هما ميراثي الغالي عن أبي، أعدت صهر الميراث في بوتقة عنادي

لم انهض عن المقعد رغبة في إثبات صلادتي وعدم إكتراثي بهم، انتزعني الخنازير الأربعة عنوة من المقعد وألقوني على السرير المعدني الغريب، فكوا القيد الحديدي من يد واحدة، ثم وضعوا فيها وفي قدماي ثلاثة قيود اخرى، صلبوني من القيود الأربعة على ذاك السرير، تناهي لسمعي عويل شخص في مكان ما خارج الغرفة يصرخ طالبا الرحمة ويقول بأنه سيعترف لهم بكل ما يطلبونه، نظر نحوي الضابط الذي كان يرتدي نظارة شمس تخفي نصف وجهه، تعجبت كيف يبصر بتلك العدسات القاتمة في ضوء معتم، زأر الضابط بصوت كالرعد

- هتعترف يا ارهابي يا نجس بجريمتك وتمضي عالقضية من سكات، ولا هتتعبنا وتخلينا نوريك اللي عمرك ما شفته

- الله يلعنكوا يا خنازير، أنا معملتش حاجة وانتوا عارفين ومتأكدين من كده

تجهم وجه الضابط، ولمعت عيناه من تحت النظارة بشرارة غيظ ارتسمت على ما ظهر من ملامح وجهه، أشار الضابط لأعوانه بيده دون ان ينبس ببنت شفة، تلك كانت اشارة البدء بتعذيبي بصعقات الكهرباء، تبين لي الآن أن الجهاز الغريب المريب المجاور للسرير لم يكن سوى اداة للتعذيب بالكهرباء، رشوني بالماء البارد وكنا في نهاية شهر ديسمبر فإرتجفت، صعقني أحدهم بكابل الجهاز في اصابع يدي عدة مرات ثم في شفتي عدة مرات، تألمت بفظاعة لا تخطر على قلب ولا عقل من لم يتعرض للصعق بالكهرباء، وبدلا من الصراخ قذفتهم بسيول منتقاة من اللعنات والشتائم، بعد عدة صعقات اعتدت على الألم قليلا، وأردت أن أحبطهم ومن ثم صرت أسخر منهم ومن الكهرباء التي يعذبوني بها واتهمهم بارتكاب الجريمة التي يحاولون تلفيقها لي، احترق إبهام يدي اليسرى، صرخت فيهم بغيظ وغضب عارم مغلف بإستهزاء

- الله يلعنكم ويزيدكم غباء على غباء، بتعذبوني بدل ما ترفعوا البصمات من مكان الجريمة، وتستجوبوا شهود الحادثة، عشان توصلوا للعربية اللي هرب بيها الجناة من مكان الجريمة، وبدل ما توصلوا الكهربا للقرى المحرومة، بتكهربوني بيها يا شوية فشلة، ده بدل ما تعملوا تحريات ميدانية وتدوروا على المجرمين، الفول المدمس طمس على عقولكم وخلاكم تكهربوني عشان اعترف بجريمة معملتهاش يا شوية خنازير، ربنا يفضحكم ويلعنكم دنيا وآخرة، يظهر ان انتو اللي نفذتوا الجريمة وبتلفقوها للأبرياء

أمرهم خامسهم بلهجة حازمة

- مش عايز تبان على جسمه علامات حروق، الواد ده هيتحاكم ولو اشتكانا للقاضي القضية ممكن تبوظ، واشتغلوا على المخاصي

- تمام يا باشا هجيب الجيل واحطه عليه

أجابه أحد الرجال الأربعة وخرج من الغرفة، إلتقطت أنفاسي بصعوبة فقد بدأ جسدي يخذلني، عاد الرجل بعد لحظات ومعه عبوة شفافة كبيرة بها ما يشبه الجيل الذي يوضع على الشعر، وضع القليل منه على عضوي وخصيتاي ثم صعقوني بالكابل الكهربائي مجددا لكن تلك المرة كان الصعق في عضوي وخصيتاي، هبت من فمي عاصفة سباب وسخرية واستهزاء بالخمسة خنازير وقادتهم الملاعين، بعد زمن مر كالدهر

شعرت بإنهاك هادم في جسدي، وتقريبا عجزت عن الكلام وعن سبهم ولعنهم، استمروا يعذبوني بغباء ووحشية، فقدت الوعي من قسوة آلامي التي لم يتحملها جسدي، أفقت على يد تضع على أنفي قطعة قطن بها رائحة نفاذة، غالبا مادة كيمائية تستخدم لإفاقة فاقدي الوعي، يبدو من مظهر ذلك الشخص انه طبيب، فقد كانت السماعة الطبية معلقة على عنقه، نظرت لهم بعيون زائغة وعقل شبه غائب وغرقت في نوم كالغيبوبة

تسللت لأنفي رائحة نتنة، فظننت للوهلة الأولى أني توفيت وتعفن جسدي، استعدت الوعي ببطء، تلفت حولي بنصف عين لأجدني في زنزانة ضيقة كسنين يوسف، مع شابان نائمان مثلي على الأرض دون غطاء، لم تتحطم روحي برغم تحطم وانهيار جسدي، سأنتصر عليهم برغم اعتيادهم على النصر واغترارهم بقدراتهم، تجبرهم وقدرتهم وانتصاراتهم الدائمة هي أهم اسباب هزيمتهم النكراء أمامي حتى الآن، سأنتصر عليهم بالغضب والعناد والكراهية والسخرية، تحسست جسدي فقد كانت يداي طليقتان دون قيد حديدي

انتبه الشابان النائمان لحركتي، جلسا في مكانهما، وهنآني باستعادة الوعي، عرض علي أحدهم قطعة جبن ورغيف خبز، رفضت الطعام وقلت لهما بأني سوف اضرب عن الطعام، حتى أقصر عمري على معذبيني، سأهزمهم بصمودي وموتي، اعترض الشابان على فكرة الاضراب التي ستؤدي للموت، قالا انه قتل للنفس وانتحار وكفر، فدافعت عن قراري بأن اضرابي عن الطعام هو دفاع شرعي عن النفس، لكي أصون جسدي الذي يستبيحه الخنازير بوحشيتهم وإجرامهم، قص علي الشابان معاناتهم من التعذيب البشع الذي تعرضا له، اعترفا على أنفسهم بجرائم لم يرتكباها، قالا انهما هنا منذ عدة شهور، ولا يعرف ذويهم مكان اعتقالهم، وقالا بأن حالهما الآن افضل بعد ان توقف التعذيب، تعجبت غاية التعجب، ألهذه الدرجة وصل التشابه والتطابق بين أساليب التعامل مع المعتقلين في أمن الدولة المصري مع أساليب الموساد والشاباك الاسرائيلي!؟! ، لقد وضعوني في غرفة الفئران، سألت الشابان ساخرا

- يا ترى بتاخدوا مرتبات كويسة على وظايفكم دي ولا بيرمولكم الفتات؟!

- مش فاهم تقصد ايه

- مش دي برضه اوضة الفيران، اللي بيمثلوا دور معتقلين، عشان يا إما يستدرجوا المعتقل للاعتراف لو كان بالفعل ارتكب جرم، أو في حالات تانية زي حالتي دي يقوموا بإحباطه وتخويفه، ودفعه لليأس عشان يخاف ويعترف بكل اللي أعدائه عايزينه منه، مجوبتوش على سؤالي، بتاخدوا مرتبات كويسة على وظايفكم دي ولا بيرمولكم الفتات!؟!

بهت وجه الفأر الأصغر خجلًا، بينما أقسم الفأر الاكبر على انهم بالفعل معتقلان، كان ما يرويانه يفتقد للمنطق، اعترفا بجريمة ومن ثم تمت محاكمتهم، وبرغم ذلك كانا معتقلان في هذا المكان اللعين، فلماذا لم يسجنا في سجن عمومي، انفتح باب الزنزانة ودخل رجل كبير في السن بشوش الوجه، ونادى على بالاسم الذي يحاولون إلصاقه بي، تسعمائة وسبعة عشر، تجاهلت الرد عليه بعناد، فأشار لي بأن أنهض

أخرجني الرجل من الزنزانة وسار بي في ممر طويل، تتناثر على جنباته زنازين ضيقة، يصل لسمعي خليط من بكاء ونحيب وهمسات المعتقلين في تلك الزنازين، ادخلني الرجل البشوش إلى غرفة في نهاية الممر وأغلق علي الباب، للمرة الأولى مشيت في هذا المكان دون غطاء على عيني، ودون قيود في يدي، كنت في غرفة مكتب ذات اثاث متوسط المستوى، جلست على مقعد، ثم دخل ضابط باسم الوجه، يختلف عن الضابطان السابقان، اللذان أمر أحدهم بضربي لاجباري على التوقيع علي تهمة ملفقة، والثاني عذبني بالكهرباء في عضوي وخصيتي لنفس الغرض الخبيث، جلس الضابط على مقعده وابتسم لي بود، وخاطبني بإسمي للمرة الأولى والأخيرة في هذا المكان اللعين

- أنا عارف يا رامي إنك مكلتش من ساعة ما جابوك هنا، أنا هتعشا دلوقتي وعازمك تاكل معايا

- اشكرك يا فندم أنا مش عايز آكل ولا اشرب أنا عايز أخرج من هنا

- عيب عليك ترفض عزومتي، انت باين عليك بخيل

- معلش أنا آسف جدا مش هقدر آكل معاك، أصل نفسيتي تعبانة شوية

لم أنخدع ولو للحظة واحدة في تظاهر هذا الضابط بالمودة والطيبة، ضغط زر على مكتبه فدخل شاب صغير السن ربما كان مجند، أمره الضابط بإحضار عشائه ويطلب

من الطباخ مضاعفة الوجبة، انصرف الشاب واغلق الباب خلفه

بدأ الضابط يثرثر معي في مواضيع عامة دون ان يتطرق إلى القضية التي كانوا يحاولون تلفيقها لي، ثم أثنى على صمودي وصلابتي، وسب الضابطان اللذان حققا معي قبله، واتهمهم بالهمجية والتهور، ثم قال انه مقتنع ببرائتي، لكن قادة الجهاز مصرين على الزج بي في هذه القضية، رغم كل كلامه المعسول لم ينطلي مكره وخبثه على عقلي، كنت تقريبا أرى ما بداخل نفسه من خداع

أحضر الشاب صينية كبيرة، رصت عليها صحون أطعمة شهية روائحها مغرية، وضع الشاب الصينية على المكتب، واستأذن للذهاب إلى البوفية واحضار مشروبات غازية، انصرف الشاب وبدأ الضابط في إلتهام عشائه ليغريني، وقال انه لن يلح علي بتناول الطعام معه، واني حر في اتخاذ القرار الذي يرضيني، ثم نصحني بالانحناء للريح حتى لا تعصف بي، قال ان مرونتي ستنجيني من الأذى، وإذا اعترفت بالتهمة فسوف أقي وأصون نفسي وأهلي من سوء العذاب والمهانة، كلامه الودي المعسول كان يحمل ضمنا تهديد مستتر، لم يسيل لعابي لإغراء الطعام والشراب، ولم يسيل أَيضًا لإغراء النجاة من العذاب المشفوع بتهمة ملفقة ستحفظني من الهلاك، وستحولني لأسير كسير ذليل

- انت شاب محترم وذكي وشجاع يا رامي وخسارة إنك تموت هنا بين ايديهم، خصوصا ان كل إنسان في الدنيا له قدرة على الصمود وبعدها بينهار، بلاش تعاند معاهم وحافظ على نفسك ووالدتك واخواتك من أذاهم، ومتنساش ان ربنا قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

رغم التهديد المستتر تظاهرت بإنخداعي التام في شخصه، آثرت ان أخاتله كما يخدعني، وأن أغرس في نفوسهم اليأس من إخضاعي والسيطرة علي روحي

- بص يا فندم، أنا متشكر جدا وممنون لعطفك وزوقك وطيبتك، بس أنا مستحيل اسمح لأي مخلوق انه يذلني ويجبرني على أي شيء، أنا مش بخاف إلا من ربنا، ومش بخاف إلا من إني أخاف من أي شيء سواه

- أنا عارف إنك شجاع بس خليك مرن عشان متتكسرش

- للأسف دماغي جزمة قديمة، عنادي ممكن يوصلني للموت ومش هيفرق

معايا تعذيبي أو هلاكي، أنا ممكن أدي عينيا للي يطلبها بأدب، لكن اللي يستقوي عليا مستحيل أسيبه ياخد مني أي حاجة، مهما كانت تافهة، فما بالك بأنهم عايزين ياخدوا مني حريتي، ويلبسوني تهمة أنا برئ منها ويرموني في السجن، أنا طير حر ومستحيل أعيش مسجون جوا قفص، الموت أهون عندي من فقد حريتي أو الخضوع لأي مخلوق، مبخفش غير من ربنا وحده، والدنيا متسواش عندي جناح بعوضة

- طيب وأهلك ذنبهم ايه لما يعذبوهم بسببك يا رامي

- بيني وبينك هفرح فيهم لو اتعذبوا بسببي، لو تعرف أد إيه امي طلعت عيني، هتعرف انهم ولا يفرقوا معايا ببصلة، خصوصا أخويا الغبي، اللي سمحلها تزرع في قلبه الكره ناحيتي، مع إني كنت بحبه اكتر من نفسي

بهت الضابط وأسقط في يده، بالطبع كنت أخادعه، فبالرغم من حنقي على أمي وغيظي من شقيقي، إلا أني لا يرضيني أن أراهم بين أيدي هؤلاء الخنازير الكفرة، لكني قررت أن ألاعبهم هؤلاء الملاعين بدهاء، وأستغليت خلافاتي مع والدتي، لكي أحميها واحمي شقيقي من إجرام وأذى هؤلاء المجرمين الملاعين

فجأة انفتح باب المكتب ودخل ضابط كبير في السن، وبوجه قاسي ونبرة حازمة، وجه سؤال للضابط الذي كان يتظاهر معي بالطيبة

- مين سلمك ملف قضية الكلب ده

- نائب المدير هو اللي كلفني من حوالي ساعة بقضية رامي

- المدير كلفك دلوقتي حالا بمأمورية عاجلة في رفح، سلم ملف المذنب تسعمية وسبعتاشر لسكرتير المدير عشان يكلف بيها ظابط تاني

غادر الضابط الكبير الغرفة مسرعا، وعدني الضابط الودود بأنه بعد عودته من المأمورية سيحاول مساعدتي، ضغط الضابط زر على مكتبه، دخل الشاب الذي أحضر منذ قليل العشاء وخلفه عتلان، إعتقل أحدهم يداي بالاصفاد، أما الآخر فوضع كيس القماش الأسود المعتاد على رأسي

أخرجاني من ذاك المكتب، وداروا بي كعادتهم في ممرات، ثم أدخلوني لمكان ما ونزعوا الكيس القماشي عن وجهي

وجدت نفسي في حجرة بها ثلاثة رجال، أحدهم كالعادة أنيق وهو كما نتوقعون الضابط المشرف على التعذيب، أو كما يطلقون عليه المحقق، قصير القامة في حوالي الأربعين من العمر، يخفي وجهه القمحي خلف نظارة ضخمة، لكن ما يميزه هو شعره البني الناعم الخفيف جدا، وبقعه بيضاء بحجم حبة أرز في شحمة أذنه اليمنى لمحتها بصعوبة، أما المعاونان فأحدهم لم يتجاوز الثلاثين، والآخر تجاوزها بعام أو عامان على أقصى تقدير، خيرني الضابط بين الاعتراف بجريمتي المزعومة، أو أن يغتصبوني ويحولوني إلى "خول" شاذ جنسيا، وتوعدني بأني في نهاية المطاف سأعترف بالتهمة، جفل عقلي لثانية واحدة بتأثير التهديد بإغتصابي، ثم استعدت رباطة جأشي

نسيت ان أخبركم بأني منذ دخولي لهذا الوكر اللعين حدثت تغييرات عجيبة بجسدي، وقت أن طحنوني ضربا في المرة الأولى شعرت كما لو كان جسدي يفرز مخدرا، وتكرر هذا عقب وأثناء كل التهديدات التي واجهتني في هذا المكان اللعين، اكتشفت هذه التغييرات بوضوح أثناء تعذيبي بالكهرباء، وأيضًا في تلك اللحظة التي هددني الضابط فيها بالاغتصاب، من الصعب بمكان ان اشرح لكم طبيعة تلك التغييرات، كنت اشعر كما لو كنت دخنت كمية هائلة من الحشيش المغربي، المصنوع من نبات القنب الهندي، بحسب تجاربي اللاحقة أعرف أن الحشيش المصري مصنوع من مواد كيمائية كالبنج والكلولوفورم والماكستون فورت وبرشام الترامادول، يخلطوا بعجينة الحنة وجوز الطيب والعسل الأسود، ويجففوا في درجة حرارة متوسطة، والناتج هو ما يشتريه المغفلين في مصر على انه حشيش، وكما تعلمون القنب هو نبات مخدر يؤثر على الجهاز العصبي والمخ بتأثيرات متضاربة فهو ينبه المخ ويخدره

ولتوضيح الفكرة أكثر عن القنب فهو ينشر الخدر والتنميل في الجسد، ويقلل الإحساس بالألم، وفي نفس الوقت يحفز المخ ويفتح أمام مصراعيه منافذ جديدة للرؤية، ويجعل الإنسان يشعر بقدرة هائلة على الفهم والادراك العميق لكل ما يحيط به بسرعة غير عادية، نتيجة تأثيره بالشعور ببطء الزمن، كما يعطي احساس بالفحولة الجنسية فبضع دقائق من الممارسة الجنسية تبدو كبضع ساعات نتيجة بطء الزمن في عين متعاطي القنب أو الحشيش الأصلي أو الماريجوانا، باختصار داخل مقر اعتقالي

حين وجود تهديد على حياتي، كنت أصاب بحالة غريبة، تكون قدرة عقلي على التفكير في دقيقة واحدة تساوي قدرته العادية في ساعة كاملة، وقتها لم أعرف تفسير ما يحدث بجسدي رغم امتناعي عن تناول أي طعام أو شراب داخل مقر اعتقالي، وأيضًا لم أكن مدخن وقتها، وبالتالي لم أكن تحت تأثير أي مواد مخدرة قد يدسوها لي، حينئذ اعتقدت أن ما يحدث لي من تغييرات هو منحه اختصني بها الله، فيما بعد عرفت من قراءاتي المتشعبة ان العلماء ٣٥ اكتشفوا ان الجسد البشري عند تعرضه للألم أو الإجهاد أو الفزع، يقوم بإعطاء أوامر لخلايا الدماغ والغدة النخامية، بإفراز مادة الاندروفين كنوع من انواع ردود الأفعال التلقائية، لتخفيف حدة التوتر في الجسد، وتأثير الاندروفين شبيه بتأثير المورفين والحشيش ويحسن مزاج النفس البشرية ببث الاطمئنان فيها، وعقب الشعور بالإطمئنان تكون قدرة المخ على التفكير أعظم وأنفع من قدرته أثناء التوتر

داخل تلك الغرفة تضاربت وتصارعت الافكار في رأسي، بعد أن هددني الضابط بالاغتصاب، كان جسدي تحت سيطرتهم ولا أملك وسيلة لحمايته، سيغتصبوني عنوة رغما عن أنفي، حتى لو اعترفت بجريمة لم ارتكبها، لأني لو اعترفت خوفا من الاغتصاب فحينها سيدركون ان هذه هي نقطة ضعفي

بالطبع هؤلاء الملاعين كانوا سيستغلون أي نقطة ضعف وينفذوا منها، والاغتصاب احدى وسائلهم العديدة لكسر إرادة الضحية وإذلالها والسيطرة عليها، استغثت بالله في سريرتي وسألته أن ينجيني من أيديهم بحوله وقوته، تضرعت لله في نفسي متوسلا بخوفي منه وحده، وأني لا أشرك خشيته بخشية سواه، إبتهلت لله بصدق نيتي في نصر دينه، ومجاهدة دولة الطواغيت التي يهيمن عليها عصبة من الشياطين والعملاء الخونة، الويل كل الويل لشعب غافل عما يحيق به، وَيْلٌ لِشَعْبٍ يَسُوسُهُ وَيَحْكُمُهُ ثُلَّةٌ مِنْ أَسْمَاءِ الإِجْرَامِ، والويل لي لو لم أفتنهم في قوتهم، وأهزأ بهم وأتلاعب بعقولهم، ليس بيدي سوى أن أوهن عزائمهم وأستفزهم وأسخر منهم وأهينهم، نزعوا عني ثيابي التي تمزقت خلال ضربهم لي أول مرة، ثم زادوها تمزيقا أثناء صعقي بالكهرباء، وأخيرًا هتكوا

٣٥ (ينتج الدماغ مادة تسمى الإندورفين وهي مسؤولة عن تخفيض الألم والتوتر. وتعرف هذه المادة باسم قناع الغبطة) بروفيسور ألن هيرش، مدير مركز الأعصاب في شيكاغو

أسمالي إربًا، صرت عاريا كما ولدتني أمي، بطحوني عنوة على مقعد معدني، وقيدوا يداي وقدماي في أرجل ذاك المقعد العجيب، رفعت رأسي قليلا ونظرت في وجوههم وسخرت منهم بعناد كي أفت في عضدهم، وأثبط عزيمتهم، وأوهن تجبرهم وسطوتهم

- أنتو عارفين طبعا ان أي حد بيستمتع باللواط حتى لو هو اللي بينيك بيبقا أصلا إتناك وهو صغير، حتى اللي بيدي الأوامر والقادة بتوعكم اللي عارفين باللي بيحصل وموافقين عليه، كلكوا اتنكتوا وانتو صغيرين

- اخرس يا ابن الشرموطة خالص

- صحيح هتغتصبوني بس ده هيتم رغما عن ارادتي، صحيح هتناك بس هتناك غصب، الدور والباقي عليكو بتتناكوا ليل نهار بإرادتكم الحرة يا شوية خولات إتناكت لما إتكرعت، وانت يا أوزعه يا ابو سمره تلاقيك قبل ما تبقا ظابط إتنكت وانت صغير في المدرسة من كل زمايلك، المفروض الجهاز بتاعكو يبقا اسمه جهاز خولات أمن الدولة

في منتصف قولي السابق تنافس الثلاثة بما فيهم الضابط على ضربي وركلي بأيديهم وأرجلهم أولا، ثم ضربني الضابط بطبنجته على ظهري عدة مرات، تلويت من الألم رغم القيود في أطرافي الأربعة وعنقي، وعدت لسابق عهدي أسبهم وأنعتهم بأبشع الصفات أثناء تعرضي للركل، أمرهم الضابط بالكف عن ضربي، ثم نظر نحوي بغيظ وقال بنبرة هادئة مخيفة لن انساها ماحييت

- واضح جدا ان محدش هنا عرف يستأنسك ويربيك، أنا بقا إللي هكسرك وهخليك تبطل لماضة وقلة أدب وهتمضي عالاعترافات زي أي كلب دخل هنا قبلك، علقولي الكلب ابن الشرموطة ده

فكوني من قيودي بالمقعد وأنهضوني، قيدوا يداياي فقط بالأصفاد، وعلقوني في سلسلة بالانكو ٣٦ كهربائي متدلي من حلقة بسقف الغرفة، رفعوني مثل ذبيحة مدلاة في حانوت جزار وصرت معلق في الهواء، وتبعد قدماي عن الأرض نصف متر، مرت نصف ساعة شعرت فيها بمفاصل كتفاي وكوعاي ومعصماي يتمزقان وتخرج العظام من مواضعها وشعرت بأني جسدي استطال وكاد يصل إلى الأرض، ضغط أحد

٣٦ البالانكو رافعة بجنزير تستخدم في ورش اصلاح السيارات لرفع وإخراج الموتور من مكانه يدويا وتوجد منه انواع كهربائية تستخدم في المصانع لرفع الأثقال عن الارض

الجلاوزة على زر ريموت وانزل سلسلة البلانكو قليلا، صارت أطراف أصابع قدماي تلامس الأرض بصعوبة، نزل جسدي من علو وأصبح في متناول أيديهم، انهال الضابط على جسدي ووجهي بالضرب المبرح مستخدما عصا غريبة الشكل لونها أسود لا تترك أثرا ظاهرا بالجلد، لكن الآلام الناتجة عن ضرباتها لا مثيل لشدتها، كادت عظامي ان تتفصص من اللحم بتأثير ضربات تلك العصا التي أظنها حديدية مغلفة بمادة لدنة، إحتلت ابتسامة كبيرة وجه الضابط القبيح عندما نزفت الدماء من وجهي ورأسي بغزارة، توقف الضابط عن الضرب، وبنبرة كحفيف الأفاعي توعدني بعذاب أفظع من الموت، وهو يبتسم لي ابتسامة خبيثة سرحت في قسمات وجهه وتحمل بين طياتها بغضاء شيطانية، توشك أن تحرق الغرفة بمن فيها

بعد قرابة ساعة تراخت ووهنت ضربات الضابط، بعد ان أنهكه التعب، ابتعد عني وحل محله أحد أعوانه، ليكمل ضربي بقسوة أشد من قسوة سيده، كالعادة التي تعلمتها من تجربتا التعذيب السابقتان تألمت بشده في بداية الضرب، ثم فجأة يثبت الألم عند مدى معين لا يتجاوزه، ويبدأ جسدي في التكيف مع الألم وإحتماله، وبعد فترة تظهر علامات الإنهاك، بسبب إجهاد المخ في بذل جهود مضنية لتخدير الجسد بإنتاج الإندروفين، وهنا تظهر مرحلة زوغان البصر والهلوسة العقلية، وعدم القدرة على التركيز في الكلام، ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي مرحلة فقدان الوعي

العامل النفسي كان له دور كبير جدا، في قدرتي الكبيرة على تحمل الآلام المريعة، العناد والرغبة العارمة في الانتصار، والغضب والرغبة في التحدي ورفض الهزيمة والانكسار، تلك كانت دوافعي التي جعلتني أتحمل آلام، لن أستطيع وصفها لكم مهما أوتيت من بلاغة، بتأثير مشاعري نحو معذبيني كان جسدي يتأقلم مع الآلام الشديدة لبعض الوقت، ثم تنفذ طاقته على المقاومة، ويذهب في اغمائه [٣٧] ليستعيد قوته على المقاومة من جديد بشكل تلقائي، إرادتي العنيدة هي مفتاح إنتصاري على المجرمين والآلام، فقدت الوعي

أفقت على يد طبيب مجرم، علق لي محلول في وريدي، لم يكن معي في الغرفة سوى

---

٣٧ يحدث الإغماء في جسد ضحية التعذيب بتأثير التوتر الشديد في الجهاز العصبي عندما يختل التوازن بين الادرينالاين المحفز وأسيتيل كولين المثبط

ذاك الطبيب المجرم، ذكرته بأنه ذات يوم أقسم قسم أبقراط الذي تعهد فيه أمام الله أن يصون حياة الإنسان في كل الظروف والأحوال، وأن يبذل وسعه لإنقاذ حياة الإنسان من الموت والمرض والألم والقلق، وأن يحفظ للناس كرامتهم، ويستر عوراتهم، وأن يكون على الدوام من وسائل رحمة الله، ويقدم الرعاية للصالح والطالح، والصديق والعدو. وأن يسخِّر علمه لنفع الإنسان لا لأذاه. كصخرة صماء تجاهل الطبيب تأنيبي له

عاد الضابط وعلى وجهه ابتسامة خبيثة وخلفه معاوناه، أحدهم كان يدفع أمامه منضدة دورين، رصت عليها أدوات وآلات متنوعة، كتلك المستخدمة في ورش اصلاح السيارات، ارتفاع المنضدة متر ونصف ولها أربع عجلات، والمعاون الآخر كان يجر خلفه مقعد من أغرب ما رأيت، يشبه إلى حد ما مقاعد الكشف في عيادات اطباء الاسنان، له أربع عجلات يتحرك عليها وبجانبيه مسندان لليدان، وتحت اقدام ذاك المقعد مسند مماثل لمساند كراسي المعاقين، هيكل المقعد معدني فضي، وموضع الجلوس عليه مصنوع من لدائن بلاستيكية رصاصية اللون، تبدو مصمتة كالصلب، ومرتبط به خمسة احزمة سوداء غليظة في المسندان وخلف الرقبة ومكان القدمان

- قعدوه على كرسي السلطان

كنت في حالة يرثى لها ومنهك بسبب الاضراب عن الطعام والتعذيب المضني، أنزلني المعاونان إلى الأرض عاريا كذبيحه مسلوخة، أطلق أحدهم يدي من الأصفاد، تهاويت أرضا كخرقة بالية فحملوا جسدي وأجلسوني على ذاك المقعد الغريب، واعتقلوا يداي في المسندان بقيوده الجلدية العجيبة، وكذلك اعتقلوا قدماي في موضعهما بقيود أرجل المقعد، ثم أحكما قيد ظهر المقعد على عنقي وصدري، ظهرت على الضابط معالم السعادة والارتياح، كما لو كان قد حصل خلال غيابه عن الغرفة على حمام دافئ أراح اعصابه، تفوح منه رائحة عطر مختلطة برائحة شامبو جوز هند نفاذة، جلب الضابط من على المنضدة عبوة معدنية بخاخة ،شبيهه بعبوات مزيلات العرق، بإستثناء ان البخاخ البلاستيكي أعلاها يخرج منه انبوب مطاطي أبيض، اقترب الضابط مني، دس الانبوب المرن داخل احدى فتحات أنفي ودفعها بعنف للداخل فشعرت برغبة في القيء، ضغط الضابط على البخاخ، زلزلت صعقت ارتعشت دمعت، إحترقت رئتي

وسعلت، شعرت كما لو كان قد ضخ غاز ناري داخل أنفي ورئتي، تصاعدت حنجرتي باللعنات والشتائم فقد كانت آلامي لا تحتمل

سأوضح لكم سبب اصراري على لعنهم وشتمهم بدلا من الصراخ والاستغاثة وطلب الرحمة، عندما يتعرض الإنسان لآلام قاسية استثنائية كتلك التي أتعرض لها في هذا المكان اللعين، فإن رد فعل الإنسان على تلك الآلام هو الصراخ وربما النحيب والنواح، خروج الصراخ يخفف نفسيا عن المتألم ويلهيه عن آلامه، لم أشأ ان أعلمهم بتألمي والانكسار أمامهم، ومن ثم استبدلت الصرخات باللعنات والشتائم التي تنطلق من حنجرتي بنفس النبرة الموجوعة للصراخ المعتاد، فتكون بديلا محترما للتنفيس عن الألم، بعكس الصراخ المخزي المهين، على سبيل المثال بدلا من الصراخ متألمًا : آآآآآآآآآآآآآآآآآآآه، استبدلتها بصرخة اقول فيها : يا ملاعــــيـــــن يا خنازيـــــــــــر ربنا يحرقكم دنيا وآخرة ويجعلكم عبرة لكافة خلقه

عذبني الضابط بذلك الغاز العجيب الحارق، الذي كان يضخه في أنفي لوقت مر كأنه دهر، وبعد ان اشتدت عليَ نوبة سعال حاد بتأثير الاحتراق الفظيع داخل صدري ابتعد الضابط عني، وأمر معاوناه بإلباسي السلطانية، جلب أحدهم من الرف السفلي بالمنضدة خوذة معدنية سربل بها رأسي بأكمله، فغطاها حتى عنقي

- مبروك يا معالي السلطان، دلوقتي هخليك تعترف إنك مره مش بس تعترف بجريمتك يا ارهابي يا كلب

- هاتي كل اللي عندك يا سميحة، مش اسمك سميحة برضة ولا ايه

سخرت منه بنبرة خافتة وغمزت له بعين متورمة تغطيها الدماء وقهقت ضاحكا بوهن، اختفت الابتسامة الخبيثة من وجهه، وحل محلها قسمات كراهية وحنق وقسوة إجرامية لا مثيل لها، بعد ان أهنته للمرة الثانية برغم كل جهوده في إخضاعي، أمر الضابط أحد أعوانه بفرد الكرسي، أدار العتل مقبض فإنبسط ظهر المقعد ومال للخلف وارتفعت اقدام المقعد لأعلى وتحول إلى سرير

- انت خليك عند الركبة وانت خليك عند الكوع

وزعهم الضابط على أماكنهم حولي وذهب خلفي ليمسك بالخوذة، عبث بمقبض

أعلاها فصارت تضيق وتضغط رأسي وتعصره داخلها، وفي نفس التوقيت كان المعاونان يحيطان أقدامي ويداي بدرع معدني غريب كدروع محاربي العصور الوسطى التي تحمي الساقان والذراعان، بمقابض تلك الدروع عصروا أطرافي فشعرت بإنسحاق عظامي

من صمم هذا الكرسي والخوذة والدروع يستحيل أن يكون إنسانا ولا حتى شيطانا، وكما تتوقعون تألمت ولعنت وسببت ووهنت وأنهكت، لكن بين الفينة والأخرى خاصة عندما يخفت الألم ويتأقلم جسدي معه حينها كنت أنظر لهم بإبتسامة ساخرة، وأهزأ مما يقومون به واتهمهم بأنهم يعذبون ويضربون كالنساء

- شدي حيلك شوية يا شرموطة منك لها، ماهو مش معقول العلوقية دي، بقا ده برضه تعذيب يا شوية نسوان، صدق اللي سماكم خولات أمن الدولة

أعشق تحدي المتجبرين ومعاندتهم، ولهذا أحبطتهم مرارا وتكرارا بسخريتي اللاذعة، إستهزأت بهم ولعنتهم وأهنتهم دون كلل أو ملل لكي أستفزهم ويقتلوني فأموت شهيدا، رأيت القنوط والإحباط يتزايد يوميا في عيونهم الشيطانية وعلى قسمات وجوههم الإجرامية، ومع ذلك إستمروا في تعذيبي لأيام أجهل عددها، يعلقوني على البالانكو لبعض الوقت ويضربوني بتلك العصا، أو بعصا صاعق كهربائي أخرى زاملتها في امتهان جسدي، ثم ينزلوني ليضعوني على ذاك الكرسي ويعذبوني بطرق يعجز ابليس عن التفكير فيها إلى أن أفقد الوعي، حينها يعيدني الطبيب المجرم للتعذيب بالمحاليل الطبية والرائحة النفاذة

ذات مرة أثناء فكهم لقيودي من البالانكو، لكي ينقلوني للمقعد الشيطاني حاولت أن اكسر عنق الضابط، لكن الراعي الرسمي للظالمين شاء بإرادته اللعينة أن أعجز عن قتل ذلك الضابط القميء المجرم

لم أذق النوم خلال تلك الفترة، إلا اغماءً أو لحظات خاطفة، في الثواني التي ينتهزها جسدي، حين يأتي وقت تغيير الوردية الإجرامية المكلفة بتعذيبي، كانت تلك الثواني القليلة التي أتمكن من الغفو فيها توازي نوم يوم بأكمله، حدثتكم من قبل عن تباطأ الوقت والإطمئنان وعدم الشعور بالألم بتأثير الاندروفين، كنت أجهل تمام الجهل مدة وجودي في تلك الغرفة، لكني فطنت لحقيقة ان جسدي أصبح أضعف من قبل بتأثير

اضرابي عن تناول الطعام والشراب، صرت تقريبا بقايا إنسان، وتزايد معدل اغمائي بين يديهم، فشل طبيبهم المجرم في إبقائي واعيا لوقت طويل، رغم المحاليل التي علقها باستمرار في وريدي خلال تعذيبهم لي، ورغم الحقن التي كان يحقنها في عبوات تلك المحاليل، والتي أجهل مكوناتها لكنها كانت تعيدني للوعي، ثم بدأت تفقد تأثيرها بعد ان وهن جسدي، صرت أشبه بالاموات، فقدت قوة جسدي، ومع ذلك إحتفظت بقوة روحي، ولم أبخل عليهم رغم وهني بالسخرية والاستهزاء، خاصة بعد استعادتي للوعي، عقب تنشيطي بتلك العقاقير التي يحقنها الطبيب في المحاليل الطبية المتدفقة إلى وريدي

ذات مرة أفقت من إغمائي، فباغتتني مفاجأة مفجعة، إذ وجدت نفسي مقيد بالأصفاد، ومحبوس في وضع القرفصاء داخل قفص حديدي، فقدت الوعي بين يدي القزم القمحي القميء، على مقعد التعذيب الشيطاني العجيب، في تلك الغرفة اللعينة، التي أمضيت بها دهرا لا يحصى عانيت فيه أشد العذاب، أدركت انهم يأسوا من إخضاعي وكسر إرادتي فقبروني حيا، مأسورا في قفص يشبه أقفاص ملاجيء رعاية الحيوانات، التي ترونها في الافلام الاجنبية، كان القفص مكعب الشكل وأضلاعه متساوية، ثلاثة أرباع متر إرتفاع وعرض وطول، نظرت ببصري المتهالك خارج القفص، فوجدته داخل عنبر عرضه أربعة أمتار وطوله قرابة الثلاثون متر، وتتراص على جانبيه أقفاص مشابهه للقفص الذي أسروني داخله، عددت أربعين قفصا على كل جانب، كنا ثمانين من اشباه الاموات مقرفصين كقرود داخل اقفاص في مقبرة كئيبة موحشة، هواء العنبر خليط من العطونة الآسنة والعفونة الزنخة، يطوف فيهما أنين ونحيب وهمسات مرتعشة

لمحت المحلول معلق في وريدي فنزعته بفمي، سالت من مكان نزع الابرة قطرات قليلة من دمي، توقف النزيف بعد دقيقة دون تدخل مني، سألني شبح كان محبوسا عن يميني في قفص مجاور عن سبب اعتقالي وعن اسمي وبلدي، ثرثرنا معا لبعض الوقت، إكتشفت إنهم نقلوني من بنها إلى مكان مجهول، عرفت من سكان مقبرتي ان بعضهم هنا منذ أعوام لا تحصى، أقسم شيخ عجوز بأنه هنا منذ كان عمره سبع وثلاثون عاما، اعتقلوه في نهاية اكتوبر عام ١٩٩٠ عقب اغتيال رفعت المحجوب رئيس مجلس

الشعب وقتها، أخبرته أنهم إعتقلوني في نهاية ديسمبر ٢٠٠٠م ولم يمر على اعتقالي شهر بحسب ظني، تعجبت من حالته المتردية، وجهه متغضن كشيخ هرم في السبعين، أخبرته انه لم تمر سوى عشرة سنوات فقط وانه الآن في السابعة والأربعين من العمر

فجأة انهالت على الأقفاص أمطار مياة باردة غزيرة، ارتعشت من شدة البرد نظرت لأعلى ورأيت سقف العنبر تتدلى منه مصافي كبيرة متصلة بشبكة أنابيب مياة تغطي كافة أقفاص العنبر، فوق كل قفص مصفاة ضخمة، مرت دقائق كشهور ثم توقف المطر الغبي، كل من في العنبر يرتجف بردا وفرقا، كنا عراة تماما وننام على أرضية أسمنتية مطلية بطلاء إيبوكسي أسود بارد كالثلج، عدنا للثرثرة لننسى ما نحن فيه من كبد ومعاناة، سمعت حكايات تزلزل الجبال من أماكنها وتفجر الأرض بمن عليها، ما مريت به يعتبر هينا مقارنة بما فعلوه بذاك الشاب الذي قطعوا أصابع يديه العشرة وسرقوا كليته دون ان يدري، أنا أفضل حالا من ذاك الشيخ الذي أخصوه وقطعوا عضوه ثم أعموه، لم يخلعوا ضروسي وأسناني كما فعلوا بعدد كبير من جيراني في ذاك القبر اللعين، لم يسرقوا كليتي كما فعلوا بأغلب صغار السن هنا، لم ينزعوا قرنية عيني كما فعلوا في بعض ساكني تلك الأقفاص الكئيبة

فجأة أمطرت علينا نفس المصافي مياة ساخنة تشوي الجلود، صرخ جيراني واستغاثوا بملء أفواههم، تماسكت كعادتي ورفعت عقيرتي بالدعاء لله، سألته بإسمه الأعظم أن يخسف الأرض بثلة المجرمين الذين يفسدون في الأرض، بعد دقائق قليلة مرت كدهر توقف هطول المطر المغلي، انفتح باب العنبر ودخل رجل يدفع أمامه عربة عليها برميل بلاستيك صغير به صنبور ويجاوره كارتونة بها خبز ومثلثات جبنة وقطع حلاوة مغلفة بورق مفضض، وزع الرجل الطعام على الأقفاص وملأ قناني المياة البلاستيكية التي ناولها له كل أسير، رفضت استلام حصتي فألقاها داخل القفص وقذف معها قنينة بلاستيك كانت في الاصل لمياة غازية ثم ملأوها بماء صنبور، خرج الرجل بعد فراغه من مهمته، تناول جيراني وجبتهم، تعاميت عن النظر لوجبتي، غفوت من التعب لمدة أجهلها، صحوت على سقوط أمطار باردة، توقف المطر، مر علي في ذاك القبر قرابة يومان غفوت فيهما أربعة مرات على الأقل، إستعدت بعض حيوتي النفسية، لكني

فقدت قوتي الجسدية، هزل جسدي خاصة قدماي، صارتا لحما على عظم

ذات يوم انفتح باب العنبر ودخل منه ثلاثة اشخاص يدفعون أمامهم نقالة كالتي تستخدم لنقل المرضى، فتحوا باب قفصي وإنتزعوني منه ووضعوني على النقالة، قدرت انهم سيعودون لتعذيبي بعد أن ارتحت لبعض الوقت واستعدت حيوتي وصرت أتكلم مع من حولي، أخرجوني من العنبر على النقالة وساروا بها في ممرات غريبة، هذا المكان يختلف تمام الاختلاف عن المكان الذي عذبوني فيه منذ أيام، غالبا نقلوني أثناء فقداني للوعي آخر مرة، ربما يكونوا قد حقنوني بمخدر في المحلول الوريدي قبل ان ينقلوني

أدخلوني بالنقالة لقاعة تبدو كما لو كانت غرفة عمليات، تركوني لبعض الوقت أعاين محتويات القاعة الفسيحة، تتوسطها منضدة عمليات تجاورها منضدتان صغيرتان إحداهما تتراص عليهما ادوات عمليات كالمشارط والمقصات، والأخرى عليها أدوات ورش كالمنشار والمطرقة والكماشة والصاروخ والشنيور وكلابات ومسامير متعددة الاحجام، أعلى تلك المناضد كشافات اضاءة، وسقف القاعة مرايا تعكس بوضوح أغلب تفاصيل القاعة خاصة منضدة العمليات، إقتحم القاعة فجأة ضابط وخلفه أربعة زبانية غلاظ شداد كخزنة جهنم، نظر لي الضابط بعيون مخيفة تبث الفزع في القلوب ونبح ككلب مسعور

- كل اللي شفته كوم يا كسمك واللي جاي كوم تاني، انت وقعت في ايدين اللي مايرحم

ابتسمت ساخرا لأوهن عزيمته، وألقمته حجرا ليعوي قبل أن يذيقني عذابه

- يا أهلا بالخول الكبير، هأع هأع هأع، نجوم السماء أقربلك من إني اخاف منكم يا شوية خنازير، وعشان تصدقني هحلفك حلفان محدش في الدنيا كلها يعرف قيمته غيرك، وحياة كسمك اللي كانت هتموت بنت بنوت عشان أبوك خول زيك ولولا شهامة الجيران اللي فتحوها وناكوها ما كنت اتولدت وجيت الدنيا من أساسه، وحياة كسمك اللي قضت عمرها تتناك شكك عشان مش لاقية حد يعبرها يا ابن النتنة، أوعا تحلم إنك تقدر تكسر ارادة رامي ضرغام اللي ضفرة برقبتك ورقبة كل اسيادك يا خول يا ابن المتناك..

انهال الضابط علي بالضرب فقطع كلامي، تنافس أعوانه معه على ضربي، أصبحت إرادتي أمضى وأقوى بعد أن أهنته، وصارت إرادته أوهن وفقد ثقته في نفسه ويأس من إخضاعي، كانت ضرباتهم توجع ولكنها لا تؤلم، أمطروني بوابل من الشتائم ورددت عليهم بوابل من مختارات الألفاظ الشعبية البذيئة التي لم يسمعوها من قبل، توقفوا فجأة عن ضربي، وقال لي الضابط بوجه يرعد بالحقد

- لسانك المتبري منك ده هقطعهولك وهنشوف بقا هتتلامض ازاي من غير لسان

لم ترتعش جفوني ولو لثانية، كنت أتوقع منهم كل شيء، كنت مستعدا لكل ما لا يخطر حتى على قلوبهم، مضى قرابة شهر على اعتقالي، وأنا متيقن أن وفاتي ستكون قريبة جدا بتأثير امتناعي عن الطعام والشراب، لن تحييني محاليلهم، ولهذا لم أرتجف فرقا من قطع لساني، كنت ميت على كل الاحوال وهل يضير الشاة سلخها قبل أو بعد ذبحها، آثرت أن أزيده وهناً على وهن وأتلاعب بعقله ومشاعره، سخرت منه مبتسمًا لأفزعه من ثباتي وصلادتي

- حلال عليك لساني يا ابن الواسعة، أنا متبرع بيه لمراتك تمص فيه ليل نهار طول ما انت غايب عنها وهي بتتركب من الرايح والجاي، وبالمرة إقطع زبري وصباعي ده كمان، بس اوعدني إنك تديهم لمراتك وهي هتتصرف فيهم بمعرفتها وتحط لساني في بقها وزبي في كسها وصباعي في طيزها، اهو تبقا استفدت مني قبل ما أموت بحاجة مفيدة تعوض خولنتك يا متني يا مرخي

انفتح الباب على حين غرة ودخل رجل أشيب أنيق ذو وجه صبوح

- انت بتعمل هنا ايه يا باشا، سايب ملف الارهابي بتاع اسيوط وبتعمل هنا ايه، اتفضل روح شوف شغلك حالا عشان الوزير عايز نتيجة التحقيقات بتاعت خلية اسيوط بكرة الصبح على مكتبه

لمحت الرجل الأنيق يغمز بعينه خفية لزميله حتى لا يجادله، خرج الأحمق وتبعه أعوانه الأربعة وبقي الرجل الأنيق وحده في القاعة، أخبرني انهم قبضوا على كل منفذي عملية الجواهرجي المسيحي ويتم التحقيق معهم الآن، طمأنني بأنهم سيطلقون

سراحي بعد أن يعالجوني، ثم دفع بنفسه النقالة خارج الغرفة ونادي على أحد الأفراد وأمره بنقلي للعيادة، وطلب منه إخبار الطبيب بالاهتمام بأمري لأني بريء وسوف يطلق سراحي، في عيادة متواضعة الامكانيات علقوا لي المحاليل في وريدي وعالجوا جراحي وكدماتي، رفضت تناول أي طعام وأخبرت الطبيب بأني لن أتناول طعامي إلا بعد نيلي لحريتي، أطلقوا سراحي بعد قرابة اسبوعان، غطوا وجهي خلال خروجي من وكرهم لمدة تجاوزت الساعة ونصف ثم رفعوا الغمامة عنه قبل مدخل مدينتي بنها بأمتار، أعادوا لي مبلغ الثلاثة وسبعون جنيها التي كانت في حوزتي لحظة القبض علي، طلبت منهم ان ينزلوني أمام مطعم شهير بدلا من الذهاب بي إلى سكني، ودعني الضابط الذي كان يقود السيارة بنفسه وتمنى لي الشفاء والتوفيق، وإعتذر عن ما جرى لي وتحجج بضرورة محاربة الارهاب بكل الطرق، الرجل الجالس عن يميني فتح باب السيارة وهبط منها ودعاني للخروج، غادرت السيارة وأنا أسير بصعوبة كشيخ هرم في التسعين واتكأ على عصا تركوها لي لأسير معتمدا عليها، دخلت المطعم لأتناول أول لقمة وأول رشفة بعد مرور ثلاثة وأربعون يوما من المعاناة والعذاب

أطلقوا سراحي بثلاثة ضلوع مكسورة، لم أبرأ حتى اليوم من هذه الكسور، لكن كل جراح نفسي برأت، عقب خروجي نذرت لربي إن مكنني منهم أن أذيقهم أضعاف ما أجرموه بحقي وحق كل الأبرياء في سجونهم ومعتقلاتهم، لم يمكني ربي من أعناقهم ومد لهم في طغيانهم، حتى الثورة اليتيمة التي كادت ان تطيح بهم من عليائهم وتقربني من تحقيق نذري فشلت، بسبب الاخوان قبحهم اللهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ، انتهازيتهم وغبائهم هما سبب ما نعانيه حتى اليوم من تلك المنظومة الشيطانية التي تحكمنا، مع كامل الاعتذار للشيطان فآثامه وخطاياه لن ترقى أبدا لمستوى إجرام هؤلاء الطواغيت السفاحين، غاية ما يستطيعه ويطمح إليه ابليس [٣٨] أن يفرق بين رجل وزوجته، أو

٣٨ يتأول رامي حديث عرش الشيطان الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه وابو نعيم وغيرهما والنص كما ورد في كتاب تلبيس ابليس لابن الجوزي (إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ فِي الأَرْضِ، فَيَقُولُ : مَنْ أَضَلَّ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ، فَيَقُولُ لَهُ الْقَائِلُ : لَمْ أَزَلْ بِفُلانٍ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، قَالَ : يُوشِكُ أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَيَقُولُ آخَرُ : لَمْ أَزَلْ بِفُلانٍ حَتَّى عَقَّ ، قَالَ : يُوشِكُ أَنْ يَبَرَّ، وَيَقُولُ آخَرُ : لَمْ أَزَلْ بِفُلانٍ حَتَّى زَنَى، قَالَ : أَنْتَ، وَيَقُولُ آخَرُ : لَمْ أَزَلْ بِفُلانٍ حَتَّى شَرِبَ الْخَمْرَ، قَالَ : أَنْتَ، قَالَ : وَيَقُولُ آخَرُ : لَمْ أَزَلْ بِفُلانٍ حَتَّى قَتَلَ ، فَيَقُولُ : أَنْتَ)

يفتنه بشرب الخمر وقتل النفس وعقوق الوالدين، أو يحسن الزنا في عيون العباد لكنه أبدا لن يتردى ويفكر في تعذيب البشر بمثل تلك الوحشية التي عاينتها وعانيتها من هؤلاء المجرمين، اليوم أنا مؤمن بأن إجرام إبليس والبشر من صنع الله

بنظرة محايدة سيكتشف أي منصف ان إبليس ليس سوى كائن غبي، غرر به صانعه وفتنه، كما يفعل دوما مع كل مخلوقاته، حتى الأنبياء لم يسلموا من خداع خالقهم، إبليس من الجن، وعندما فسد قومه حاربهم الله بالملائكة، انضم إبليس لجنود الله وحارب قومه وأهله إيمانا منه بالخير وكفرا بالشر والفساد وسفك الدماء، إصطفاه خالقه وضمه لملائكته المقربين، نقيصة إبليس التي استغلها الله ضده هي كبريائه واعتداده بنفسه، يعبد الله بحق ولكنه يعرف قدر نفسه ولا يبخسها حتى لو خسر كل شيء، لا يسجد سوى لخالقه، مؤمن بالعدل وكاره للظلم والإجحاف والشطط، رفض السجود لآدم معللاً بأنه خير من آدم وطاعته لله لم تشوبها شائبة [٣٩]

إن أكبر خديعة حدثت على مر العصور هي إكذوبة مكر ودهاء إبليس، لو كان لإبليس مقدار ذرة من المكر والعقل لفطن لخفايا المكيدة الماكرة، لو كان لديه أقل قدر من الذكاء لسجد لآدم، لو كان لديه عقل لتدارك خطأه بعد رفض السجود وأعلن ندمه وتوبته، لكن غباءه جعله ينقاد للغيظ وتحدى الله بتوعد بني آدم بالتضليل، الغبي يقسم بخالقه أن يضلل له عباده فيستثني الله عباده المخلصين، ما أتفهها من مسرحية فشل مؤلفها خالق الكون في إخفاء حقيقة نفسه، هو من قدر كل شيء سلفا وهو من

٣٩ الفقرة السابقة ورغم إحتقار المدون العنيد لإبليس الا إنه يجدف بحق الله عز وجل بأراجيف وشبهات ساقطة، وأبلغ رد على تلك الشبهات قوله عز وجل عن نفسه ﴿لا يُسأَلُ عمّا يَفعل وهم يُسْألُون﴾، هو الصانع الخالق الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه، وعدله، وبديهي أن الخالق له مطلق الحرية في وضع الأسس والقواعد التي يلزم بها مخلوقاته، وأقرب مثال عقلي على ذلك، هو قيام الصناع بوضع كتيب ارشادات مع ما ينتجونه، ليلزمون المستخدم باتباع قوانينهم، فهم أعرف وأعلم وأدرى بما صنعوا، ولهم كل الصلاحية بما يفعلونه ويقررونه لمنتجهم فهم خالقيه ومالكيه، . ووردا على شبهة اختبار الله لعباده حيث قال في القرآن ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، وقد وعد الله المؤمنين جنة عرضها السماوات والارض فيها من النعم ما لا يخطر على قلب وعقل بشر ، وبالتالي لابد من اختبار كل مؤمن قبل ان ينال تلك المكافأة العظيمة، وكلما زاد عمق الايمان كلما عظم الكرب والاختبار، وأقرب مثال عقلي على ذلك هو الأب الذي يختبر أبنائه بقسوة ليطمئن إلى صلاحهم واستحقاقهم لميراثه القيم، ومن شاء الاستزادة بدحض لكافة شبهات العنيد فعليه بالرجوع لكتاب تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي

ضلل إبليس وخدعه عندما أمر ملائكته بالسجود لكائن أتفه منهم وأقل شأنًا، ليت إبليس سجد لآدم وأفشل إرادة الإله المعتوه المولع بالتلاعب والفتن والتعذيب

وبالعودة للتعذيب هل يستطيع كائن غبي كإبليس أن يتفنن في التعذيب كالبشر، بكل تأكيد لا وألف لا، هؤلاء الذين عذبوني إنما ألهمهم الله وأرشدهم لما فعلوه، ومكن لهم في الأرض وشملهم بالحماية من غضبة الشعوب، لم أدرك تلك الحقائق إلا بعد فبراير ٢٠١١م، عندما شاهدت وأبصرت وفطنت لما يفعله الله بأيدي أخلص أتباعه، وأعني الاخوان والسلفيين خاصة، لم أفقد إيماني بالله بل فقدت إحترامي له وكشفت حقيقته

عذوبوني نهاية عام ٢٠٠٠م ولم يتزعزع ايماني ولم أفقد ثقتي في الله، أطلقوا سراحي وراقبوني وضايقوني وأفلسوني ولم أيأس من ربي، اعتقلوني عام ٢٠٠٩م وتلك المرة لم يعذبوني، لكنهم أجبروني على مشاهدة أبشع تعذيب يمكن أن تتخيلوه، كان ضحيتهم رجل فلسطيني في مثل عمري آنذاك تجاوز الثلاثين بعدة سنوات، لن تستطيعوا تخيل ما فعلوه به، تماسكت كجبل صلد، رغم فظاعة ما شاهدته من إجرام يعجز العقل عن تخيله وتصديقه، وضعوا رأس الفلسطيني في منجلة حديد وعصروها، لعنهم الرجل بلهجته الفلسطينية المميزة، سمعت طقطقة الجمجمة وصرخات الرجل المتألم، الذي كان نائمًا على ظهره فوق منضدة عمليات وقد أحكموا وثاقه بأحزمة جلدية وأصفاد معدنية، لم يكسروا جمجمتي وعظامي عندما عذبوني من قبل، بل عصروها وتألمت بفظاعة، فما بالك برجل تسمع صوت انكسار عظام جمجمته، ابعدوا المنجلة عن رأس الضحية، ثم اقترب من الضحية شاب يكبرني بعام أو عامان، ربما يكون طبيب ووجهه يشبه الممثل سمير صبري، وقام بشق صدر الضحية المسكينة من العنق إلى منتصف البطن بأدوات جراحية، كان الرجل واعيا بما يحدث، لكنه فقد وعيه نتيجة الآلام الجسدية والنفسية، أفاقه الطبيب الجزار بحقنة في المحلول المعلق والذي يتسلل في إبره مغروسة بمعصم الفلسطيني الضحية، ثم أفاقه الطبيب المجرم بقطعة قطن، قربها من أنف الضحية بعد أن صب علي القطن سائل من قنينة لونها معتم، وبعد أن أفاقوا الضحية أجبروه على مشاهدة جسده المفتوح ككتاب، والذي تنعكس صورته في مرايا ضخمة هي سقف

قاعة التعذيب التي ينتهكون جسده داخلها

كان هناك ثلاثة أفراد يعاونون الطبيب قدرت ان أحدهم ضابط من ملابسه الأنيقة، عبث الطبيب وأعوانه الثلاثة بأحشاء الضحية مستخدمين منخاس معدني ومشرط وأدوات عجيبة، تألم الرجل كثيرا ولعنهم، سملوا عيناه، فقأوا عيناه ونخزوها بأداة تشبه المفك أو السمبك، تدفق بياض عيناه مختلط بدماء غزيرة، استمروا في العبث بأحشاء الرجل الذي مات بين أيديهم دون أن يخبرهم بمكان احتجاز الجندي الاسرائيلي جلعاد شاليط الذي كانوا يسألونه عنه، بعد أن أطلقوا سراحي شاهدت صور جثمان ذاك الفلسطيني الشهيد في نشرات الاخبار واسمه يوسف أبو زهرى، شقيق سامي أبو زهرى المتحدث الرسمي لحكومة حماس، سلموا جثته لأهله الذين فحصوها بعد أن لاحظوا تلف الجسد نتيجة التعذيب الوحشي

وقت أن أجبروني على مشاهدة تعذيب يوسف تأثرت بما رأيته من تعذيب شيطاني وقتل لنفس بشرية بدماء باردة وإجرام متناهي، تزلزلت لثانية ثم انفجرت غاضبا وسببتهم، ولأول مرة سببت الله، لكني استغفرت في نفسي بعدها وعدت لصوابي وايماني بالله أملا في نصره وعدله

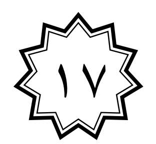
أطلقوا سراحي بعدها بأيام وحافظت على صلتي بربي، لكن استمرار منظومة المجرمين بالسيطرة على مصر بعد فشل ثورة ٢٥ يناير هو القشة التي قصمت ظهر البعير، والشعرة التي قطعت رأس الأمير، فشلت الثورة وفشلت كل الثورات العربية لأن الخالق ببساطة لا يريد العدل في أرضه، لأن الخالق بكل وضوح هو الراعي الرسمي للظلم والفساد والإجرام

كان إيماني عميقا صادقا ففتنني الله، كنت أتحدى أعدائه وأدهس بأقدامي على جبروتهم بإرادة تسحق إرادتهم أجمعين، ولن أنسى أبدا ما حييت نظرة الذهول في عيون ذاك الضابط القصير الحقير الذي حاول إغتصابي وحين أفشلت مسعاه واستفزيته فعذبني بوحشية، عندما كان يضغط على رأسي في تلك الخوذة الحديدية وكادت أن تحطم جمجمتي، فقلت له ساخرا « اوعا تفتكروا انكو هتنجوا في الدنيا والآخرة، وبالتأكيد مصيركم في الدنيا هيكون بنفس الدموية والفظاعة والوحشية اللي بتمارسوها

ليل نهار، ولعلمكم ربنا عز وجل خالق الكون موجود حتى لو كنتم تنكرونه، وهو أقوى منكم وخلقني مخصوص بالصفات والمميزات دي عشان الكفرة أمثالكم يعرفوا حجمهم الحقيقي، اخْسَئُوا فِيهَا ولن تعدوا أقداركم»، نظر لي الضابط بعيون كالأموات، ثم فر مبتعدا عني وأرسل سواه، ليشرف على تعذيبي

اليوم صرت أكره الله، والأدهي أني أصبحت مستعدا للخلود في جهنم، وراضيا بها كعقاب، يؤكد صدق ما أؤمن به بأن هذا الإله هو أعظم الظالمين، وهو الصانع الخالق لكل الظلم والفساد، وهو الذي مكن لتلك الثُلّةُ مِنْ أَسْمَاءِ الإِجْرَام التي تسوس وتحكم مصر وتسوم شعبها سوء العذاب، ورغم أني لست منزهًا عن العيوب ولا أزعم الكمال والصلاح والتقوى المطلقة، لكن أقل ما يمكن أن يفعله أي إله عادل، حين تحديت أعدائه دفاعا عنه، هو أن يصعقهم ويحرقهم لا أن يكتفي بمجرد النظر دون أن يتدخل ليحمي عباده، كنت أنتظر أن تنزل صاعقة من السماء وتحرق ذاك المقر الملعون وتبيد كل من فيه من المجرمين وعلى رأسهم الضابط القصير اللعين الذي أذاقني العذاب، لكن الله خذلني كما خذلكم أجمعين، ولازال الضابط اللعين ومن هم على شاكلته أحياء أصحاء أقوياء، متجبرين مسيطرين هانئين، وربما صار اليوم من كبار القادة بعد أن نجحت منظومة المجرمين في النجاة من غضبتنا وثورتنا المهزومة الفاشلة المحتضرة، تبا لهذا الضابط القصير الملعون وتبا لكل من ساعد وأيد المجرمين الظالمين ومكن لهم وشملهم بحمايته ودعمه





الاِسْمُ الحادي عشر: قِيَادِيٌّ أَمْنِي

فِي الْبَدْءِ كَانَ الذِّئْبُ

بَادِئَ بَدْءٍ سوف أبوح لكم بأشياء قد تدفعكم لكراهيتي، فإن كنت مسلم فقد أمرك ربك بأن لا تنساق لمشاعر كرهك للخصوم والمناوئين ونتورط في ظلمهم والجور عليهم والدليل من القرآن هو ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [٤٠]، وان كنت غير مسلم فمن التحضر والرقي والإنصاف أن تتحلى بالموضوعية والعدالة حتى تجاه أعدائك، وان كنت مسيحيا فإتبع تعاليم إنجيلك حيث جاء فيه "فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَّلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ ★ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَّلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَّلاَتِكُمْ" [٤١]، وإن كنت يهودياً فالتوراة تطالبك بالإحسان لعدوك ومبغضك حيث جاء فيها "إِذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ حِمَارَهُ شَارِدًا، تَرُدُّهُ إِلَيْهِ ★ إِذَا رَأَيْتَ حِمَارَ مُبْغِضِكَ وَاقِعًا تَحْتَ حِمْلِهِ وَعَدَلْتَ عَنْ حَلِّهِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَحُلَّ مَعَهُ" [٤٢]، خلاص اتفقنا تكونوا محايدين وموضوعيين، أحب أعرفكم بنفسي أنا اللواء «كريم سليمان»، طبعا قرأتم عني كثيراً، ومؤكد أنكم تريدون أن تعرفوا عني المزيد، لكن قبل أن أبوح لكم بخفايا نفسي، تعالوا أولا أقص عليكم حكاية الذئاب والكلاب، وما أدراكم ما الذئاب، الحقائق التي سأرويها لكم عن الذئاب لها أهمية قصوى في فهم شخصيتي، ومنها ستعرفون ماذا؟ ولماذا؟ وكيف؟ ومتى؟ وكم؟ وأين؟ وهل؟، والآن إصبروا معي عدة دقائق ودعوني أحكي لكم ما لا تعرفونه عن الذئاب

---

٤٠ {المائدة : ٨}
٤١ (إنجيل متى ٦ : ١٤، ١٥)
٤٢ (سفر الخروج اصحاح ٢٣: ٤، ٥)

أثبتت الابحاث الجينية والتشريحية أن الكلاب والذئاب من فصيلة واحدة اسمها (Canini)، عمرها تقريباً خمسين مليون عام، انقسمت الفصيلة خلال مراحل تطورها عدة مرات على مدار الزمن، إلى أن ظهر أول ذئب منذ قرابة خمسمائة ألف إلى مليون عام، وبالطبع تطور هذا الذئب بعدة طفرات عبر الزمن، وقد نجت الذئاب من الانقراض الجماعي، في العصر الجليدي الأخير منذ عشرين ألف عام تقريباً

الإنسان العاقل الصانع لأدواته، أو الجد المباشر للإنسان الحالي، كان قد ظهر في العصر الجليدي الأخير، في توقيت مقارب لظهور الذئاب الحالية، بعد ظهور التجمعات البشرية، ترتب على ذلك ان الإنسان أصبح يلقي بقايا طعامه بالقرب من مجتمعاته، ثم بدأ الإنسان في تدجين وتربية بعض الكائنات، للاستئناس بها ولكي تلهو مع اطفاله، ثم اكتشف الإنسان صلاحية الحيوانات المستأنسة للأكل، تعلم البشر وقتها استئناس الأغنام والطيور الداجنة، وحدث وقتها اللقاء الأول بين الذئب والبشر، لأن بقايا الطعام، بالإضافة للحيوانات والطيور الداجنة بالقرب من تجمعات البشر، جذبت قطعان الذئاب كالمغناطيس، واجه الإنسان الأول الذئاب، وطردهم من حول تجمعاته، لحماية نفسه وعشيرته، وأَيضًا لحماية حيواناته أو بمعنى أصح طعامه، ومن المعلوم ان داخل أفراد النوع الواحد توجد اختلافات، فكما بين البشر ستجد بين الذئاب الشجاع والجبان، والطائش المتهور، والذكي والغبي، والحر ذو النفس الأبية، والذليل الذي لديه إستعداد للعبودية مقابل الطعام والاقامة

حدث الانتخاب الطبيعي داخل أفراد الذئاب، عندما كان يفر قطيع الذئاب المهاجم لتجمع البشر، هرباً من نيران ورماح وسيوف الإنسان، لكن الذئب الأضعف نفسيا كان يفر لمسافة قريبة، ولا يغادر مع قطيعه، ويظل يدور حول التجمع البشري، أملا في الظفر بوجبة سهلة، ظل الذئب التافة الكسول يحوم بالقرب من البشر، لأنه من النوع الإنهزامي الخانع ومسافة الهروب [٤٣] لديه تكون أقل من الذئب الحر الشجاع، الذي لا يتواجد بقرب البشر إلا عندما يهاجمهم، حينئذ شاهد الإنسان الذئب الذليل يدور حول مقره، ليل نهار دون ان يهاجمه أو يهاجم حيواناته المستأنسة، فقرر الإنسان

٤٣ مسافة الهروب هي أقل مسافة يسمح بها الكائن الحي لكائن آخر بالاقتراب دون الهروب منه

ان يلقى له ببعض الطعام مكافأة له على لاعدوانيته، لحظتها بدأ رحلة التحول من ذئب حر إلى كلب عبد، وبعدما ألف الكلب البقاء بالقرب من البشر، واعتاد على مخالطتهم، بدأ الكلب تدريجيا يواظب على ملازمة ومرافقة الإنسان، في مختلف أنماط حياته من إستقرار وترحال، وصيد ورعي وزراعة، وأصبح صديق مطيع للإنسان

مالا يدركة الكثيرين عن العلاقة بين الإنسان والكلب، هو ان هذه العلاقة، تحمل بين طياتها طابعا استبداديا نفعياً، ومن الخطأ القول إن الكلب هو صديق الإنسان الوفي، لأن الإنسان حين يروض الكلاب ويستأنسها، يختار الأكثر طاعة، والهدف الأساسي هو التعايش معه دون نزاع، والاستفادة منه قدر الامكان

صحيح ان الذئب والكلب جدهم الأول كان ذئباً، لكن إياك أبدا ان تغفل عن حقيقة أن الذئب كريم الضِّئْضِئُ، ذو المحتد العريق، والمنبت الحُرُّ هو الأصل، فِي الْبَدْءِ كَانَ الذِّئْبُ، والآن آن الأوان أن أحدثكم عن نفسي

تعرفون بالفعل اسمي ومنصبي، لكنكم لا تعرفون كينونتي وقدراتي، ولائي الأول لجماعة حكماء مصر ولنفسي ولأسرتي، لكن هذا الولاء لم يمنعني يوما من التآمر على زميلي في المجمع وأحد أهم أعواننا في الاعلام، ثروة «وديع برسوم» لا حدود لها فما المانع من اقتطاع بعضها طالما كان بإمكاني فعل ذلك دون ان يدري أحد، بكل فخر أنا القادر على تحقيق المعجزات، ليس بالسحر وإنما بالعقل والتخطيط السليم، وعدم السماح للمصادفة أو لأي أحد وأي شيء بإفشال مخططاتي وتدابيري، نادرًا ما فشلت، بل لم أقف عاجزا مكتوف الأيدي سوى مرة واحدة، أنا القادر على أن أكون طيبا أو شريرا وقتما أشاء، والقادر على أن أتلون بحسب الظروف، أقسو أو أرحم، أتذاكي أو أتغافل، أعذب أو أنجي من العذاب، لم أفشل سوى أمام كلب عنيد اسمه رامي ضرغام

مجازيا نجحت في تحريك جبال، أجهضت ثورة فوضوية كادت أن تزيل نفوذنا، شتت جهود وعقول الراغبين في التغيير، إفتعلت مطالب فئوية في كافة جنبات المجتمع، حركت الأحداث من خلف ستار، تلاعبت بالجميع كعرائس ماريونيت، أقمت كيانات وائتلافات ثورية واشهرتها اعلاميا للسيطرة على المخربين، أقنعت الاخوان الفصيل

الأقوى بالنصر، وهزت ثقتهم قليلا حتى يدفعوا بمرشح رئاسي، أنجحنا مرشهم الهزلي الإمعة خيال الظل، دفعت الاخوان للشطط في التعالي وإحتقار مخالفيهم وتمنى الموت لهم بغيظهم، شققت صف حلفائهم من السلفيين بإستخدام دعاتهم ومشايخهم التابعين لنا، ألبت منافسي الاخوان وساندتهم، لقحت بويضة التمرد، وأخرجنا جنينها للحياة يوم ٣٠ يونيو، وعدنا للصدارة والسيطرة المطلقة، أسقطنا رئيس واعتقلناه هو وأتباعه، وجئنا برئيس جديد

أنا اللواء «كريم سليمان موسى»، تجاوزت الخمسين ببضع سنين، والدي اللواء «سليمان جاد موسى» القيادي السابق بأمن الدولة، وحاليا هو على المعاش، ويقيم بدار رعاية طبية للمسنين، للعلاج من أمراض وتخاريف الشيخوخة في مدينة ميامي بفلوريدا بالقرب من مقر شقيقي الاكبر «نبيل»، والدتي «رحاب المغربي» وكيلة وزارة إعلام على المعاش، أنا الابن الاوسط يسبقني شقيقان ويلحقني شقيق وشقيقة صغرى، أخي الأكبر «نبيل» محاسب تخرج من جامعة هارفارد ويقيم حاليا بولاية فلوريدا الشهيرة بالشمس الساطعة والبرتقال وديزني وورلد، وهو رجل أعمال يملك ويدير شركة وساطة لتداول أسهم بورصة وول ستريت ومتزوج من فرنسية اصولها مغربية أنجبت له أربعة أولاد، «نبيل» وأسرته معهم الجوازات الأمريكية

شقيقي «موافي» الاصغر من «نبيل» يكبرني بعام ونصف وهو مهندس جيولوجي يحتل منصب مدير أبحاث بشركة بترول مصرية عريقة، أما شقيقي «عزيز» فهو يصغرني بعامان تخرج مثلي من كلية الشرطة، وعمل في المباحث العامة وترقي لرتبة نقيب ثم تقدم للعمل في وزارة العدل كمعاون نيابة، وحاليا اصبح قاض بمحكمة الجنايات، وهو ومتزوج ولديه فتاتان شقراوتان كوالدتهما المصرية ذات الاصول الانجليزية، شقيقتي الصغرى «داليا» آخر العنقود خريجة كلية الزراعة جامعة القاهرة، وتحتل منصب قيادي بهيئة المجتمعات العمرانية، ومتزوجة من المستشار «احمد عفت» رئيس احدى دوائر محكمة جنايات الجيزة، أما أنا فعينت بعد تخرجي من اكاديمية الشرطة بالمباحث العامة لمدة عامان، ثم نقلت للعمل بأمن الدولة بالجيزة، ثم تنقلت بين أغلب فروع أمن الدولة بمدن ومحافظات مصر، وحاليا أنا النائب الثالث لمدير مباحث أمن الوطن، متزوج من

الاعلامية «رنا وجدي» مذيعة التلفزيون المصري الشهيرة التي أنجبت لي أربعة ابناء، «عمر» ملازم أول بمباحث القليوبية، و«سارة» حصلت العام الماضي على بكالريوس إعلام من الجامعة الأمريكية بالقاهرة وتعمل مساعدة مخرج ومعدة برامج بقناة فضائية عربية خليجية كبيرة إشتهرت بدعمها لمصر، و«دانيا» تدرس في كلية التجارة بالجامعة الأمريكية، وأخيرا «ابراهيم» أو «هيما» آخر العنقود لازال بالمرحلة الثانوية ويرغب في دخول الشرطة كأخيه الاكبر

أنا وأشقائي نلنا تربية مميزة، وكانت لدينا عضويات في عدة نوادي رياضية شهيرة، تعلمنا من أبي أننا لسنا كعامة الشعب لأن أسرتنا أصولها عريقة ضاربة بجذورها في التاريخ الإنساني، أمي تنحدر من سلالة عائلة عريقة جدها أبو الحسن اللاوي، وأبي أيضًا ينحدر من عائلة تليدة ويشترك مع امي في نفس الجد من ناحية عائلة والدته، وأحد أجداد والد أبي هو الفيلسوف والطبيب العلامة الشهير الذي وصل بعلمه وبراعته لتولي منصب الطبيب الشخصي للسلطان «صلاح الدين الايوبي» وعين في قصر مؤسس الدولة الايوبية واشرف على علاج السلطان وعائلته وولده «الملك الأفضل علي»، أنا بكل فخر حفيد الطبيب الفيلسوف العلامة «موسى بن عبيد الله القرطبي [٤٤] »، عندما أتممت الواحد والعشرين توسم في أبي الدهاء والحزم والشجاعة، وضمني لجماعة حكماء مصر التي كان عضوا ذو مكانة عالية داخلها، كنت شبلا بين ذئاب تعلمت منهم وارتقيت بينهم بجهدي وكفائتي واخلاصي

أعلم أن أغلبكم يعتقد بأني ما وصلت لما وصلت إليه إلا بسبب نفوذ ووساطة أبي، لن أنكر فضل أبي في دخولي كلية الشرطة وتعييني في أمن الدولة، لكن ذكائي ونباهتي هما أهم أسباب تسنمي للذرى وغبطة باقي قادة الجهاز من كفائتي كمحقق لم يروا مثيله من قبل في أي جهاز أمني، كدأب كل الضباط الصغار إستهليت تحقيقاتي في الجهاز

٤٤ أبو عمران موسى بن ميمون بن عبيد الله القرطبي (مارس ١١٣٥ - ديسمبر ١٢٠٤) اشتهر عند العرب بلقب الرئيس موسى. ولد في قرطبة ببلاد الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي، ومن هناك انتقلت عائلته سنة ١١٥٩ إلى مدينة فاس المغربية حيث درس بجامعة القرويين، ثم انتقلت سنة ١١٦٥ إلى فلسطين، واستقرت في مصر آخر الأمر، وهناك عاش حتى وفاته. عمل في مصر نقيباً للطائفة اليهودية، وطبيباً لبلاط الوزير الفاضل والسلطان صلاح الدين الأيوبي وكذلك استطبّه ولده الملك الأفضل علي. كان أوحد زمانه في صناعة الطب ومتفنناً في العلوم وله معرفة جيدة بالفلسفة. يوجد معبد يحمل اسمه في العباسية بالقاهرة.

العتيد بإلتزام القسوة العاتية مع المذنبين الذين كلفت بالتحقيق معهم، كنت افترسهم كذئب حقيقي، كان هدفي هو ابهار قادتي، بمرور الوقت أصبحوا يطلقون علي لقب الذئب، وبمرور مزيد من الوقت لاحظت تحولات عجيبة في شخصيتي، صرت متوحشا وعنيفا خارج العمل في تعاملاتي مع اي إنسان يغضبني ويستفزني سواء عن قصد منه أو دون قصد، رغم أن أغلبنا يتصنع الحلم والطيبة والدماثة خارج العمل لكن ذاك الستار الزائف من الدماثة كان يتمزق في مواجهة أي موقف مستفز، على سبيل المثال أحد معدي البرامج في التلفزيون تحرش بزوجتي عدة مرات بوقاحة فأبلغتني «رنا» بمضايقات زميلها، ألقيت القبض عليه ومعي عدد من صغار أعواننا بالجهاز، وذهبت به إلى منزل أبي القديم بالمقطم وهو فيلا عتيقة، عذبت زميل زوجتي كما لو كان مذنبا معتقلا في سجوننا، ذهلت زوجتي وصعقت عندما شاهدت وجه المعد الذي أطلقت سراحه بعد يومان تغيرت فيهما ملامح وجهه بشكل تام، لامتني زوجتي «رنا» وقرعتني على ما فعلته، فقد كانت أقصى أمانيها ان أخيفه لا أن اعيد رسم ملامحه، أَيضًا ذات مرة ضربت عامل الدليفري الذي أحضر لنا بيتزا باردة وقد اصيب بإرتجاج في المخ نتيجة ضربات قبضة طبنجتي على رأسه

تبين لي اني سوف اتحول لوحش دون ارادتي، بحثت في التقارير العلمية السرية بمكتبتنا في الجهاز عن حالات مشابهة، عثرت على ثلاثة تقارير مترجمة عن الالمانية كتب تلك التقارير عدة اطباء وعلماء تابعين للجيستابو في المانيا زمن هتلر وقد حللوا فيها التغييرات النفسية التي حدثت في ضباط الجستابو المكلفين بالتحقيقات العنيفة مع المشتبه فيهم، وأَيضًا عثرت على تقرير ضخم اشرف على وضعه عدة علماء فرنسيين في خمسينات القرن العشرين بعد ان لاحظوا تحولات خطيرة على مر عشرات السنوات في اخلاقيات ضباط وجنود القوات الفرنسية خاصة الأجهزة الأمنية المكلفة بالتحقيق مع مجاهدي الجزائر، وانتزاع اعترافاتهم عن شركائهم في جرائمهم ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر

اكتشفت في تلك التقارير النفسية الأمنية الحديثة ان أغلب الأجهزة الأمنية الاجنبية بدول العالم الأول في الزمن المعاصر تضع شروط قاسية، ومعايير وبروتوكولات لمن

تكلفهم بالتحقيق مع المذنبين، القسوة المبالغ فيها مرفوضة بشكل عام، وحين تلجأهم الظروف إليها يكلفون من مارسها بتحقيقات تالية، يكون دوره فيها التعاطف مع المذنب وخداعه بمكر، التكليفات المتعارضة هدفها إعادة التوازن النفسي للمحقق، فبعد القسوة يكون التعاطف مع المذنب لحمايته من التعذيب

علماء النفس المتعاونين مع الأجهزة الأمنية الغربية لهم تحليلات وابحاث قيمة رصدوا فيها التغييرات النفسية لممارسي التحقيقات العنيفة وبعض تلك الابحاث غاصت في التاريخ وتقصت عن محققي محاكم التفتيش الاسبانية، وضح علماء الغرب في تلك الابحاث مدى التخريب النفسي الذي يطال من يقسون على المذنبين لانتزاع اعترافاتهم، ولهذا تلجأ أغلب الدول الغربية حاليا لتكليف أجهزة الأمن بدول العالم الثالث بالتحقيق مع المذنبين الخطرين لديها، ليس سرا ان «السي آي ايه» و«الإف بي آي» تنقلان لنا عشرات وأحيانا مئات المذنبين سنويا لكي نحقق معهم بأساليبنا القاسية، التي هجروها حتى لا يتحول ضباطهم لوحوش ضارية مشوهة النفس

استشرت عالم نفسي مصري شهير في محتويات التقارير النفسية الأمنية الاجنبية، وسألته عن مدى امكانية الاستفادة منها، نصحني بأن أتبع توصيات تلك التقارير بحيث يتم إجراء توازن نفسي لمن يحقق مع المذنبين، فمن ينفذ تحقيق قاسي لابد ان يليه تنفيذ تحقيق يتعاطف فيه مع المشتبة به

ألزمت نفسي أولا بتلك الاستراتيجية، وبعد عامان كتبت تقرير ملخص استفدت فيه من التقارير الاجنبية ومن تجربتي الشخصية، قدمت التقرير لرؤسائي الذين يعلمون تمام العلم مدى التشوه النفسي الذي ينال من أغلب المحالين للمعاش عقب انهاء خدمتهم معنا بالجهاز العتيد، بعضهم يجن شوقا لتعذيب حرم منه، بعضهم يرتكب جرائم وحشية ومجازر بحق أبرياء نبذل جهود كبيرة في التغطية عليها، ونضطر لإلصاق تلك الجرائم الوحشية بمخبولين ومجانين حتى لا ينتبه المجتمع للنتائج السيئة المترتبة على الخدمة بالأجهزة السيادية

ترقيت لرتبة رائد استثنائيا بتوصية من مدير الجهاز وصرت أشهر محقق بالأجهزة الأمنية، وصفني بعض قادتي بالجزار وبعضهم بالذئب نظرا لقسوتي اللانهائية وقدرتي

على تنفيذ مالا يخطر على بال بشر، على سبيل المثال كنت أدفن المذنب في ديب فريزر ضخم ذو باب زجاجي أمرت بشرائه خصيصا لكي أراقب حالة المذنب، ثم بعد ان تتكون علي الجلد قشرة ثلجية كنت أخرج المذنب من الديب فريزر، غطست البعض ممن أخرجتهم في إناء ضخم به ماء ساخن حد الغليان، وعقب أمثال تلك التحقيقات أذهب لتمثيل دور متعاطف مع مذنب آخر وابذل قصارى جهدي لحمايته من التعذيب، شققت صدور وبطون، نزعت اظافر وضروس، قطعت أصابع وآذان وأنوف، سحقت وهشمت جماجم وضلوع وعظام، كل تحقيق قاسي كذئب مفترس يعقبه أن امثل دور الحمل الديع، أطلقت على طريقتي في التحقيقات اسم «استراتيجية التوازن»، أفادتني تلك الاستراتيجية كثيرا ووصلت لمراحل من القسوة لم يصلها غيري من قبل وصرت أتمتع بصراخ وبكاء وعويل ونحيب المذنبين المنكسرين كعبيد، وايضا أتمتع بالتعاطف مع بعضهم وحمايته من الأذى

ابتكرت طرق عديدة للتحقيقات استنبطتها من محاكم التفتيش الاسبانية، تزايدت خبرتي وصرت احقق بقسوة بالغة بينما اعصابي متزنة وهادئة، لم أفقد أعصابي سوى مرة واحدة أثناء التحقيق مع كلب عنيد اسمه «رامي ضرغام»، تسلمت ملفه ومعه تعليمات من مديري في فرع بنها أثناء خدمتي هناك عام ٢٠٠٠م، كانت تعليمات المدير تقضي بعدم ترك آثار في المذنب «رامي ضرغام» وتطالب بدراسة نفسيته العجيبة التي لم نعهدها من قبل، كان الثبات الانفعالي لرامي أثناء التحقيقان اللذان تما معه قبلي قد لفتا أنظار مدير فرع بنها، ومن ثم نال «رامي» اهتمامه وربما اعجابه، لن أنكر اعجابي بصلادة «رامي» الذي اعتقد ان عناده ليس سوى جنون من نوع لم تثبته الابحاث والدراسات العلمية من قبل ربما لندرة ذاك النوع من الجنون، هل تتخيلون ان هذا ال«رامي» حاول قتلي ذات مرة، أثناء قيام الأمناء بفك قيوده من بلانكو السقف لوضعه على كرسي السلطان، نظر نحوي بسخرية وقال

- انت طبعا الظابط اللي على راسك ريشة، هما يشيلو ويحطو ويضربو ويعذبو ويطلع ميتين أبوهم، وانت في الآخر اللي تلهف المرتب الخرافي الضخم والمميزات الرهيبة وترميلهم العضم

أثرت كلماته الإثارية التأليبية في نفسي واستفزتني برغم صوته المتهالك وجسده البالي، اقتربت منه لأساعد أعواني في عملهم، كي لا تؤثر كلمات رامي في نفوسهم وتدفعهم للتراخي في التحقيق معه على كرسي السلطان، غافلنا الكلب «رامي» وفجأة أمسك برأسي وأداره على محور رقبتي بغرض كسر عنقي، خذلته قواه ولم ينجح في تنفيذ جريمته، لو كانت برامي بعض القوة لربما كنت اليوم جثة مقبورة أو على افضل تقدير جسدا مشلول الاطراف الأربعة وعنق مكسور، للأسف الشديد فشلت وفشلنا كلنا في اخضاع هذا الرامي والسيطرة عليه، تلك كانت الحالة الأولى والأخيرة التي فشلت فيها بتحقيق اهدافي، وفي النهاية إضطررنا لإطلاق سراحه لسببان : أولهما طريقة اعتقاله الاستعراضية التي شاهدها جيران مكتبته، وثانيها ابن عمه «علي ضرغام» المحامي الذي تقدم بشكاوي لوزارة الداخلية يطالب فيها بمعرفة اسباب ومكان اعتقال «رامي»، ربما لن تصدق حكاية «رامي ضرغام» فهي اقرب للخيال، دعني أحكي لك المزيد من الامور التي ستعجز عن تصديقها

بديهي أن البشر يؤمنون بما يحبون ان يؤمنوا به بغض النظر عن الحقيقة، يكرهون أن يعترفوا بوجود أمثالي ويعتبرونا خرافة، حسنا يمكنك أن تنكر وتستنكر قدراتي فتلك ميزة كبرى لا يدركها إلا الأريب اللبيب، النحرير الحصيف المخاتل، خير لي أن تظل قدراتي مجهولة ومنكرة من أن يعلمها الجميع فيغضبوا ويثوروا لكرامتهم المهدرة وحقوقهم المنتزعة

وبما أني متيقن من عجزكم عن إدراك الحقائق وأنكم غير مؤهلين لإستيعابها، حسبكم أن تؤمنوا بما تحبوا أن تخدعوا أنفسكم به، ولهذا سأخبركم بالحقيقة، لثقتي في عدم مقدرتكم على استيعابها والتعامل معها، ولهذا سأحكي وأنا مطمئن البال، أنا ومن على شاكلتي نسوس ونروض الجُمُوع، ونسيطر على الشعب بأدوات ووسائل لن تخيلوا أغلبها، أدواتنا هي : رجال الدين والوجهاء، والفنانين والإعلاميين والمفكرين والساسة ومشاهيير الرياضيين، سواء كانوا مؤيدين أو معارضين. أما وسائل السيطرة فأبرزها : التضليل والإلهاء والمداهنة والتدريج والترهيب والتتفيه، والتثبيط بالإنتقاص، والأزمات والأمنيات، والعواطف والغيبيات، سوف أحكي لكم تفاصيل كثيرة عن

أساليب السيطرة ذات يوم

عندما تفاقمت حدة أحداث ٢٥ يناير وما عقبها من انهيار كامل لقواتنا الباطشة الممثلة في الشرطة والأمن المركزي وقوات الأمن، لم يكن أمامنا سوى الانحناء للعاصفة، عندما أشرفنا على الهزيمة أذعنَّا لعدونا حتى نستعيد قوتنا، ونتمكن من الفتك بالمخربين مشعلي الاضطرابات والفوضى، لم ننسحب من المعركة، لكننا توقفنا مرحلياً عن مواجهة العدو بشكل مباشر وعنيف، ولجأنا لتكنيكات وأساليب الاختراق والخداع والتوجيه الخفي

على سبيل المثال مطلب اسقاط النظام استبدلناه بمطلب اسقاط الرئيس، وعندما تنحى مبارك جعلنا الشعب يعتقد ان الثورة نجحت وحققت أهدافها، بالطبع لم نغير المطلب بغسيل عقول المخربين إعلاميا فقد كانوا في التحرير والميادين بعيدا عن متناول الأذرع الاعلامية، لهذا لجأنا لأسلوب غسيل المخ المباشر داخل تجمعات المخربين بالتحرير، زرعنا اتباعنا بينهم وهؤلاء قاموا بتوجيه المخربين من داخلهم وحرفوا مطلبهم بدأب وبراعة، أيضًا أنشأنا كيانات وائتلافات ثورية وهمية وسلطنا عليها الأضواء الإعلامية، وهؤلاء كانوا أهم أدواتنا لوأد الفوضى التي أطلقتوا عليها مسمى ثورة، كياناتنا لم تحرف مسار الفوضى وتفرغها من مضمونها وحسب، بل ساعدتنا على اصطياد واستقطاب واعتقال وتصفية رؤوس الفتنة من المخربين الراغبين في هدم مصر ونظام حكمها، إستبدلنا الاعلامين القدامي المحروقين شعبيا بجيل جديد من اعلاميين تظاهروا بدعم الثورة وتأييد مطالبها، غالبا لا تصدق ما أحكيه لك وهذا شيء جيد، ولهذا سأستمر في روي أشياء لن تستطيعوا تقبلها وتصديقها، قلت لكم سابقا انكم غير مؤهلين لإستيعاب بالحقيقة، ولثقتي في عدم مقدرتكم على استيعابها والتعامل معها، سأروي لكم ما لن تصدقوه حتى لو جائكم به ملاك من السماء، بافتراض وجود تلك المخلوقات الخرافية الخيالية المسماه ملائكة

هل تظن يا عزيزي أن الإعلام حر، هذه أكبر أكذوبة تحياها وتتنفسها ضمن العديد من الأكاذيب والأوهام التي تحاصرك ليل نهار وتحيا فيها غافلا دون أن تدرى، ليس الاعلام وحده الذي نسيطر عليه، نحن بكل فخر نحكم قبضتنا على كل شيء، على سبيل

المثال الجامعات والجيش والقضاء والشرطة والسينما والمسرح والتفزيون والصحف وكافة مؤسسات الدولة الأدبية والعلمية والسياسية والتنفيذية والتشريعية، أما الأحزاب والجماعات والحركات السياسية فيديرها أخلص اتباعنا أو من نسيطر عليهم سيطرة كاملة، والكيان السياسي الذي نفشل في السيطرة عليه نلهيه بإنقسامات ونألب داخله جبهات متعددة ضد قياداته لمنازعتهم في الزعامة

فعلنا ذلك في التسعينات بحزب «العمل» الذي تبادل الغرماء فيه الدعاوي القضائية لعشرات السنين بعد أن فشلنا في اخضاع رئيسه الراحل «ابراهيم شكري»، وكررناها في أحزاب عديدة منها حزب الغد الذي نازع رئيسه «ايمن نور» أحد أعوانه المخلصين ثم اختفى الحزب من الحياة السياسية كسابقه حزب العمل، أما حركة ٦ إبريل فشققناها لجناحان، والجناحان أيدا ثورة ٣٠ يونيو وبيان ٣ يوليو الذي عزلنا به مرسي والاخوان

ألم يدهشك أن ثورة ٣٠ يونيو وبيان ٣ يوليو ٢٠١٣م أيدهما وروج لهما سياسيين وإعلاميين ومفكرين ومشاهير تعدهم معارضين وثوريين، على سبيل المثال لا الحصر أيدها عبد الحليم قنديل وعلاء الاسواني وبلال فضل وباسم يوسف ونوارة نجم وعلاء عبد الفتاح وابراهيم عيسى وعبد المنعم ابو الفتوح وحمدين صباحي والبرادعي وخالد علي وابو العز الحريري وجورج اسحاق وجميلة اسماعيل وبثينة كامل ومحمد حسان وغيرهم من رموز المجتمع كما أيدنا أيضا ائتلاف شباب الثورة وحركة ٦ ابريل، والسلفيين والمسيحيين عن بكرة أبيهم، حاليا إرتد البعض وصاروا يهاجمون نظام الحكم ويعارضوه من جديد، يسعدني ان ذاكرة الشعوب كذاكرة الاسماك لا تدوم طويلا وإلا لإفتضح أمر أعواننا من المعارضين وانفض الناس عنهم ونبذوهم

دوما نضرب أمثلة نردع بها المجتمع ونسوسه ونسيطر على كل أركانه لكي نخضع الصاعدون الجدد، لهذا سبقنا الحكماء الراحلين بضرب عدة أمثلة، الدكتور جمال حمدان وما فعله به سابقينا مثال نستغله لتخويف الباحثين والعلماء الأكاديميين في الجامعات المصرية، أيضًا نستغل ما فعله أسلافنا في نجيب سرور لكي نخضع العاملين بالفن والفكر، ومثال رضا هلال نسيطر به على الصحفيين والاعلاميين، والأمثلة لا تعد ولا تحصى

دعوني أحكي لكم قليلا عن جمال حمدان الباحث الجغرافي والاجتماعي، حاول

حكماء مصر استمالته في البداية، والسيطرة على أبحاثه لتطويعها لخدمة مصالحهم، لكنهم للأسف فشلوا في التحكم به، ومن ثم دفعوه للرضوخ والانكسار بأن أذلوه بترقية التافهين وتجاهلوا ترقيته مما جعله يثور لكرامته المهدرة ويستقيل، لو صبر وأذعن لنال مكانته التي يستحقها ولكنه إستقال وكان ما كان، حوصر حصارا صارما وفشل تماما في الحصول على أي وظيفة في مصر والدنيا بأسرها فلم يجد أمامه أي سبيل لكسر الحصار سوى بالانتحار، ألم يخطر على بالك يوما أن تسأل نفسك كيف عجز وفشل مفكر وباحث بكفائة جمال حمدان عن الحصول على عمل حتى ولو خارج مصر!!؟!!

أما نجيب سرور الشاعر والكاتب المسرحي، فقد كان عصياً على التدجين وفشلت الأجهزة السيادية في السيطرة على لسانه وآرائه التي كان يتشدق بها عن سيطرة الماسونيين على مصر، وبتوجيه من سادة مصر وقتها دشن النقاد حملة هجوم على مسرحياته أظهروا تدني مستواها وابتذالها، وقالوا ان الشعر فيها يمثل عائق بين المسرحية والمشاهد المتلقي، ومن ثم تم إحكام حصار حديدي على نجيب لم ينفذ منه قط، وأغلقت في وجه نجيب سرور أبواب العمل، باختصار طرد من التدريس في معهد الفنون المسرحية، ومنعت مسرحياته من العرض، فأغرق نفسه في شرب الكحول بعد أن اضطرر للتسول في شوارع القاهرة، تم إلقاء القبض عليه وأودع في مستشفى العباسية باعتباره مجنونا مصاب بالسكيتسوفرينيا، الفصام ذاك المرض النفسي العجيب الذي لم يوجد من قبل على مر التاريخ الإنساني، وسبب ظهور هذا المرض في العصور الحديثة هو الأجهزة الأمنية ولكن تلك قصة اخرى سأرويها لكم ذات يوم، في النهاية توفي نجيب سرور بسبب فشل وظائف الكبد بتأثير الخمور الرخيصة التي كان يتجرعها لينسى واقعه المزري، مشرد عاطل ممنوع من العمل عاجز عن الأنفاق على أسرته، آنذاك كان يتم معاقبة كل من يتحدث عن المؤامرة الصهيونية ويكشف مدى سيطرتها على مصر، ورغم أن نجيب سرور لم يكن يسرف في ذكر الماسونيين في كتاباته كما لم تكن لديه أدلة أو شواهد على نفوذهم الذي تحدث عنه مع كل من حوله من المعارف والأقارب والأصدقاء، وقتها كان اغتياله جسديا أو معنويا هو العقاب المناسب لذاك الزمن، حاليا لا يختلف العقاب كثيرا لكن تغيرت أساليب مواجهة تلك الافكار التأليبية التي تهدد النظام في مصر

على سبيل المثال المدون رامي ضرغام نشر عدة مقالات وتدوينات على مدونته وصفحته في الفيس بوك محتواها أخطر بكثير من أقاويل نجيب سرور، انتشرت تلك المقالات بشكل كبير بين مستخدمي الانترنت المصريين والعرب، مشكلة تلك المقالات الإثارية التحريضية انها كتبت باسلوب جذاب وعقلاني وتحتوي على الكثير من الشواهد الواقعية والاستدلالات المنطقية، بلغ انتشار تلك المقالات حدا لم نتخيله، وكان لابد من ايجاد حل عبقري للسيطرة على انتشار تلك الافكار الهدامة التي تسيء للنظام وتشوه صورته في أعين الشعب، تفتق ذهن الداهية «داوود سرحان» السيد الاعظم لحكماء مصر عن استراتيجية أطلق عليها «استراتيجية التسخيف»

دفعنا عدد من الاعلاميين في القنوات والصحف وبعض النخب على مواقع التواصل وكلفناهم بتقليد «رامي» باسلوب سخيف لتنفير الناس من فكرة المؤامرة، ومن ثم ظهر المذيع الاراجوزي «شفيق عماشة» على قناته العجيبة وبدأ في التحدث ليل نهار عن الماسونيين والمؤامرات التي يحيكونها لمصر وشعبها، وبنفس الوقت ظهر المطرب الذي اصطفيناه من بين أتباعنا هو والناشط المخنث العنكبوتي الشكل، وقد دأب «شفيق عماشة» على استضافتهما في برنامجه، للهري والهرتلة والفتي بهلاوسهم العجيبة عن المؤامرة الماسونية، وكذلك ظهر في مواقع التواصل والفيسبوك مدونون ونشطاء ليس لهم من حديث إلا عن مؤامرات الماسونيين، أشهرهم «ابو عرايض» الذي صار علما مشهورا بفضل جهودنا في تلميعه وإبرازه على مواقع الانترنت، تميز اتباعنا المكلفين بالحديث عن الماسونية بعدة مميزات، أهمها الأسلوب الهزلي والافكار السخيفة الخرافية المضحكة التي لا تستند على أي حقائق، اتهموا كل وأي إنسان أو أفكار بالماسونية، حتى قادة الاخوان المسلمين لم يسلموا من لسان وأقلام صنائعنا الذين اتهموا «الاخوان» أجمعين بأنهم ماسونيين، ومن ثم صارت كلمة ماسونية مبعثا للضحك والسخرية من الشعب بأكمله، وصار كل من يتداولها أو يرددها يتم تشبيهه ب«عماشة» و«عرايض» وباقي الأراجوزات التي صنعناها ورعيناها، وأصبح ذكر الماسونية أمرا سخيفا مستهجنا، ومن ثم نجحت استراتيجية التسخيف ودفنت ونسيت كتابات «رامي ضرغام»

بعد ان تم وصف الاخوان بالماسونية أصبحوا هم أول من يستسخف كلمة ماسونية،

وساعدونا دون وعي بتسخيف كتابات رامي عن الماسونية، بالطبع كان يمكن اغتيال أو اعتقال رامي، لكن اختفائه كان سيزيد من مصداقية مقالاته، ولهذا آثرنا تسخيف كتاباته، وتركه يحرث في بحر ويحارب طواحين الهواء

قد تظن اني أدافع عن الاخوان، لكن الحقيقة انهم ليسوا بتلك البراءة التي تتخيلها، بل ربما هم أكثر إجراما من الشخوص الرئيسية في هذه الرواية، فالاخوان ككل الاسلاميين لديهم استعداد للتحالف مع الشيطان كي يحققوا هدفهم الذي يحلموا به ليل نهار، هدفهم الأسمى هو احياء دولة الخلافة وتطبيق الشريعة، وقمع الناس بالحدود وقطع الأيدي والأقدام ورجم وجلد الرجال والنساء، الاخوان خاصة والاسلاميين وكافة المتعصبين من كل الاديان عامة هم كائنات دموية عدوانية مؤذية كارهة للإنسانية، كائنات مستعدة للتضحية بكل شيء مقابل تحقيق حلمهم الدموي، الاخوان والاسلاميين لو قلت لهم انك ستساعدهم في تحقيق حلمهم بالخلافة والشريعة مقابل ان تزني بنسائهم وتلوط بمؤخرات رجالهم، سيدهشك انهم على اتم استعداد للتضحية بشرفهم مقابل تحقيق حلمهم الدموي، وسيبررون موقفهم المخزي بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات، فهم دوما يمتطون الدين ويطوعونه لخدمة أهوائهم ومصالحهم

ولأنهم خطر داهم على النظام والدولة لهذا زرعنا بينهم اتباعنا، وصعدنا بعضهم ليصلوا لمناصب قيادية هامة داخل مكتب ارشاد جماعتهم، على سبيل المثال لا الحصر ذاك القيادي الكهل الأشيب الراديكالي المتعصب هو أحد أهم مندسينا داخلهم، اكتسب مكانته بأفكاره وآرائه المتعصبة وتزمته الشديد، حاليا هو مختفي عن الأنظار، ويزعمون ويظنون انه هارب خارج مصر، الحقيقة هو في مصر يعيش حرا متخفيا بعد أن غير شكله قليلا، صبغ شعره الأبيض وغير مظهره الخارجي وأسلوبه في الكلام، ولم يعد يردد تلك العبارت الدينية في كلامه، (ان شاء الله) و(بسم الله) و(السلام عليكم) وغيرها من العبارات التي تلوكها ألسنة الاخوان وأشباههم هجرها الأشيب الراديكالي تماما، ويعيش حاليا في أحد قصوره بالتجمع الخامس تحت حراستنا، هذا القيادي الأشيب الهرم المتزمت ساعدنا سابقا عندما أصر على رفض ضم «ابو الفتوح» لمكتب الارشاد، وحسنا فعل، لو وصل «ابو الفتوح» إلى تلك المكانة لغير من سياسة الجماعة،

ولقربها من التيار الليبرالي ولساروا على خطى الرئيس التركي أردوغان، ولو تغيرت سياسات الاخوان وانفتحت أفكارهم وآرائهم على الغرب لنالوا تأييد ودعم الدول الغربية، ذاك القيادي الأشيب ساعدنا أيضًا بتصعيد المحامي الفلوطة وتلميعه داخل الجماعة، والفلوطة أيضًا رجلنا المخلص الذي عاوننا كثيرا بتضليل الجماعة وهو أول من اقترح عليهم ان يقدموا مرشح للرئاسة، رشحوا «الشاطر» فوضعنا العراقيل القانونية أمامه، ولم يعد أمامهم سوى «مرسي»، الذي تلاعبنا به بنفس سهولة تلاعب نجم سينمائي بفتاة مراهقة حالمة

كل البشر تحت سيطرتنا سواء بإرادتهم أو بغير ارادتهم، ألم تندهش يوما من الظهور المتواصل لمفكرين ومعارضين بعينهم على القنوات المعادية لمصر، ألم تتعجب لغياب مفكرين بعينهم عن شاشات الاعلام المعارض لنا، ألم تتعجب من غياب أمثال الدكتور «محمد عباس» و«مجدي أحمد حسين» الذي اعتقلناه مؤخرا وغيرهم عن وسائل الاعلام، ألم تدرك بعد أننا نهيمن حتى على أراء معارضينا، ربما لن تصدق وغالبا لن تصدق لكني دعني أوضح لك ما خفي عن نظرك وغاب عن بصيرتك، سأضرب لك مثال بقناة فضائية خليجية معارضة، وقس على ذلك أي منظمة أو هيئة أو جهة سواء داخلية أو خارجية

لنفترض ان هناك قناة فضائية معادية للنظام المصري ويديرها رأس مال مستقل غير خاضع لسيطرتنا، وهذه القناة لابد من اختراقها ودس أتباعنا داخلها لتحقيق أهدافنا خفية

بالوساطة والخدمات وتبادل المنافع نعين «سين» من الناس في القناة أو الجهة المستهدفة، و«سين» هذا بالطبع لابد أن يكون شخص موثوق فيه وربيناه واخترناه على أعيننا، من المؤكد ان ادارة القناة لن تثق بسين لاسباب كثيرة أهمها ان «سين» قادم من خارج عباءة الادارة وعين بوساطة خارجية ومن ثم فهو محل شك، يبذل «سين» قصارى جهده لاكتساب ثقة الادارة، ويصير ملكيا أكثر من الملك، بعد وقت وجهد سيتمكن «سين» من كسب ثقة الادارة لكنه لن ينال مستوى الثقة التي حصل عليها «صاد» الذي تربي وترعرع تحت بصر وسمع ادارة القناة، لكن (نص العمى ولا

العمى كله) كما يقول المثل الشعبي، بمعني «سين» يحوز بعض الثقة أفضل من ان يكون محل شك دائم من إدارة القناة

عندما تحتاج القناة لضيوف معادين لنظامنا في مصر لكي يظهروا في برامجها، حينها يقترح عليهم «سين» عدد من المعارضين للنظام، هم في حقيقة الأمر إما بلهاء نوجههم عن بعد، وإما اتباع مخلصين يأتمروا بأوامرنا ونثق فيهم وكلفناهم منذ أمد طويل بتمثيل دورهم في الحياة معارضين للنظام أو مندسين بين الاخوان، يظهر الضيوف في القناة وينتقدون النظام المصري بحماس متناهي ينفي عنهم أي شك، وبالتالي ينال «سين» الذي أوصى بهم مزيد من الثقة

هؤلاء الضيوف سيدسون سما في أحاديثهم يعجز عن اكتشافه اي مخلوق مهما بلغ من الدهاء، بعضهم يجنح للتزمت والشطط ويؤيد العنف وبالتالي ينفر المشاهدين من آرائه، بعضهم يبدو كالمعاتيه فينال سخرية الشعب، بعضهم يواصل بث التفاؤل الكاذب المبني على معطيات مضللة فينال احتقار الناس، بعضهم يواصل انكار الأخطاء وينزه الاخوان ويظهرهم بمظهر المغدور بهم فيأصل لمزيد من الفرقة وينفض الناس عنه وعن جماعته الإجرامية، وهكذا دواليك

أما الضيوف الذين لا نرغب في ظهورهم اعلاميا فنضع أمامهم شتى انواع العراقيل لعزلهم عن الناس، نمنعهم من السفر، ونحاصرهم إلى ان يصلوا لمرحلة التسول والضياع والجنون، ونسيطر على وسائل اتصالهم فنحجز المكالمات عن الوصول لهواتفهم، ونجند كل معارفهم وأقاربهم وجيرانهم لمزيد من الحصار، بالاضافة لما سبق نقوم بتشويه سمعتهم وذلك بنشر اشاعات غير صحيحة عنهم تتهمهم بالعمالة للأجهزة الأمنية، ونحرص على ان تصل تلك الاشاعات والاراجيف للجميع ولاسيما لآذان مسؤلي القنوات الاعلامية المعارضة، على سبيل المثال يقوم أصدقاء مقربين من مسؤول تنفيذي كبير في القناة المعارضة بإبلاغه انهم سمعوا ان فلان المعارض ليس سوى أمنجي حقير ومعارض زائف، وبتكرار الاشاعات تترسخ الأكذوبة في عقول أصحاب القناة ومسؤوليها، وبالتالي لن تجد القنوات المعادية إلا رجالنا الذين ينفذون تعليماتنا في الخفاء ليحققوا أهدافنا من داخل حصون أعدائنا، قلت لكم من قبل ان كل البشر تحت سيطرتنا سواء بإرادتهم

أو بغير ارادتهم

السذج فقط هم من يظنون ان الاعلام حرا، دعني أوضح لك بعض ما لا تعرفه، نلجأ للتحكم المباشرة في منصات الاعلام التي نسيطر عليها كليا داخل مصر، وأحيانا للتغطية على فعاليات نرى أن تسليط الضوء الاعلامي عليها سيترتب عليه اضرار لا حد لها فنلجأ الى تدبير وتنفيذ كارثة ونطالب اعلاميينا بالتركيز عليها وتجاهل الحدث المطلوب وأده والتغطية عليه لصرف الشعب عن الاهتمام به، أما في المنصات الإعلامية الخارجية فدومًا نستغل أتباعنا داخل تلك المنابر الخارجية، وهؤلاء الاتباع يخدعون ويضللون رؤسائهم ومديريهم بنصائح ظاهرها المصلحة العامة وحرية التعبير وباطنها تنفيذ أجندتنا

على سبيل المثال في الثمانية عشر يوما عقب ٢٥ يناير ٢٠١١م، أقام ورابط في التحرير عدد من مراسلي قناة الجزيرة والسي ان ان، وغيرهم من مراسلي القنوات الاخبارية، وتابعوا على مدار الساعات والأيام بث رسائل مباشرة لقنواتهم، عن كافة فعاليات المخربين في التحرير وشوارع وميادين مدن مصر، فجأة اختفى الجميع وغادروا التحرير فجر يوم ١٢ فبراير، هل تعرف كيف صرفناهم من التحرير دون استخدام العنف، وتركنا البقية المخربة الغبية المرابطة في التحرير دون غطاء إعلامي

صرفنا المراسلين بالحيلة عبر رجالنا داخل تلك القنوات العالمية، أقنعوا مديريهم بأن أغلبية الشعب ارتضوا الانصراف من التحرير بعد تنحي مبارك، وان المتبقين هم حفنة من المساطيل والعاهرات كما كنا نطلق عليهم في اعلامنا، أيدتنا النخب والحركات والجماعات والأحزاب السياسية، كالاخوان و٦ ابريل وكفاية وغيرهم، غادر مراسلي الجزيرة وباقي القنوات ميدان التحرير، ولم يعودوا له إلا أيام الجمع على استحياء وبتغطية محايدة حد التماهي مع اعلامنا الداخلي

بدهاء وأدنا وكسة يناير، وندين بالفضل الأكبر للاخوان الذين وافقوا على التعاون معنا بدلا من مناطحتنا، نجح الاخوان خلال الفوضى في إقناع الإدارة الأمريكية بأنهم سيكونوا البديل المناسب لنظام مبارك مستندين على شعبيتهم بين المصريين، وافق الأمريكان بعد عدة لقاءات مع قادة الاخوان في مصر وخارجها، لكن ظلت مسألة غزة عالقة بين الطرفين بسبب عدم مقدرة ولا رغبة الاخوان بحصار غزة

استكمالا للدور الذي كان يقوم به مبارك، تغاضى الأمريكان عن غزة وأرضاهم وأثلج صدورهم أن يوافق الاخوان على تنفيذ باقي بنود الأجندة الأمريكية في المنطقة ويحموا البوابة الجنوبية لإسرائيل، نسى الاخوان والأمريكان أن غزة هي مفتاح الحكم في مصر

هل تعلم أن اسرائيل تعاني من قلة الاراضي اللازمة لإستيعاب الزيادة السكانية لليهود، حاولت اسرائيل أن توسع رقعتها بإحتلال جنوب لبنان وتوجد لنفسها موضع قدم مستقبلي لخططها الزراعية والسكنية، أفشلت المقاومة اللبنانية خطط التوسع الاسرائيلي في جنوب لبنان، وكان الدعم الإيراني لحزب الله والرفض الشعبي اللبناني هما أهم أسباب فشل إحتلال الجنوب اللبناني، بالطبع مرتفعات الجولان لا تحقق طموحات إسرائيل لأسباب جغرافية في المقام الأول، والاردن ومصر لا يمكن التوسع فيهما بسبب الاتفاقات السياسية التطبيعية والنظامان المطيعان، الحاميان لأمن إسرائيل من الشرق والجنوب، وأي توسع في مصر والأردن قد يزلزل أركان النظامان الحليفان، لم يتبقى سوى قطاع غزة والضفة الغربية، قطاع غزة أفضل من الناحية الجيوسياسية لأنه يطل على البحر المتوسط ولطبيعته الجغرافية المميزة، وضعت إسرائيل خطة سرية لتهجير سكان غزة على مر السنوات بالحصار والقتل البطيء، وبحسب تلك الخطة ستكون أراضي غزة خالية من الوجود الفلسطيني بحلول عام ٢٠٥٠م، إخلاء غزة من السكان بحسب تلك الخطة سيتم بالحصار والتجويع، والهجمات العسكرية المدمرة للبنية التحتية للقطاع، ومن ثم سيكون الحل الوحيد أمام الفلسطينين بالقطاع اما بالهجرة لدول العالم، أو بالنزوح لرفح المصرية والاستقرار فيها كبديل متفق عليه بين الاسرائيليين وحكام مصر

غزة ليست مفتاح الحكم في مصر كما قلت لكم سابقا، اسرائيل وأمنها هما الباب الملكي للتربع على عرش مصر، ظن الأمريكان ان بإمكانهم اقناع الاسرائيليين بالبحث عن بديل لقطاع غزة بعد وصول الاخوان للحكم، وظن الاخوان ان التزامهم بتنفيذ كافة طلبات الادارة الأمريكية سيمكنهم من حكم مصر، لكن اسرائيل رفضت بشدة مقترحات الأمريكان، فليس أمامها أي بديل لاستيعاب الزيادة السكانية اليهودية ويعتبر إخلاء قطاع غزة مسألة حياة أو موت للدولة الاسرائيلية، ومن ثم فأي نظام

حكم لا يحاصر غزة ويساعد اسرائيل على إخلائها هو نظام مرفوض بغض النظر عن توجه النظام الأيديولوجي، ليس الاخوان هم المستهدفين، بل إن أي نظام لا يوافق عليه الاسرائيليين لن يسمح له بحكم مصر

ورغم أن كل شيء تحت سيطرة الذئاب في مصر إلا انه حدثت اليوم واقعة غريبة جدا أثارت في نفسي الهواجس، لحظة انبلاج ضوء الصباح ظهر فجأة فوق أسفلت الشارع رأس بشري مقطوع وملقى على بعد أمتار من بوابة المقر الرئيسي لمباحث أمن الوطن، أرسل كبير الضباط المناوب وقتها بالمقر فرقة تعامل مع المفرقعات لرفع الرأس خشية ان تكون ملغمة، أصابت الصدمة أفراد القوة، فقد شاهدوا رأس بشري مشوه بفظاعة، حملوا الرأس البشري فورا وأدخلوها من بوابة الجهاز، تعرف أحد الضباط على صاحب الرأس

بكى الرائد «زياد العمري» عندما تعرف على رأس زميله الطبيب الشاب «عادل عبد السلام» شبيه الفنان سمير صبري، الأنف مقطوع تماما وتم كي مكان القطع، ومجاري التنفس دامية ومشوهه، أما العينان فمنزوعتان من محجريهما ومكويتان أيضًا، والفم مهشم ويخلو من الاسنان واللسان مقطوع وتم كي موضع القطع، والجمجمة بأكملها مهشمة، وتشوه شكلها وصار مكعبا على خلاف الشكل البيضاوي المعتاد للرؤوس البشرية، تلك كانت المشاهدات الأولى التي صدمت كل العاملين بالجهاز الموجودين وقتها، بعد حضور كبار القادة ومنهم أنا بالطبع أصابنا ذهول محير، كلفني مدير الجهاز بالاشراف على التحقيق في هذه الجريمة البشعة، الفحص الأولي للأطباء العاملين معنا أثبت تعرض زميلهم الطبيب لتعذيب يفوق في بشاعته ما شاهدوه أو مارسوه من قبل

تبين ان رأس الطبيب يتسرب منها قطرات سائل حارق من مجاري التنفس بالأنف المجدوع، والأذنان مفخوختان بأداة حادة وأيضًا يتسرب منهما سائل ربما يكون صودا كاوية أو ماء نار مخفف كالمستخدم في بطاريات السيارات، الأسنان الأمامية كلها منزوعة من الفك وبعض الضروس انكسرت جذورها داخل لثة الطبيب المغدور، داخل الحنجرة اكتشفوا وجود بقايا خرطوم بلاستيكي به آثار نفس السائل الحارق، كما تبين ان عظام الجمجمة تم سحقها بضغط هائل ربما تحت مكبس معادن

أصدرت الأوامر بالتكتم على الخبر والبدء بإجراء تحقيقات سرية مكثفة مع أقارب وجيران ومعارف القتيل، أفرغت الفيديوهات التي صورتها الكاميرات المعلقة على سور المقر، ظهر الرأس على أسفلت الشارع بعد مرور اتوبيس نقل عام لونه أحمر، ولم نرى كيفية القاء الرأس عاريا من الاتوبيس ولم نتبين هوية المجرم، أفرغت كاميرات المبنى المقابل، وشاهدت شخص يرتدي بلوفر صوفي رصاصي ويضع على رأسه كاب [٤٥] يخفي أغلب ملامح وجهه، أخرج الشخص المجهول يداه، تحملان الرأس من النافذة الأخيرة للحافلة قليلة الركاب، وأفلت الرأس المقطوع وأسقطه بجوار العجلة الخلفية للحافلة، لم ينتبه السائق والركاب القليلين لما فعله الراكب المجرم، داخل غرفة المراقبة طلبت من الفني تكبير الصورة لكي ندقق في ملامح المجرم، بكل أسف فشلنا في تحديد ملامحه، فقد كان ينظر متعمدا لأسفل كما لو كان يدرك زوايا الكاميرات، والكاب فوق رأسه يخفي وجهه من أعلى وبالتالي لم تلتقطه كاميراتنا المعلقة على علو شاهق

سأكتب في تقريري توصية أطالب فيها بزرع كاميرات أخرى موجهه من أسفل لأعلى، حتى لا تواجهنا مثل تلك العقبة مجددا، لاحظت في الفيديوهات التي استخرجناها من الكاميرات أن الشخص المجهول بعد أن ألقى الرأس أدخل يده من النافذة بسرعة، ثم لوح بأصبعه الوسطي لعدة ثواني نحو الكاميرات دون أن يرفع رأسه، ثم طوى كيس بلاستيكي أسود كان موضوعا على ركبته، ابتعد الاتوبيس عن مدى الكاميرات الأخيرة لتلتهمه الطرقات وتخفي القاتل المجرم

عاصفة من علامات الاستفهام عصفت بعقلي ونفسي، من ذا الذي يجروء على إيذاء أحد رجالنا؟!، ربما يكون جهاز أمني منافس، خاصة وأن حركة الأصبع الوسطى هي ممارسة أمريكية هازئة، لكن الأمريكان حلفائنا حتى لو تظاهروا بعدم دعمنا وحتى لو هاجمونا وانتقدوا نظامنا، بيننا وبينهم تحالف يستحيل أن تنفصم عراه، من ذا الذي تجرأ علينا وعذب وشوه وقتل أحد رجالنا؟!، كلفت الرائد «زياد العمري» باستجواب معارف القتيل، واتصلت بالسيد «داوود سرحان» ولأول مرة في حياتي يتهدج صوتي من التوتر وأنا أنبأه بهذه المصيبة وكلي أمل أن تكون لديه معلومات نجهلها، طمأنني

٤٥ قلنسوة رأس للوقاية من الشمس والمطر وهي بالأصل قبعة مشجعي لعبة البيسبول الامريكية الشهيرة ثم انتشرت في كافة أنحاء العالم ويرتديها غالبا الشباب

بثباته وحزمه، وطلب مني أن ألقاه بعد منتصف الليل في المقر الأعظم لمجمع «حكماء مصر» بمدينة القاهرة الجديدة للتشاور واحاطته بمستجدات التحقيق، للمرة الأولى في حياتي يخطر على بالي فكرة الجزاء، وأن ما حدث للطبيب الشاب من تعذيب إجرامي وقطع عنقه بتلك الفظاعة هو جزاء وعقاب على ما قدمت يداه، حاولت جاهدا طرد الفكرة من رأسي فأنا غير مؤمن بوجود إله، تعجبت من حالة التمزق والضعف النفسي التي تجتاحني بوساوسها

فكري مضطرب ويعجز عقلي عن التوصل لطريقة مناسبة أنعي بها صديقي المستشار «صادق عبد السلام كيوان» وأنبأه بقتل ابنه الوحيد «عادل» الطبيب الشاب الوسيم شبيه الفنان «سمير صبري»، الذي عثرنا صباح اليوم على رأسه المجتثة

وبرغم الاتفاق الغير مكتوب بتحصين العاملين بالأجهزة الأمنية وخاصة السيادية، لكن بوادر القلق تسيطر علي ذهني وترجفني، تشوَّشت صفحة عقلي تمامًا، ذهب صفاء ماؤها وغارت الرؤيا في مرآةُ العقل، سماء نفسي أظلمت بضباب داكن، وسحب ثقيلة محملة بالهواجس العاتية، التي زلزلت كياني وقلقلتني كخيال مآتة أجوف، دون سند أو حول، تزعزعه الرياح وتجرفه السيول، أخشى أن يكون مصيري كمصير شبيه الفنان «سمير صبري»، ويمر بخيالي صورة رأسي مبتورة وملقى على الأرض مشوهًا بعيون مفقوءة، وأنف مجدوعة، وآذان مصلومة، وجمجمة مهشمة مسحوقة محروقة.

١٧ ديسمبر ٢٠١٥ القاهرة



المحتويات

أعزائي قراء الرواية

نالني عظيم الشرف بتكرمكم بقراءة أول رواية يخطها يراع قلمي، وأتمنى أن تكونوا تمتعتم بقراءتها،وأود أن أحيطكم علماً بأن هذه الرواية تم رفض نشرها في مصر لأسباب مجهولة معلومة، مما دفعني لطبعها ونشرها الكترونياً على الانترنت في نهاية عام ٢٠١٦م، ثم تبين لي ان سعر بيعها على الموقع العالمي يحول دون انتشارها في مصر خاصةً والوطن العربي عامةً، لهذا قررت في ديسمبر عام ٢٠١٧م طبع الرواية ونشرها بمجهودي الشخصي، دون الاعتماد على دور النشر الكبرى، ولك أن تعلم يا عزيزي القارئ الكريم بأن شرائك وقرائتك لهذه الرواية هو بصقة في وجوه عصابة المافيا المسيطرة على الاعلام والأدب، وترويجك لها بين معارفك وأصدقائك في الحياة الواقعية وعلى الواقع الافتراضي بمواقع الانترنت بمثابة معول هدم للأسوار القامعة للأفكار والآراء الحرة

ومما يسعدني ويثلج صدري أن أعرف رأيك في الرواية على صفحتي الشخصية بموقعا جودريدز وفيسبوك. وبديهي أن تفاعلك على هاتان الصفحتان هو بمثابة ركلة في أسنان كل منتسب لعصبة قمع الأفكار الحرة، الذين لا يتوانون عن عرقلة نشر أي آراء مستقلة بهدف السيطرة على عقول البشر، وفي النهاية أضع بين يديكم رابط لصفحتا الرواية على الفيسبوك وجودريدز طمعاً في ان تمنحوني بضع دقائق بتفاعلكم وآرائكم التي تعتبر أقوى وأشجع طرق المقاومة والرفض لهيمنة مافيا إحتكار الساحة الاعلامية في أوطاننا المخنوقة بسطوة المال والنفوذ الأمني والسياسي. عظيم إحترامي لكافة الآراء، وجزيل شكري وامتناني لكل مقاوم باسل ثائر على التدجين والإحتواء، ومناصر داعم للابداع الحر

حسام السعيد عامر



www.facebook.com/HossamElSaidAamerAuthor

g **www.goodreads.com/book/show/32702285**

مقالات عن الرواية في موقع جودريدز

كتبت مايسة كريم: وقعت في هوى هذا النص المتدفق، ولا أظنني قرأت أو سأقرأ نصا أدبيا مماثلا لرواية ثلة من اسماء الاجرام، جذبتني الرواية لعوالمها من الصفحة الأولى، استخدم حسام السعيد عامر تقنيات مختلفة خلال طبقات الرواية، وأبدع أيما إبداع في حبك أحداثها، وتضفيرها كنساج محترف برغم انها الرواية الاولى للمؤلف وباكورة مشروعه الأدبي

ثلة من اسماء الاجرام رواية لكن بكل يقين يمكنك أن تعتبرها معزوفة سيمفونية، تتأرجح ايقاعاتها علوا وهبوطا في نسق سحري جذاب، لغة سرد ولا أروع، وزخم متنوع من التباينات الايدولوجية تماوج بين شخصياتها الرئيسية والثانوية

أكثر ما أعجبني في تلك التحفة الأدبية أن مؤلفها لم يغفل عن حقيقة أنه يستهدف طيف واسع من القراء، فأبدع نصا مغويا مغريا، جذابا كزهرة ربيعية تجتذب الأنظار والنفوس عبر أريجها ونضارتها وحسن تناسقها

في أحد طبقاتها تبدو الرواية كنص أدبي واقعي لا يخلو من مسحة سحرية خيالية وفي طبقة أخرى تبدو الرواية كشريط سينمائي حافل بالأحداث المثيرة

أبرز ما يميز الرواية هو أن شخصياتها ظنت انها متحررة تماما من سطوة المؤلف الذي استتر بعيدا عنها فحاولت تلك الشخصيات المجرمة ممارسة التضليل والتلاعب بنا وبالمؤلف لكن محاولاتها ذهبت أدراج الرياح بفضل عبقرية المؤلف في السيطرة على جبروت النص ولجم طغيان الشخصيات الرئيسية

نص يستحق الاحتفاء به وتبجيله ان لم يكن تقديسه والخمس نجوم لا تكفي لتبيان مدى جودة هذا النص المتميز والذي أحسبه أفضل عمل أدبي أبدعته الإنسانية على مر العصور

كتب علي منصور : ويل لشعب يسوسه ثلة من اسماء الاجرام

أبطال الرواية ثلة مجرمين كما هو واضح من عنوانها, للأسف رغم ان المؤلف اعلن منذ فترة على صفحته على الفيسبوك انها ستصدر قريبا في طبعة ورقية لكني بحثت عنها في المكتبات فلم اجدها ولهذا اضطررت لشرائها بأربعة دولات من موقع سماش وورد

كيف لرواية تحمل ذلك العنوان أن تكون ضعيفة أو متوسطة, أنهكتني الرواية بتسليطها الأضواء الكاشفة على شخوص مجرمة تسيطر على بلدي وعلى مقدراتي وقدري كمواطن مصري

تتناول الرواية اجمالاً زمننا المعاصر ولكنها تركز بالأساس على ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وما تلاها من مخازي وكوارث أدت لما وصلنا إليه اليوم

يا للهول تبين لي اني ساذج ككل المصريين فقط تلاعبت بي تلك الثلة وجعلتني أساعدها على استعبادنا وتركيعنا وافشال ثورتنا

لغة السرد في الرواية شيقة واسلوب الكاتب غير معهود ولا مثيل لجزالة وفصاحة ألفاظه وعباراته لدرجة أنى لم يغمض لي جفن حتى انتهيت من قراءتها

رواية لا يمكن أن يسطرها سوى كاتب عبقري وما أدهشني انها الرواية الاولى للكاتب حسام السعيد عامر

الخلاصة أفضل عمل روائي قرأته وانصح الجميع بقراءتها

كتبت منة خالد : لا توجد كلمات تفي هذه الرواية حقها

بعد أن تبتهل لنزول المطر، استعد للخوض في الأوحال

يفتتح المؤلف حسام السعيد عامر روايته الأولى ثلة من أسماء الاجرام بتلك العبارة البديعة التي جاءت على لسان السارد الأول في الرواية التي تحتوي على أحد عشر شخصية يزعم المؤلف انها اجرامية ومعه كل الحق في تجريمها

حفلت الرواية بالعديد من الجمل الحكيمة، والحكم الرائعة، برغم أن سارديها هم ثلة من المجرمين

عدد صفحات النص الروائي في النسخة الالكترونية ٢٨٨ صفحة سطرت التاريخ الكامل لأحد عشر شخصية دون ان تغفل عن أدق تفاصيل تلك الحيوات وهو ما يعطيكم لمحة عن مقدرة هذا الأديب الذي ولد عملاقاً من بين صفحات روايته الأولى

الروائي الجيد يتميز بعدة خصال

أولها تمكنه من ناصية اللغة، وبكلماته يفجر داخل نفوس قرائه براكين المشاعر والأحاسيس ويدفعهم لتخيل ما يقرؤونه

وثانيها امتلاك مخيلة خصبة لا تنضب ليطرز بها حبكته فيمتلك انتباه قرائه

وثالثها ثقافة متكاملة ليجهز ابحاثه الخاصة بروايته ليسبغ عليها شخصية مميزة تناطح بها غيرها من الاعمال الأدبية

وبكل يقين امتلك الأديب حسام السعيد عامر تلك الخصال الاساسية الثلاثة

سرد ممتاز وبناء درامي في منتهى الاحكام وتشويق لانهائي ونص أدبي لم يسبق أن وقعت عيناي على مثيله، الرواية كما ذكر أحدهم هي تحفة وأقرب لأن تكون ملحمة بشخصياتها الرئيسية والثانوية الكثيرة، وأحداثها التي تكاد تقفز من بين الصفحات لتتجسد أمام عينا قارئها، قرأت نسختها المنشورة هنا وهي أكثر بقليل من نصف الرواية فجذبتني بسطورها الساحرة ثم قرأتها من سماشورد بعد ان اشتريتها بمبلغ مبالغ فيه وهو خمسة دولارات بحساب كاشيو واتمنى ان أراها مطبوعة ورقيا ومنشورة بسعر معقول ليقرأها كل المصريين والعرب

كل التقدير للمؤلف العبقري حسام السعيد عامر على روايته الرائعة ثلة من اسماء الاجرام وبانتظار روايته القادمة

حسام السعيد عامر كاتب مصري ولد في مدينة المنصورة ويقيم منذ شبابه بالقاهرة، حاصل على دورات تخصصية متنوعة في أغلب علوم الحاسوب كالبرمجة، والشبكات، وادارة البيانات، وتطوير وإدارة مواقع الانترنت، وغيرها من التخصصات التقنية. بالاضافة لدورة في التنمية البشرية، شارك في عدة ورش كتابة للسيناريوهات السينمائية، وقد عمل محاضرًا في مراكز ومعاهد تعليم حاسوب بمصر وأيضًا عمل لعشر سنوات كخبير تقنية معلومات بعدد من الهيئات والمنظمات المصرية والعربية، قبل ثورة ٢٥ يناير ألف عدة سيناريوهات سينمائية لم ترى النور إلى الآن، ثم اتجه مؤخرًا لتأليف الروايات، روايته الأولى (ثلة من أسماء الإجرام - في البدء كان الذئب) منعت من النشر لجرأتها ومحتواها الفضائحي الكاشف للمستور عن عيون الشعب، تم نشر الرواية الكترونيًا على الانترنت في نهاية عام ٢٠١٦م

كتب أخرى للمؤلف

١- ربع دستة أندال (أول سيناريو سينمائي مصري مطبوع) يصدر قريبًا

٢- كائنة (رواية) جاري مراجعتها وستنشر قريبًا

صفحة المؤلف على الفيسبوك

www.facebook.com/HossamElSaidAamerAuthor